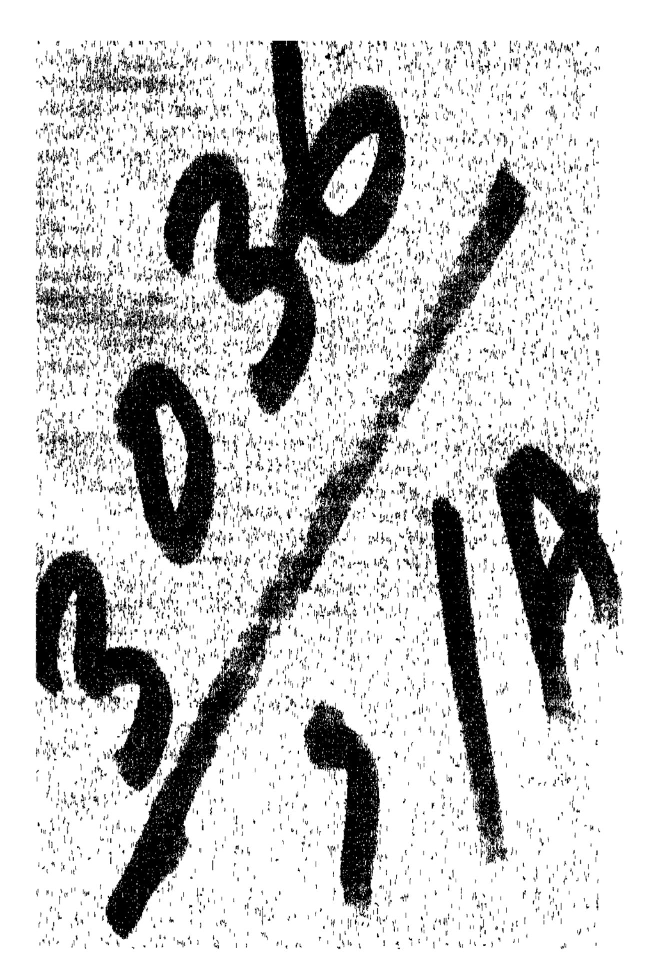
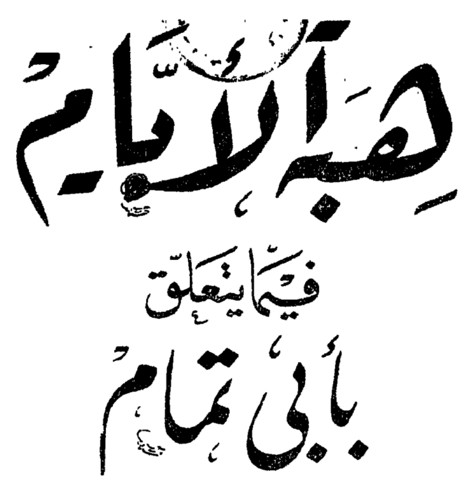




لمؤلفه

المرحوم الشيخ يوسف البديعي قاضي الموصل المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ

مع تعليق حواشيه بالشرح ، والنقد ، وتحليل ما ورد به من شخصيات ،
والافاضة فيما أشير إليه من تاريخ وأدب ، وضبط للشعر
الروى ، والمفاضلة بين رواياته

لناشره

محمود مصطفى

أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية من الجامعة الأزهرية

وقد تفضل بمراجعة طبعه خريج دار العلوم والمدرس بالمدارس الأميرية الأستاذ

سيد يس أحمد

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

حق الطبع للناشر مطبعة العلوم بالسيدة زينب



حمداً حمداً لله ، ذي المنة والجلال، وصلاة وسلاما على نبيه الكريم الذي جاءنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وبعد فقد هداني البحث في مخطوطات دار الكتب المصرية ، إلى العثور على كتاب « هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام » لمؤلفه الأديب البارع الشيخ يوسف البديعي الدمشقي : صاحب كتاب « الصبح المنبي ، عن حيثية المتنبي » ورأيت أن طريقته في كتابيه ، هي الطريقة المثلى في دراسة الأدب القديم التي يتنقل فيها القارىء بين أفنان القول، ويستجلي من أنوار الأدب ما اختلفت ألوانه؛ ويتنسم من عبيره ما تنافست في الطيب نفحاته ؛ فهو يتنقل بالقارىء من خبر مستطرف ، إلى معنى مستظرف ، إلى فكاهة بارعة ، إلى حكمة رائعة ، وهذا سر في ذلك الأدب جعله حبيباً إلى النفس ، غير مملول الدرس .

وكذلك فعل البديعي رحمه الله في مؤلفيه . فهو في « هبة الايام .. » قد بني كلامه على شرح لحياة الشاعر الخالد أبي تمام . فعرض على القارىء برداً يمانياً كثير الطرائق ، مطرز الحواشي . فهو إذا ذكر عن أبي تمام شهرته بقوة الحفظ ، عرض لكثير ممن عرفوا بهذه المنقبة . فروي من أخبارهم ، ما يروى صدى المتأدب ؛ وهو إذا ذكر لك أن أبا تمام مدح

احمد بن أبى دؤاد مثلا ، عرج على حياة هذا الممدوح ، فجلاها للقارىء بما لا يترك فى نفسه بقية من حاجة ، إلى مثل ما يحتاج إليه الأديب فى مثل هذا المقام ؛ وإذا مر بمعنى تناوله الشعراء ؛ سرد من أقوالهم فيه ما يشبع نهمة النهم من طلاب الأدب ، وإذا أشار الشاعر إلى حادثة أو آبدة من أوابد العرب ، أفاض فى شرحها فملأ ذهنك بالعلم الغزير ، يسوقه فى مناسباته. وهذه الطريقة فى رأى علماء التربية ، خير الطرق فى ثبات المعلومات فى الذهن وأدعاها إلى امتزاجها بالنفس .

أما الذى أحدثناه فى الكتاب: فهو متابعة للمؤلف فى طريقته بالتعريف بالرجال الذين يعرض ذكرهم فى كلامه، ولا يخصهم بالحديث فنشرح حياتهم، ونبين مزاياهم، وننقل ما نستطيع من آثارهم فى حاشية الكتاب ، كذلك نشرح ما ورد من كلام أبى تمام شرحا نجلى فيه عن المعانى الأصلية للكلمات ، وما خرجت إليه من مجاز أو كناية، ثم نشرح معنى البيت، ثم ننقده إذا رأينا أبا تمام قد خرج به عن الجادة فتكلف فى الصنعة، أو ركب الشطط فى مجازاته . ونجعل من نقدنا إطراءه إذا جمع موجبات الحسن وما أكثر ما نجد ذلك فى شعر أبى تمام . ولم يفتنا أن ننقل من آراء الأقدمين: أمثال الآمدى صاحب «الموازنة بين أبى تمام والبحترى»، وعبد العزيز الجرجانى صاحب « الوساطة بين المتنبى وخصومه» . وغيرهما من كل من نظر فى شعر أبى تمام ووجه إليه لوما أو استحسانا . ثم يكون لنا بعد هذا كله رأى نعقب به فنوافق على الاستصواب أو الاستهجان، أو نخالف مذهب القائل، داعمين القول بالحجة

التى ترضى الأديب

وقد كثرت منا الإشارة إلى أمور ومسائل من علم النحو ، وما فعلنا ذلك تزيداً فى القول،ولا مباهاة بالمعرفة ولكننا نعلم أن لأبى تمام أساليب جرى فيها على غير المألوف من لغات العرب ومناهجهم المشهورة تفصحاً منه وإدلالا بعروبته فكشفنا للقارىء جلية الأمر حتى لا يتورط فيما تعمده أبو تمام من الأغراب فى الأعراب .

وقد استطعنا «والحمدلله» أن نأتى على مافى نفس الدارس لهذا الكتاب أيا كان مشربه، حتى لا يبقى فى صدر قارىء لكتابنا حرج بعد ماذكرناه، ولا استغلاق لأمر بعد ما وضحنا . ولقد كنا فى سبيل ذلك نتوقف ونتصنع الغباء ،ونتنزل إلى أقل مراتب الفهم ، حتى نأتى على كل مايقال فى معنى البيت وما يلاحظ على لفظه وأسلوبه . ولم نلجأ إلى طريقة الهرب من الشرح لما استعصى علينا فهمه ، أو ما لا نحب أن نتورط فيه ، بما يؤخذ علينا . بل كانت هجيرانا فى كل عملنا، أن نفرض أننا أمام مشافه لنا يسألنا ونحن نجيبه؛فكان شبح القارىء المتعطش إلى المعرفة أمام ناظرنا عند كل بيت، ومع كل مسألة تعرض. ولقد كنا عقدنا النية أن نصارح القارىء لكتابنا (إذا صادفنا مالم نوفق إلى معناه ولم نهتد إلى مراده)بأن نقول له هذا مالم نفهمه، وذاك مالاحيلة لنا فى تفسيره . ولكنا نحمدالله الذى ذلل لنا كل عقبة،وسهل كل صعب؛ فقد كنا يكاد يدركنا اليأس، ونهم بتسجيل عجزنا عن شىء من ذلك، فيفتح الله علينا بالفهم المرضى ويستر جهلنا الذى كنا نوينا أن نكشفه .

ويحسن أن ننقل للقارىء بعض ما ورد عن صاحب هذا الكتاب في «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» قال:

يوسف المعروف بالبديعي الدمشقي. الأديب الذي زين الطروس برشحات أقلامه: فلو أدركه البديع لاعتزل صناعة الأنشاء والقربض عند استماع نثره ونظامه. خرج من دمشق في صباه. فحل في حلب. فلم يزل حتى بلغ الشهرة الطنانة في الفضل والأدب؛ وألف المؤلفات الفائقة منها: كتابه «الصبح المنبي في حيثية المتنبي»؛ وكتاب «الحدائق في الأدب». ولما رأى كتاب الخفاجي «الريحانة» عمل كتاب «ذكرى حبيب» (هو إنما يريد كتابنا ولكن غاب عنه اسمه) فأحسن وأبدع؛ وأطال وأطنب؛ وأعرب عن لطافة تعبيره. وحلاوة ترصيعه إلا انه لم يساعده الحظ في شهرته......

وبعد فالحمد لله الذي وفقنا إلى إظهار هذا الكتاب حتى نرد على الأيام ظلمها لهذا الرجل، ونكون قد قدمنا لقراء العربية عن أبي تمام أحسن تأليف وأبدعه. وأطوله وأطنبه كما يقول صاحب الخلاصة.

ورجاؤنا من الله عز وجل أن ينفع بعملنا هذا كفاء جهدنا فيه وسهرنا في خدمته. وماخدمتنا في هذا إلا خدمة للعربية التي وقفنا حياتنا عليها ولنا بذلك الشرف الذي لا يطاول. والجاه الذي لا يحاول. والله ولي التوفيق

١٦ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ — الناشر

٢٨ من يونيه سنة ١٩٣٤ — محمود مصطفى

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى منح ذوى العرفان عمرا ثانيا ، فجعل لهم على كرور الزمان ذكرا باقيا . وحبب لأولى الألباب نشر أخبارهم ، فلم تستطع أيدى الاحقاب طى آثارهم . سبحانه من إله تعرف إلى عباده بجَود (١) جوده ، ودل وجود كل شيء على وجوده . وشحنت أوراق الغصون بأدلة توحيده . سبحه الفلك بحركاته ، والبحر بمنشآته ، والروض بنفحاته ، والطير بتغريده ، نحمده على آلائه (٢) حمد قوم أبلج مشارق أسرارهم بأنوار فجر المعارف ، وأدمج فى حدائق أفكارهم أرائج (٣) اللطائف . ونشكره على نعمائه شكرا يضيق عن إحصائه نطاق الكلام ، وتعجزعن أدائه ألسنة الأقلام .

ثم الصلوات الناميات ، والتسليمات الضافيات . على حبيبه خاتم رسالة الرسالة (٤) ؛ ونير فلك الرحمة على الايالة (٥) ويالَه . محمد الذى أقرت بالعجز عما تليق عدحه جهابذة النظم والنثر . وغاية مايقال : له همم لامنتهى لكبارها وأصغرها أجل من الدهر ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه وأحزابه ، مادار فلك ، وسبح ملك .

وبعد فيقول فقير عفو ربه « يوسف البديعي » لطف الله به . لما كان

---

(١) الجود : المطر الغزير جمع جائد (٢) الآلاء : النعم ، جمع إلى كبثر أو ألو كدلو أو ألى كنهر أو ألىّ كنفى أو إلى كرضا (٣) الارائج : جمع أريجة وهى توهج ريح الطيب (٤) الرسالة الاولى اسم من الارسال بمعنى الاطلاق . والثانية بمعنى التوجيه أى أنه عليه الصلاة والسلام خاتم مطلق الرسالة (٥) الايالة : ولاية شأن الناس يقال آل على القوم إيالة بمعنى ولى عليهم . وقوله ويالَه تعجب كأنه يقول ويالَه من نبى . والجناس ظاهر بين الايالة ويالَه

الأدب مرآة لاتنطبع فيها غير الفطر المستقيمة ؛ ومشكاة لايضيء بها إلاالطباع السليمة. وكانت الشهباء (١) قد ازدانت بقدوم المولى الذي وقع على جمعه لأشتات (٢) الفضائل الاجماع ، فلو صور نفسه لم يزدها على مافيه من كرم الطباع . الذي من رآه فكأنما رأى فضلاء الأقطار ؛ وعلماء الأمصار . وأصحاب المآثر في كل عصر وأوان ، وأرباب المفاخر من كل فج ومكان . وعلم أن قول الحكمي (٣)

مَن كفه لا تزال صوبُ ندى على المساكين رحمة الله

داخل في حد الامكان

وما كان في الوجدان (٤) ، أن يرى في هذا الزمان . من موالي الروم الراسخين في العلوم . على جلالة أقدارهم ، وفخامة أخطارهم . من نظم تفاريق المحاسن على اختلاف أنواعها ؛ وجمع أشتات الكمالات على كثرة اتساعها حتى رأينا منه ماصدق مفهوم المجد والفضل . وشاهدنا ماإن حدثنا به دفع العقل (٥)

دار في خلدي أن أدون كتابا لاتخلق الدهور جدته ؛ ولاتذهب الأعادة بهجته . يسير في الآفاق سير الأمثال ، ويصير شنفا (٦) لسمع الايام وعقدا لجيد الليالي . يشتمل على مالأبي تمام من الأخبار . ويحتوي على لمع من شعره المختار . وإيراد مايتعلق بذلك من الآثار . لأهديه إلى خزانة المولى المذكور مع العلم بأني في ذلك كمن أهدى إلى يوشع (٧) شيئا من النور . فأن صادف

---

(١) يريد حلب وإنما سميت الشهباء لأنها كانت مسورة بسور من الحجارة البيض (٢) أشتات جمع شت بمعنى متفرق . أما شتى فجمع شتيت والمعنى واحد فيهما (٣) لعله يريد أبا نواس لأنه من حكم إحدى قبائل اليمن ولكني لم أجد البيت في ديوانه (٤) الوجدان : الحصول على الشيء وإدراكه والمراد هنا الامكان لأن الشيء لا يوجد إلا بعد أن يكون ممكن الحصول

(٥) المعنى أن العقل يرد هذا الحديث لغرابته وعده عن التصديق (٦) الشنف القرط يكون في أعلى الاذن أما الذي في شحمتها فهو القرط (٧) يوشع بن نون عليه السلام نبي من أنبياء الله زعم أهل الكتاب أن الشمس ردت له معجزة والمعنى أنه في غنى عن النور بعد الشمس التي جعلت في خدمته

من القبول حيزا فهو المتوقع من كرمه ، والمعهود بالتواتر من شيمه .

وجعلته برسمه ، وصدرته باسمه وعنونته ـ « هبة الأيام ، فيما يتعلق بأبى تمام ». ونستمد من الله أسباب العناية ، والمساعدة على البداية والنهاية. فنقول

نسب أبى تمام

هو حبيب بن أوس ، بن الحرث ، بن قيس ، بن الأشج ، بن يحيى ، بن مروان ، بن مر ، بن سعد ، بن كاهل ، بن عمرو ، بن عدى ، بن عمرو ، بن الغوث ، بن جلهمة ، (وهو طى) بن أدد ، بن زيد ، بن كهلان ، بن سبأ ، ابن يشخب ، بن عريب ، بن زيد ، بن كهلان ، بن يشخب ، بن يعرب ، بن قحطان . الشاعر المشهور بأبى تمام الطائى نسبة إلى طى وهى القبيلة المشهورة وهذه النسبة على غير قياس . وقيل فى نسب أبى تمام غير هذا

مولده ووصفه

وولد بقرية جاسم وهى من قرى الجيدور من أعمال دمشق سنة تسعين ومائة على الأصح ، وتنقل إلى أن صار أوحد عصره فى ديباجة لفظه ، فصاحة شعره ، وحسن أسلوبه .

وكان أسمر اللون طويلا فصيحا حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة وفى لسانه حبسة ، ولذلك قيل فيه :

يانبىّ الله فى الشعـ ـر وياعيسى بن مريمْ
أنت من أشعر خلق الله ـه مـالم تتكلمْ

وهذا هجاء فى معرض المدح .

مؤلفاته ومبلغ حفظه

وله كتاب الحماسة التى دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته، وحسن اختياره وله كتاب آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والأسلاميين ، وكتاب الاختيار من الشعراء . وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره حتى قيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد .

حفظ البخارى

ومن المشهورين بغزارة الحفظ وكثرته البخارى صاحب الجامع الصحيح قال أبو عبد الله الحميدى فى كتاب « جذوة المقتبس » والخطيب فى « تاريخ بغداد » إن البخارى وهو أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن اسمعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن الأحنف الجعفى الحافظ الأمام فى علم الحديث، كان رحل فى طلب الحديث إلى أكثر محدثى الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق والشام ومصر والحجاز . فلما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعدوا عليه مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الأسناد لأسناد آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس ، الى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون (١) ذلك على البخارى وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها

---

(١) هذا التعبير صحيح على جعل يلقون جواب شرط إذا وهى لا تجزم

من البغداديين . فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب (١) إليه واحد من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري لا أعرفه . فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم . ومن كان منهم ضد ذلك يقضي على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم . ثم انتدب رجل من العشرة فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول لا أعرفه . ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخارى يقول لا أعرفه فلما علم البخارى أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الاحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل وشهدوا بتفرده فى علم الرواية والدراية

حفظ أبى بكر الخوارزمى

وقصد أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى وهو ابن أخت أبي جعفر محمد

---

(١) انتدب مطاوع ندب ومعنى ندب طلب وانتدب أجاب الداعى والمعنى هنا نزله واحد من العشرة محققا ما ندب له . وعلى ذلك يكون قول أهل العصر انتدب (بالبناء للمجهول) فلان لعمل كذا خطأ والصواب ندب

ابن جرير الطبرى ، حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرّجان (١) فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه قل للصاحب : على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن فى الدخول فدخل الحاجب. وأعلمه فقال الصاحب قل له : قد ألزمت نفسى ألا يدخل علىّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك. فقال له أبو بكر ارجع إليه وقل له : هل هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هـذا يكون أبا بكر الخوارزمى . فأذن له فى الدخول فدخل عليه فعرفه وانبسط معه .

تشبه البحترى بأبى تمام

وكان أبو عباده البحترى يتشبه بأبى تمام ويحـذو مذهبه وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحبا وإماما ويقدمه على نفسه وأنشد البحترى شعرا لنفسه . كان أبو تمام قال فى مثله فقيل له : أنت أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر فقال كلا والله ، إن أبا تمام للرئيس والاستاذ ، والله

---

(١) الصاحب ابن عباد هو أبو القاسم اسمعيل بن عباد بن العباس الطالقانى كان عالما أديبا منشئا وكان مغرما بالسجع فى كتابته ومشافهته حتى قيل فيه « إنه لو رأي سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب حبل الدولة لما هان عليه التخلى عنها » وهو صاحب المعجم المسمى بالمحيط . وقد وزر لمؤيد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه ومن بعده لأخيه فخر الدولة . وسمى الصاحب لانه صحب مؤيد الدولة من الصبى فكان أول وزير لقب بالصاحب ثم سمى به كل من ولى الوزارة بعده . وقيل سمى بذلك لطول صحبته لابن العميد فكان يقال صاحب ابن العميد ثم خفف فقيل الصاحب . توفى سنة ٣٨٥ هـ

ما أكلت الخبز إلا به . فقال له المبرد : لله درك فأنك تأبى إلا شرفا من جميع جوانبك .

وحدث البحترى قال : كان أول أمري فى الشعر ونباهتي أنى صرت إلى أبى تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعرى وكان الشعراء يعرضون أشعارهم فأقبل علىّ وترك سائر من حضر . فلما تفرقوا قال : أنت أشعر من أنشدنى . فكيف حالك ؟فشكوت إليه خَلة، فكتب إلى أهل معرة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر وقال امتدحهم ، فصرت إليهم فأكرمونى بكتابه ووظفوا لى أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته .

وحدث البحترى قال: أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد ابن يوسف بالقصيدة التى أولها :

أأفاق صب من هوى فأفيقا . . . .

وعدة أبياتها ثلاثة وسبعون بيتا فسر أبو سعيد وقال أحسنت والله يافتى وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر يكاد يمس ركبته فأقبل علىّ وقال : يافتى أما تستحى ؟ ! هذا شعرى تنتحله وتنشده بحضرتى فقال أبو سعيد : أحقا تقول؟ قال نعم، وإنما علقه منى فسبقنى به اليك . ثم اندفع فأنشد القصيدة حتى شككنى (علم الله) فى نفسى. وبقيت متحيرا فأقبل علىّ أبو سعيد وقال : يافتى لقد كان فى قرابتك منا وودك لنا مايغنيك عن هذا. فجعلت أحلف بكل محرجة من الايمان، أن الشعر لى ما سبقنى اليه أحد ولاسمعته ؛ ولاانتحلته فلم ينفع ذلك شيئا. وأطرق أبو سعيد وقطع الكلام (١) حتى تمنيت أنى سخت

---

(١) فى رواية الاغانى بدل قوله « وقطع الكلام» قوله « وفظع بى » والمعنى ضاق بي ذرعا يقال فظع (كفرح) الرجل بالامر ضاق به ذرعا

فى الارض فقمت منكسر البال أجر رجلىّ ، فخرجت فما هو إلا أن بلغت باب الدار ، حتى خرج الغلمان إلىّ فردونى . فأقبل علىّ الرجل ، وقال : الشعر لك يابنى ، والله ما قلته قط ولا سمعت به إلا منك ولكن ظننت أنك تهاونت بموضعى فأقدمت على الأنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى حتى عرفنى الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألا تلد طائية إلا مثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك . فدعانى أبو تمام فضمنى إليه وعانقنى وأقبل يقرظنى ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به

حفظ ابن عباس

ومثل هذا ما نقلهأبو العباس المبردفى كامله قال : ويروى أن ابن الأزرق(١) أتى ابن عباس رضى اللهعنه يوما فجعل يسأله حتى أمله فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر بن أبى ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيئاً من شعرك فأنشده قصيدة أولها

« أمن آل نُعمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ »

وهى ثمانون بيتاً من جملتها

(١) هو نافع بن الازرق الذى صار بعد التحكيم رئيس فرقة من الخوارج تسمى الازارقة وكان من أكبر فقهائهم . وقد كفر جميع المسلمين ما عدا أتباعه وقال : إنه لايحل لاحد من أتباعه أن يجيب واحدا من غيرهم إلى الصلاه ولا أن يأكلوا من ذبائحهم ولا أن يتزوجوا منهم ولا يتوارث الخارجي وغيره وقد رأي أن دار المسلمين دار حرب واستحل قتل أولادهم ونسائهم واستحل الغدر بمن خالفه وكفر القعدة ولو على مذهبه

رأت رجلاً أمَّا إذا الشمس عارضَت　　فيضحى وأمَّا بالعشى فيخْـصَر

فقال له ابن الأزرق لله أنت يا بن عباس !! أنضرب إليك أكباد الأبل نسألك عن الدين فتعرض ، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها فتسمعه . فقال : تالله ما سمعت سفها ؛فقال ابن الأزرق

رأت رجلاً أما اذا الشمس عارضت　　فيخزى وأَما بالعشى فيخسر

فقال ما هكذا قال وأنما قال : « فيضحى وأما بالعشى فيخصر » قال أو تحفظ الذى قال ، قال والله ماسمعتها إلا ساعتى هذه ولو شئتَ أن أردها لرددتها قال فارددها فأنشده إياها كلها

رجع الى حديث أبى تمام والبحترى

وحدث البحترى قال أنشدت أبا تمام شيئاً من شعرى فتمثل ببيت أوس ابن حجر (١)

إذا مُقْـرَم منا ذرا حَدُّ نابه　　تخمّط منا نابُ آخر مُقْـرَم (٢)

---

(١) هو من نمير أحد بطون تميم . قالوا كان أوس شاعر مضر كلها حتى نشأ زهير والنابغة فأصبح شاعر تميم غير مدافع . وكان غزلاً مغرما بالنساء خرج فى سفر فصرعته ناقته فاندقت فخذه وظل مكانه حتى خرجت فتيات الحى (فى أرض بنى أسد) يجتنين الكمأة فنادى أحداهن وكانت حليمة بنت فضالة وكان يعرف أباها فدفع إليها حجرا وقال لها قولى لأبيك : ابن هذا يقرئك السلام فأتى فضالة واحتمله وعالجه فمدحه كثيرا وشبب بابنته ولما مات فضالة رثاه بقوله

أيتها النفس أجملى جزعا　　إن الذي تحذرين قد وقعا

(٢) المقرم السيد وأصله للبعير المكرم لايحمل عليه ولايذلل فشبه به السيد الجليل . وتخمط تكبر وغضب وغلب وقهر . ذرا حد نابه انسحقت أسنانه وسقطت اعاليها

ثم قال لى: نعيت والله إلىّ نفسي فقلت: أعيذك بالله من هذا القول فقال إن عمرى لن يطول ، وقد نشأ فى طى مثلك . أما علمت ان خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة (١) وهو بين رهط يتكلم فقال : يابنى لقد نعى إلىّ نفسى

(١) خالد بن صفوان الأهتمى عاش فى الدولة الاموية وصدرا من العباسية وكان بليغا حاضر البديهة يدعى للقول فيجيب بأحسن وأجمع مما احتفل له المروى وبالغ فى تجويده المزور وهو الذى كان فى مجلس هشام فقال له وقد جرى ذكر جرير والفرزدق والاخطل صفهم لنا يابن الاهتم فقال : اما أعظمهم فخرا وأبعدهم ذكرا وأحسنهم عذرا وأشدهم ميلا وأقلهم غزلا وأحلاهم عللا ، الطامى إذا زخر ، والحامي إذا زأر ، والسامى إذا خطر ، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان . فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتا ، وأمدحهم بيتا ، وأقلهم فوتا ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رفع فالأخطل ، وأما أغزرهم بحرا ، وأرقهم شعرا ، وأهتكهم لعدوه سترا ، الاغر الأبلق ، الذي إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق فجرير . وكلهم ذكى الفؤاد رفيع العماد ، وارى الزناد . فقال له مسلمة ابن عبد الملك: ماسمعنا بمثلك ياخالد فى الاولين ولا رأينا فى الآخرين وأشهد أنك أحسنهم وصفا، وألينهم عطفا، وأعفهم مقالا، وأكرمهم فعالا. قال خالد: أتم الله عليكم نعمه، وأجزل لديكم قسمه، وآنس بكم الغربة ، وفرج بكم الكربة وأنت والله (ما علمت أيها الامير) كريم الغراس ، عالم بالناس ، جواد فى المحل ، بسام عند البذل ، حليم عند البطش ، فى ذروة قريش ، ولباب عبد شمس ويومك خير من أمس فضحك هشام وقال: مارأيت كتخلصك يا بن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا وسلمت عليهم.

وقال عنه الجاحظ فى البيان والتبيين : ومن الخطباء المشهورين فى العوام والمتقدمين فى الخواص ، خالد بن صفوان الاهتمى . زعموا جميعا أنه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزلة عنده ففخر عليه ناس من بلحارث بن كعب وأكثروا فى القول فقال أبو العباس « لم لا تتكلم ياخالد » فقال « أخوال أمير المؤمنين وعصبته » قال « فأنتم أعمام أمير المؤمنين

إحسانك فى كلامك ؛ لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا مات من قبله، فقلت بل يبقيك الله ويجعلنى فداك . ومات أبو تمّام بعد سنة .

ويقال خرج من طى ثلاثة كل واحد مجيد فى بابه : حاتم الطائى فى جوده، وداود بن نصير الطائى فى زهده ، وأبو تمام الطائى فى شعره

من أخبار أبى تمام

قال ابن دحية فى كتاب « النبراس » إن أبا تمام مدح أحمد بن المعتصم بالله بقوله :

ما فى وقوفكَ ساعة من باس ... نقضى ذِمام الأربُعِ الأدراس (١)

فلعل عينك أن تُعين بمائها ... والدمعُ منه خاذلٌ ومُواسى (٢)

وعصبته » قال خالد « وماعسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد، ودابغ جلد ، وسائس قرد وراكب عرد (حمار) دل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة » قال الجاحظ : فلئن كان خالد فكر وتدبر هذا الكلام إنه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد ، ولئن كان هذا شيئا حضره حين حُرك وبسط فماله نظير فى الدنيا. فتأمل هذا الكلام فأنك ستجده مليحا مقبولا عظيم القدر جليلا . ولو خطب اليمانى بلسان سحبان وائل حولا كريتا (كاملا) ثم صك بهذه الفقرة ماقامت له قائمة . وكان خالد يقارض شبيب بن شيبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة

(١) باس مسهل بأس بمعنى ضرر وأصل معناها العذاب . الذمام الحق والحرمة . الادراس جمع درس كهر وأصل معناه الطريق الخفى والمراد ما عفا من رسوم الدار

(٢) خاذل قاعد عن المعونة .مواس معين .اذا وقع خبر لعل فعلا فالكثير ان يتجرد عن أن وتكون جملته فى محل رفع خبرا وقد تذكر أن المصدرية قبل الفعل حملا للعل على عسى ويكون المصدر هو الخبر كما هنا . والمعنى قف معى على الاربع فقد تكون غير جامد الدمع وتساعدنى ببكائك والعيون منها الذى لايجيب داعى البكاء ومنها ما يجيبه

لا يُسعد المشتاقَ وسنانُ الهوى يَبِسُ المدامع باردُ الأنفاس[١]

إن المنازل ساورَتْها فرقة أخلتْ من الآرامِ كلَّ كِناس[٢]

من كل واضحة الترائب أُرْهِفَتْ إرهاف خُوط البانة الميَّاس[٣]

بدرٌ أطاعت فيك بادرة النوى وَلعا وشمسٌ أُولعت بِشِماس[٤]

---

(١) الوسنان : النائم . يبس لغة فى يابس بمعنى جاف . المدامع جمع مدمع وهى مآقى العيون أى أطرافها التى يجرى منها الدمع . والمعنى لا يساعد المحب من كان لا يذوق طعم الحب فهو نائم الهوى جاف المآقى ليس فى قلبه حرارة الحب

(٢) ساوره : وثب عليه وصال . الآرام جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض وقد يطلق من قيد هذا الوصف . الكناس : مبيت الظبي وما يستتر به من أغصان الشجر . يقول ان منازل المحبوبة قد غالبتها الفرقة فغلبتها فصارت الدور خالية من سكانها كما تخلو الكنس من الظباء

(٣) الترائب جمع تريبة ومن معانيها ما بين الثديين الى الترقوتين (العظمين الناتئين فى ملتقى العنق بالصدر) . رهف ككرم رق ودق ولطف . الخوط الغصن الناعم . المياس : المتثنى

(٤) البادرة أول ما يبدر من الشيء . النوى : البعد . الولع : الاستخفاف والاغرام بالشيء . الشماس النفور والاباء . والمعنى : المحبوبة التى كالبدر والشمس انقادت لأول فكرة عرضت لها فى الفراق استخفافا بشأن المحب ونفورا منه . وأنت ترى جناس الاشتقاق قد وقع ثلاث مرات فى البيت بين بدر وبادرة وولع وأولع ، وشمس وشماس . وأرى أن المقبول منها الأول والثالث أما الثانى فظاهر فيه التكلف وما كان أجمل البيت لو خلا منه ولكن غرام أبى تمام بالمحسن البديعى شغى عليه كثيرا

بِكْرٍ إذا ابتسمت أراكَ وميضُها نورَ الأَقاح برملة مِيعاس[١]

ويروى «نور الأقاحي في ثرى ميعاس» والميعاس مالان من الرمل

وإذا مشت تركت بصدرك ضِعفَ ما بحُليِّها من كثرة الوَسواس[٢]

قالت وقد حُمّ الفراق فكأسه قد خولط الساقي بها والحاسي

لا تنسيَنْ تلك العهود فإنما سُمّيتَ إنسانا لأنك ناسي[٣]

ان الذي خلق الخلائق قاتها أَقواتها لتصرف الأَحراس[٤]

---

(١) الوميض : اللمعان الخفيف . والمعنى أن أسنانها تشبه نور الاقاحي، (جمع أقحوان بالضم)

(٢) الوسواس : صوت الحلي وحديث النفس بما لا خير فيه وقد أراد المعنى الاول في كلمة الوسواس الظاهرة في البيت وأراد الثاني في الموصوف المحذوف في قوله « ضعف ما » لان المعنى وسواسا ضعف ما الخ فهذا استخدام طريف حسن جدا من أبي تمام لأن أمثلته في العربية قليلة . والمعنى ظاهر

(٣) حم : قضى . خولط . أصيب في عقله . الحاسي . الشارب . والمعنى : قالت له المحبوبة حين وقع الفراق واشتد ألمه وهال منظره حتى نال الذهول المحب والمحبوب والاول بمثابة شارب الخمر والثاني بمثابة مناولها وكان المعقول ألا يتأثر به الا المحب لأن المحبوب أتاه عمدا ولكن هول الموقف تعدى الى المتجني بالفراق ، فقالت المحبوبة في توديع محبها لا تنس سابق عهدنا وإنما ذكرتك لما أعلم من أن طبع الانسان النسيان حتى اشتق له منه اسمه

(٤) الاحراس : جمع حرس كدهر وزنا ومعنى . والمعنى أن الله تعالى خلق المخلوقات وقدر لها أرزاقها ليستطيعوا أن يعيشوا فتتصرف بهم الدهور وتتوالى

فالأرض معروف السماء قِرًى لها ... وبنو الرجاء لهم بنو العباس[١]

القومُ ظِل الله أَسكن دينَه ... فيهم وهم جبل الملوك الراسى

فى كلِ جوهرة فِرندٌ مُشرق ... وهم الفرند لهؤلاء الناس[٢]

هَدَأتْ على تأميل أحمد همتى ... وأطاف تقليدى به وقياسى[٣]

بالمجتبَى والمصطفَى والمشترِى ... للحمد والحالى به والكاسى

والحمد بُرْد جمال اختالت به ... غُرَر الفعال وليس بُردَ لباس

خلط الشهامة باللِّيان فأصبحت ... عُذَّاله بين الرجا والياس[٤]

---

(١) معروف السماء المراد به المطر . "قرى ما يقدم للضيف من طعام . بنوالرجاء : أصحاب الآمال . والمعنى ظاهر

(٢) الجوهرة : الشيء من الحجارة الكريمة . الفرند من كل شيء خاصته وما جبل عليه . والمعنى فى كل جوهرة خاصة مشرقة وخلفاء العباسيين هم فى الناس مظهر الحسن ومحل الاعجاب أى أن الناس بهم شرفوا وبان لهم فضل كما يبين فضل الجوهر بخاصة لمعانه

(٣) التقليد اتباع آراء الناس من غير نظر فيها ولا مناقشة لها . والقياس استنباط الحكم بالنظر فى علته وتحكيم العقل فى الجمع بين الاشياء المتناسبة . والمعنى أنى كنت مضطرب الرأي فيمن أصرف اليه همتي ورجائى فلما اتجهت بأملى إلى الامير هدأ اضطرابى لأنى عرفت استحقاقه لأن يكون موضع الأمل من كل طريق فالناس مجمعون على فضله وعقلى يدلنى على ذلك لما رأيت من دلائل كرمه

(٤) الليان بالفتح اللين وبالكسر الملاينة وهو المراد هنا . الشهامة : نفاذ الحكم . العذال جمع عاذل وهو اللائم فى الحب . الرجا مقصور الرجاء ، والياس مسهل اليأس والمعنى ظاهر

فرْعٌ نما من هاشم فى تربة كان الكفِيءَ لها من الأغراس

لا تهجرُ الانواءُ مَنبتَه ولا قلبُ الثرى القاسى عليه بقاسى [١]

وكان بينهما رَضاع الثدى من فرط التصافى أو رضاع الكاس [٢]

نَور العَرارة نَوره وَنسيمه نَشرُ الخُزامى فى اخضرار الآس [٣]

أبليتُ هذا المدحَ أَبعد غاية فيه وَأكرَمَ شيمةٍ وَنحاس [٤]

---

(١) الانواء جمع نوء وهو سقوط نجم وطلوع آخر ويستدلون به على المطر فذكره وإرادة المطر مجاز بذكر الملزوم وإرادة اللازم والمعنى أن هذا الغرس معاهد بالمطر وأن قلب الارض حان عليه لا يجف تحته فيذبل

(٢) يجعل التبريزى شارح ديوان أبى تمام ، الضمير فى بينهما عائدا إلى الممدوح والفرع الذى جعل مشبها به ويقول : أي هو كريم الاصل كريم الفعل زكا وطاب بنفسه كما زكا هذا الغرس (الذى يصف) ووجد مغرسا طيبا والذى أقوله أن التشبيه هنا مراد به شدة الألفة والمودة حتى كأن المؤتلفين أخوا رضاع أو أخوا منادمة ولذلك يحسن أن يجعل الضمير فى بينهما عائدا إلى قلب الثري والفرع المغروس ويكون معنى التشبيه أن الثرى يحتوى على هذا الغراس فلا يجف تحته بل يساعده على النمو والترعرع فكأن بين الثرى والفرع ألفة هى ألفة رضيعى الثدى أو الكأس

(٣) جعل لهذا الفرع مزايا ثلاثة أصناف من النبات فجعل له نور العرارة ونشر الخزامي وخضرة الآس وكل منها فى بابه غاية الغايات ومن اشتهار الآس بدوام الخضرة قول الشاعر

وعهدى بها كالآس حسنا ونضرة له بهجة تبقى إذا ما انقضى الورد

(٤) يقال أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها إليه ومنه قول زهير

جزى الله والاحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

والمعنى وكلت بالمجد همة تسمو به الى أقصى الغايات ووجهت اليه اكرم خلق وطبع

ويروى أبلغ غاية . والنحاس الطبيعة . فلما قال هذا البيت :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحنف في ذكاء إياس[1]

---

(١) عمرو : هو ابن معد يكرب الزبيدي ويكنى أبا ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع المذكورة فى الجاهلية والاسلام وقد أسلم على يد رسول الله وأبلى بلاء حسنا فى حروب المسلمين مثل وقعة القادسية فأنه الذى ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح . وقيل أن عمر قال له يوما ما تقول فى الحرب قال مرة المذاق ، إذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف . قال فما تقول فى الرمح قال خليلك وربما خانك قال فالنبل قال منايا تخطىء وتصيب . قال فالترس قال عليه تدور الدوائر قال والسيف قال عبدك ، ثكلتك أمك . قال عمر بل أمك فقال الحمى صرعتني فأغلظ له عمر فى القول فقال

أتوعدني كأنك ذو رعين   بأنعم عيشة أو ذو نواس
فلا تفخر بملكك كل ملك   يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص مني قال بل أعفو ياأمير المؤمنين ، لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف أخذ منك أم ترك . قال وماهى قال سمعتك تقرأ : «إنه من يأت ربه مجرما فأن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا» والله لو علمت أنى إذا دخلتها ميت لفعلت

وقيل إنه لم يكن فى عمرو خصلة رديئة الا الكذب . حكى أبو عمرو بن العلاء قال وقف عمرو يوما بالمربد يتحدث على عادتهم فقال غزوت فى الجاهلية على بنى مالك فخرجوا مسترفعين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه . وكان خالد بن الصقعب حاضرا فقال بعض القوم : مهلا أبا ثور قتيلك يسمع كلامك وأشار إليه . فقال عمرو : اسكت إنما أنت محدِّث فاسمع أو قم ثم التفت الى خالد وقال : إنما نرهب هذه المعدية بهذه الأخبار ومضى فى حديثه فلم يقطعه فقال رجل إنك لشجاع فى الحرب والكذب . فقال إني لكذلك

وكان له سيف يسمى الصمصامة . وحكى أن عمر بن الخطاب قال لعمرو ابعث لى الصمصامة فبعث إليه به فلم يره كما بلغه فقال له فى ذلك فقال إنى بعثت إليك الصمصامة ولم أبعث لك باليد التى تضرب به : وقد وقع الصمصامة للمهدي فأحضره وأمر الشعراء أن يصفوه فاستحق بعضهم عشرين ألف درهم على هذه الابيات

حاز صمصامة الزبيدى من بيـ ن جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما أغمضت عليه الجفون
أخضر اللون بين حديه برد من ذعاف يميس فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق نارا ثم شابت به الذعافَ القيون
فأذا ما سللته بهر الشمـ س ضياء فلم تكد تستبين
مايبالى من انتضاه لحرب أشمال سطت به أم يمين
يستطير الأبصار كالقبس المشـ عل ما تستقر فيه العيون
وكأنّ الفرند والجوهر الجا رى على صفحتيه ماء معين
نعم مخراق ذا الخليفة فى الهيـ جاء يقضى به ونعم المعين

وبعد المهدى صار الى المتوكل فدفعه إلى غلامه باغز التركى فقتله به ثم انقطع خبره

* * *

وأما حاتم وشأنه فى الجود فأشهر من أن يذكر

الاحنف : هو أبو بحر الضحاك بن قيس التميمى ، كان من سادات التابعين رضى الله عنهم أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه . ولما أتى النبي وفد تميم يدعوهم إلى الاسلام كان الأحنف فيهم ولم يجيبوا إلى أتباعه فقال لهم الأحنف إنه ليدعوكم إلى مكارم الاخلاق وينهاكم عن ملائمها. فأسلموا وأسلم الاحنف ولم يفد على رسول الله ثم وفد على عمر وقد روي عنه وعن عثمان وعلى وعنه روى الحسن البصرى وأهل البصرة . وشهد مع على وقعه صفين ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين . ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه فقال له معاوية : والله ياأحنف ماأذكر يوم صفين إلا كانت حزازة فى قلبي إلى يوم القيامة فقال له الاحنف ، والله يامعاوية إن القلوب التى أبغضناك

بها لفى صدورنا وان السيوف التى قاتلناك بها لفى أغمادها وإن تدن من الحرب فترا ندن منها شبرا وإن تمش إليها نهرول ثم قام وخرج ، وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت لأخيها من هذا الذى يتهدد ويتوعد قال هذا الذى إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بنى تميم لا يدرون فيم غضب

ولما نصب معاوية ابنه يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال يا أمير المؤمنين أعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف بن قيس جالس فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت فقال له معاوية جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بألوف . فلما خرج لقيه ذلك الرجل فقال يا أبا بحر إنى أعلم أن شر من خلق الله، هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والأقفال فليس يطمع فى استخراجها إلا بما سمعت فقال له الأحنف: أمسك عليك فأن ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها

وبقى الأحنف الى زمن مصعب بن الزبير فخرج معه إلى الكوفة ومات بها سنة سبع وستين ه على أشهر الاقوال وقد كبر جدا

وإياس: هو أبو وائلة بن معاوية بن قرة بن إياس ، اللسن البليغ الالمعى المصيب الحدس ، المعدود مثلا فى الذكاء ورأسا من رءوس الفصاحة والرجاحة ويحكى من فطنته أمور عجيبة ، قيل لأبيه كيف ابنك لك ؟قال نعم الابن، كفاني أمر دنياى وفرغنى لآخرتى . وسمع يهوديا يقول ما أحمق المسلمين يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون فقال له إياس : أكل ما تأكله تحدثه قال لا ، لأن الله تعالى يجعل بعضه غذاء قال فلم تنكر أن الله تعالى يجعل كل ما يأكله أهل الجنة غذاء ، ونظر يوما إلى آجرة فقال تحت هذه الآجرة دابة فنزعوها فإذا تحتها حية منطوية فسألوه عن ذلك فقال إني رأيت ما بين الآجرتين نديا من بين جميع الآجر فعلمت أن تحتها شيئا يتنفس . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة واليه على العراق . أن اجمع بين اياس بن معاوية ، والقاسم ابن ربيعة الحرشى فول القضاء أنفذهما فجمع بينهما فقال له إياس أيها الأمير

قال له أبو يوسف يعقوب بن الصباح الكندى الفيلسوف وأراد الطعن عليه : الامير فوق من وصفت . كيف تشبه ولد أمير المؤمنين بأعراب أجلاف وهو أشرف منزلة وأعظم مَحَلَّة ؟ ! ! فانقطع وأطرق ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا فى الندى وَالباس

فالله قد ضرب الأقلّ لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

واستمر فى إنشاده حتى أتم القصيدة . ولما أخـذت من يده لم يجدوا البيتين فيها فعجبوا من سرعة فطنته واهتز ابن المعتصم لذلك طربا وبهت له

سل عنى وعن القاسم فقيهى البصرة الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به فقال للأمير لا تسأل عنى ولا عنه فوالله الذى لا إله إلا هو إن إياسا أفقه منى وأعلم بالقضاء فأن كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب وإن كنت صادقا فينبغى لك أن تقبل قولى . فقال له أياس إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال له عدى : أما إذ فهمتها فأنت لها واستقضاه . ويروى من لطف حسه أن تراءى الهلال فى رمضان جماعة فيهم أنس بن مالك رضى الله عنه وقد قارب المائة فقال أنس قد رأيته هو ذاك وجعل يشير إليه فلا يرونه ونظر إياس إلى أنس وإذا شعرة من حاجبه قد انثنت فمسحها إياس وسواها بحاجبه ثم قال له يا أبا حمزة أرنا موضع الهلال فجعل ينظر ويقول ما أراه . ويروى عنه أنه قال ما غلبنى أحد قطسوى رجل واحد وذلك أني كنت بمجلس القضاء بالبصرة فدخل علىّ رجل شهد بأن البستان الفلانى وذكر حدوده هو ملك فلان فقلت له كم عدد شجره فسكت ثم قال الرجل منذ كم يحكم القاضى فى هذا المجلس فقلت منذ كذا فقال كم عدد خشب سقفه فقلت له الحق معك وأجزت شهادته . توفى بضيعة له فى قرية بين البصرة وخوزستان سنة ١٢٢ هـ وعمره ست وسبعون سنة .

متعجبا ووقع له بالموصل . وقد اشتهر ذلك بين الناس حتى كتب الحيص بيص(١) إلى الامام المسترشد : إن الموصل كانت جائزة لشاعر طائي. وكونه بنى الأمر على ماقاله الناس من غير تحقيق ، بعيدٌ. ويمكن أن يكون جعله ذريعة لحصول مطلوبه . وبعضهم أنكر تولية أبي تمام الموصل واحتج بأن الصولى قال : إن الحسن بن وهب اعتنى به وولاه بريد الموصل فأقام بها أقل من سنتين ومات . ويمكن التوفيق بينهما .وأماماقيل أن الفيلسوف الكندى قال لابن المعتصم أى شيء طلبه فأعطه فأنه لا يعيش أكثر من أربعين يوما لأنه ظهر فى عينه الدم من شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا المقدار ، فقال له ماتشتهى فقال أريد الموصل فأعطاه إياها فتوجه اليها وبقى هـذه المدة ومات ، فلا أصل له .

والصحيح أن أبا تمام لما خرج من عند ابن المعتصم بعد إنشاد القصيدة قال الفيلسوف الكندى هذا الفتى يموت قريبا لأن ذكاءه ينحت عمره كما يأكل السيف الصقيل غمده .

---

(١) هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفى التميمى . كان أخبر الناس باشعار العرب واختلاف لغاتهم وكان فيه تيه وتعاظم لا يخاطب أحدا الا بالفصيح من الكلام وكان فقيها شافعى المذهب تكلم فى مسائل الخلاف إلا أنه غلب عليه الادب ونظم الشعر وأجاد فيه مع جزالة . وكان يلبس زى العرب ويتقلد سيفا فقال فيه بعضهم :

كم تبادى وكم تطول طرطو　　رك ما فيك شعرة من تميم
فكل الضب واقرط الحنظل اليا　　بس واشرب ماشئت بول الظليم
ليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ　　ـرى ولا يدفع الاذى عن حريم

بديهة أبى القاسم النيسابورى

ومن العجيب ماتقل عن أبى القاسم على بن محمد النيسابورى وهو أنه دعاه مخدومه الحميد وأمره أن يكتب كتابا إلى بعض أصحاب الأطراف وركب متصيدا واشتغل أبو القاسم عن ذلك بمجلس أنس عقده من إخوان جمعهم عنده ، وحين رجع من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره باستصحاب الكتاب الذى رسم له كتابته ليعرضه عليه ؛ ولم يكن كتبه فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار كتاب أوهم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له وقعد بالبعد عنه وقرأ عليه كتابا طويلا سديدا بليغا أنشأه فى وقته وقرأه عن ظهر قلبه فارتضى به الحميد وحسب أنه قرأه من سواد مكتوبه وأمره بختمه فرجع الى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم فى أمثاله

فلما بلغته الابيات قال

لا تضع من عظيم قدرى وان كنـ ... ـت مشارا إليه بالتعظيم
فالشريف الكريم ينقص قدرا ... بالتعدى على الشريف الكريم
ولع الخمر بالعقول رمي الخمـ ... ـر بتنجيسها وبالتحريم

ومن شعره

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نعفو ونصفح
فحسبكمو هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذى فيه ينضح

وقيل له الحيص بيص لأنه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال ماللناس فى حيص بيص فلزمه هذا اللقب . والعرب تقول وقع الناس فى حيص بيص أى شدة واختلاط . توفى سنة ٥٧٤هـ ببغداد .

نوادر الصلات والجوائز

وقد وهب الموصل شرف الدولة مسلم بن قريش جائزة لبعض شعرائه فقيل للشاعر إنها لاتبقى عليك فلو بعتها لنواب الامير لكنت موفقا فابتاعوها منه بعشرين ألف دينار . فلما بلغ شرف الدولة ذلك قال : ائتونى به فلزم إذنه وقال قبضت المال قال نعم. قال وأنت راض قال أجل والله . فعرك حينئذ أذنه وقال له لقد بعت رخيصا . هلا لزمت يدك وطلبت مائة ألف دينار فما كان لهم غناء عن دفع المال إليك .

ويروى أن المعز العلوى (١) سمع شعر أبى القاسم الحسن بن هانىء (٢) المغربى

---

(١) هو أول خلفاء الفاطميين بمصر وقد دخلت فى حكمهم سنة ٣٥٨ ﻫ وكان أديبا شاعرا وينسب اليه قوله

لله ما فعلت بنا — تلك المحاجر فى المعاجر
أمضى وأقضى فى النفو — س من الخناجر فى الحناجر
ولقد تعبت ببينكم — تعب المهاجر فى الهواجر

وقوله

اطلع الحسن فى جبينك شمسا — فوق ورد من وجنتيك أظلا
وكأن الجمال خاف على الور — د جفافا فمد بالشعر ظلا

(٢) ابن هانى الاندلسى الازدى كان أبوه من قرية المهدية بأفريقية وكان شاعرا أديبا من قرية المهدية بأفريقية فهاجر الى الاندلس لطلب الرزق ونزل إشبيلية فولد له بها ابنه محمد سنة ٣٢٦ ﻫ

وقد اشتهر ابن هانىء بالمدح والمبالغة فى صفات ممدوحيه وهو القائل فى مدح المعز لدين الله

ما شئت لا ما شاءت الاقدار — فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبى محمد — وكأنما أنصارك الانصار

الأندلسى فأنفذ إليه وأوفده عليه رغبة فى الادب ومنافسة على شرف الرتب فلما اتصل بخدمته مدحه بقصائد يتضمنها ديوانه فكان كلما مدحه بقصيدة أعطاه ضيعة فلما خرج مملوكه جوهر وأخذ مصر خرج المعز فلما جلس للهناء دخل عليه ابن هانىء واستأذن فى الايراد فأذن له فأنشده قصيدة يقول فيها

ألا إنمـــا الأيام أيامك التى | لك الشّطر من نعمائها ولنا الشطر

فالتفت إلى وزيره وقال اكتب له بالاسكندرية وسلموها إليه بمن فيها فهى شطر وقد خصصناه به

ولما دخل ابو الحسن على بن محمد التهامى على حسان بن جرّاح الطائى صاحب الشام أنشده كلمته التى يقول فى أولها

هل الوجد إلا أن تَلُوح خيامها | فيقضِى بأهداء السلام ذِمامُها

والمعروف أنه لم يقدم مصر وإنما خرج مع المعز لدين الله مشيعا له حين سافر الى مصر ثم استأذنه فى الرجوع إلى المغرب لأخذ عياله واللحاق به ثم لما قصد مصر نزل فى طريقه ببرقة وسكر فى دار أحد أصحابه فعربدوا عليه وقتلوه وذلك سنة ٣٦٢هـ . فلما بلغ المعز أمره حزن عليه حزنا شديدا وقال : كنا نريد أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا

والقصيدة التي هنأ بها ابن هانىء المعز بفتح مصر أنشده أياها وهو فى طريقه إليها بمدينة المنصورية أو بالقيروان ببلاد المغرب وأولها

يقول بنو العباس هل فتحت مصر | فقل لبنى العباس قد قضى الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر | تطالعه البشرى ويقدمه النصر
وقد أوفدت مصر إليه وفودها | وزيد إلى المعقود من جسرها جسر
فما جاء هذا اليوم إلا وقد غدت | وأيديكم منها ومن غيرها صفر
فلا تكثروا ذكر الزمان الذي خلا | فذلك عصر قد تقضى وذا عصر

فلما بلغ إلى قوله

ألا إن طَياً للمكارم كعبة ... وحسان منها ركنها ومَقامها[1]

تقلّ لك الأَرضون مِلكا وأهلها ... عبيد فهل مستكثر لك شامها

وهبه[2] مدينة حماة وأعمالها

ومن غزل هذه القصيدة

إذا كان حظى حيث حطت خيامها ... فسيان عندى نأيها ومقامها[3]

وهل نافعى أن تجمع الدار بيننا ... بكل مكان وهى صعب مَرامُها

كأنى فى البيداء بيت قصيدة ... تناشده غيطانها وأكامها[4]

ومن مديحها

(١) الكعبة : بيت الله المعظم بمكة الذى يحج إليه المسلمون وكانت العرب فى الجاهلية تعظمه وتحجه أيضا والركن منه هو موضع الحجر الأسود والمقام هو المسمى بالمصلى أى الموضع الذى كان يصلى فيه سيدنا ابرهيم عليه السلام بعد بنائه الكعبة . يقول إن قبيلة طى هى فى الناس بمثابة الكعبة تقصد من كل ناحية وهذا الممدوح بين كرام رجالها مشهور شهرة هذين المشعرين بين مواضع مكة

(٢) يلاحظ ان الصواب وهب له لأن هذا الفعل يتعدي إلى الآخذ باللام قال تعالى (ووهبنا له إسحق ويعقوب)

(٣) المعنى إذا لم يكن لى من المحبوبة إلا أن أطوف بربعها ولا أصل إلى مجالستها والتمتع بلقائها فسواء عندى أقامت أم رحلت

(٤) الغيط المطمئن الواسع من الأرض . الاكام جمع أكمة وهى التل يقول إنه فى الصحراء تتقاذفه نواحيها كأنه بيت من قصيدة (صوت) تتجاوب به النواحي

همُ يمزُجون الدّر للطفل بالعلا فينشو عليها لحمها وعظامها(١)
وإن فطَموا أطفالهم بعد برهة فعن دَرّهاالا عن علاها فِطامها

وأورد له فى اليتيمة قوله

يُخَــبِّرنا عن جوده بِشرُ وجهه . وقبل طلوع الفجر تأتى بشائره
ويصدُق فيه المدحُ حتى كأنما يسبِّح من صدق المقالة شاعرُه
يكاد لأِدْمانِ القراع حسامُــه يسابقه نحو الطُّلا ويُبادره(٢)

وقوله

فتى جُبلت يداه على العطايا كما جُبل اللسان على الكلام
فيسراه لنيلِ أو عِنــــان ويمنــــاه لرمح أو حسام(٣)

وقوله

فأنك مِغْناطيس كل فضيلة فلاافضل الاوهو نحوك صائر

(٥) الدر اللبن . يقول إن هؤلاء القوم يغذون أطفالهم مع اللبن بالعلا فينمو على هذه العلا لحم وعظم

(٦) الأدمان: مداومة الشيء . القراع : المضاربة . الطلا جمع طلية بالضم وهى العنق والمعنى ظاهر

(٧) النيل : العطاء . العنان اللجام . المعنى أنه باليسرى يعطى أو يصرف لجام فرسه وباليمنى يضرب بالسيف أو يطعن بالرمح والمراد أن عمله مقسم بين الجود والشجاعة

وقوله

غدوا بهلال من هلال بن عامر　　مَرامُ هلال الأفق دون مرامه[1]

تردد فيه الحسن من عن يمينه　　ويَسرته وخلفِـــه وأمامِه

وموت الفتى فى العزّ مثلُ حياته　　وعيشتُــه فى الذل مثلُ حِمامه[2]

ومن فاته نَيْـل العلا بعلومه　　وأقلامـــه فليبغِها بحسامه

وأورد له فى «الدمية» بعد قوله فى حقه : وله شعر أدق من دين الفاسق وأرق من دمع العاشق كأنما رُوِّحَ بالشمال أو علل بالشمول(٣) فجاء كنيل البغية ودرك المأمول ، قوله

أَهتز عند تمنى ذكْرها طربا　　وربَّ أُمنيَّةٍ أحلى من الظَّفَر

تجنى علىّ وأَجْنى من مراشفها　　فى الجَني والجنايات انقضى عمرى

أهدى لنا طيفُها نجدا وساكنه　　حتى التقينا ظباء البدو فى الحضر[4]

(١) شبه المرثى بالهلال فى الحسن وإقبال الآمال ثم جانس بين لفظ هلال بمعنى البدر فى أول نشأته وهلال أبى القبيلة فكان جناسا حسن الموقع جدا . ثم قال ان همة هذا المرثي كانت ترتقى فوق رقى منزلة القمر وعلوه

(٢) المعنى أن العظيم الجليل القدر يتساوى فى الشهرة وذيوع الفضل ودوام الذكر ان يكون حيا بين الناس أو ميتا طوى شخصه الموت فأن مآثره لا سبيل إلى إخفاء ضوئها المتكامل

(٣) روح بالشمال أى تنسم ريحها فهو يرتاح لذلك لأن ريح الشمال باردة محبوبة . وعلل أى سقى مرة بعد مرة . والشمول الخمر والمعنى أن هذا الشعر فى رقته وصفائه أوفعله بالنفوس كأنما مزج بالخمر فصار متعاطيه نشوان بما فيه من أثرها

(٤) الطيف الخيال الطائف فى المنام . والمعنى أن خيال المحبوبة زاره فذكره ببلاد نجد وسكانها حتى رأى فى صور هذه الذكرى صورة الظباء التى تسرح فى هذه الأماكن . وفى الاصل حتى افتضينا ولم نر هذه الصيغة فى كتب اللغة فبدا لنا انها محرفة عن التقينا وهى بمعنى صادفنا ووجدنا

فبات يجلو لنا من وجهها قمرا　　من البراقع لولا كُلْفَةُ القمر (١)

وراعها حر أنفاسى فقلت لها　　هواى نار وأنفاسى من الشرر

فزاد دُرَّ الثنايا دُرُّ أدمعهـــا　　فالتف منتظم منه بمنتثر (٢)

فما نَـكِرْنا من الطيف الملم بنا　　ممن هَوِيناه إلا قلّة الخَفَر (٣)

ومن مديحها:

لولاه لم يقض فى أعدائه قلم　　ومِخْلَبُ الليث لولا الليث كالظُّفُر (٤)

ماصَرّ الا وصلّتْ بِيضٌ أنْصُلُه　　فى الهام أو أطّتِ الأرماح فى الثُّغَر (٥)

---

(١) كلفة القمر مافيه مما يشوب صفاء لونه وهى فى الاصل حمرة كدرة والمعنى أن طيف الخيال أظهر له المحبوبة من تحت البرقع قمرا لا يعيبه مافى القمر من كلفة .

(٢) المعنى أن الدموع لما تناثرت وهى بيضاء مستديرة كالدر اجتمعت مع أسنانها الشبيهة بالدر أيضا فالتقى در منظوم بدر منثور .

(٣) نكر فلان الأمر استنكره . والخفر الحياء . والمعنى أن الطيف مثل المحبوبة فى كل شىء من أمورها إلا الحياء فهى تمتاز به .

(٤) المعنى لولاه لم يضعف أمر الاعداء ولم يجر قلم بالتصرف فى أمورهم وليس كل قلم لكاتب فاعلا ذلك إذ المخلب لولا أنه فى يد الاسد لعد ظفرا لاشأن له .

(٥) صر القلم سمع له صوت عند الكتابة . صل السيف صليلا أحدث صوتا عند الضرب به . أط الرحل صوت. الثغر جمع ثغرة وهي الفجوة فى الشىء والمراد بها مواضع الطعن فى الجسم والمعنى أنه إذا أصدر أمرا بقتال العدو نفذ أمره فأعملت السيوف والرماح

وغادرت فى العدا طعنا يَحُفُّ به ضرب كما حَفَّتِ الأعكان بالسُّرَرِ[١]

ومن أخرى قوله:

حازكِ البين حين أصبحتِ بدرا إن للبدر فى التنقل عذرا[٢]

فارحلى إن أردت أو فأقيمى أعظم اللهُ للهوى فىّ أجرا

لا تقولى لقاؤنا بعد شهر لستُ ممن يعيش بعدك شهرا

إن خُلف الميعاد منك طِباع فبِعدينا إذا تفضلت هجرا[٣]

ومن مديحها:

قلما دبّر الاقاليم حتى قال فيه أهل التناسخ أمرا[٤]

يتبع الرمحُ أمره إن عشرين ذراعا بالرأى تخدُم شبرا

لا تقيم الأموال عندك يوما فلِمَ لم يكون مالك سَفْرا[٥]

---

(١) العكنة ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . والمعنى ظاهر

(٢) لما صرت كالبدر فى الحسن أصبحت مثله فى الغياب وإن عذر البدر فى التنقل هو قسمته العدالة بين أهل الارض حتى لا يحرم أحد من جماله

(٣) الطباع ككتاب الطبع والسجية . يقول : لقد صار خلف الميعاد سجية فيك فعدى بالهجر حتى تخلفيه على مجرى سجيتك فيصير الهجر وصالا

(٤) يقول إنه قد بدا من قلمك كل عجيب من الأمور فى تدبير الأقاليم حتى قال من يعتقد تناسخ الأرواح إن له شأنا فلعله قد حلت فيه روح قوية منحته هذه القوة

(٥) السفر : المسافرون جمع سافر بمعنى مسافر كصحب جمع صاحب والمعنى ظاهر

آنصف المال من نوالك يامن ... بيديه آمر المظالم طرا
جرت فى بذله وأحكامك العد ... ل فأن كان قد أساء فغفرا[١]

وقوله:

لو جادهن غداة زمن رواحا ... غيث كدمعى ما أردن براحا[٢]
حانت لفقد الظاعنين ديارهم ... فكأنهم كانوا لها أرواحا[٣]
وأرى العيون ولا كأعين عامر ... قدرا مع القدر المتاح متاحا[٤]
متوارثى مرض الجفون وإنما ... مرض الجفون بأن يكن صحاحا[٥]
أبرزن من تلك العيون أسنة ... وهززن من تلك القدود رماحا[٦]

(١) يقول إن من شأنك العدل فى كل أحكامك ولكنك جرت فى أمر المال فأن كان ذلك منك عقابا فاعف عنه

(٢) جاده الغيث كثرهطلانه عليه . البراح مصدر برح المكان بمعنى زايله والمعنى ظاهر

(٣) حان الرجل هلك . والمعنى ان الديار هلكت وماتت حين فارقوها فكأنهم كانوا أرواحها

(٤) أتيح الأمر قدر وهيء : يقول إن عيون هؤلاء الجميلات هى فى قوتها كالقدر الذى اذا وقع فلا مرد له وقبيلة عامر مشهورة بجمال عيونها

(٥) مرض الجفن . فتوره وانكساره وامتناع تلك الحملقة المخوفة منه وذلك جمال فى العيون. يقول إن هؤلاء قد توارثوا هذا النوع من الجمال ولا يظن أن المرض بهذا المعنى ضعف فى العين بل هو من مظاهر صحتها وجمالها

(٦) يقول إن عيونهن تشبه الأسنة فى طعنها وشدة تأثيرها وقد ودهن وهى قاماتهن المعتدلة تشبه الرماح. وهذا الاسلوب يسمى فى البديع تجريدا ، كقولك لقيت من فلان أسدا

يا حبذا ذاك السلاح وحبذا   وقت يكون الحسن فيه سلاحا
أهوى الفتى يُعلى جَناحا للعلى   أبدا ويَخفض للجليس جَناحا
وأُحب ذا الوجهين وجها فى الندى   نَديًا ووجها فى اللقاء وَقاحا[1]
يرمى الكتيبة بالكتاب إليهم   ويرون أحرفه الخميسَ كفاحا
من نِقْسه دُهْما ومن ميماته   زَرَدًا ومن ألفاته أرماحا[2]

وقال ابن بسام فى حقه كان مشتهر الاحسان ذَرِب اللسان ، يخلى بينه وبين ضروب البيان . يدل شعره على فوز القِدْح دلالة النسيم على الصبح . ويعرب عن مكانه من العلوم ، إعراب الدمع عن سر الهوى المكتوم وله من قصيدة :

قلت لخِلّى وثغور الربا   مبتسمات وثغور الملاحْ
أيُّما أحلى ترى منظرا   فقال لا أعلم كلٌّ أقاحْ

ولابن سَناء الملك (٣) من قصيدة:

(١) الوقاح من كل شىء الصلب والندى ما خالطه الندي فصار غضا طريا فهو ضد الوقاح ومؤنث ند نديه والمعنى ظاهر

(٢) يقول إنه يحارب الاعداء بالرأى يرسله عليهم فى كتبه فتكون أحرفها بمثابة الخميس فالنقس أى الحبر دهم (جمع أدهم) أى قيود والميمات فى تحلقها كالزرد وهو الدرع والالفات بمثابة الرماح

(٣) هو من الشعراء والكتاب المبدعين على عهد الدولة الايوبية بمصر كان واسع النعمة وثيق الصلة بالقاضى الفاضل وله ديوان شعر سماه دار الطراز جميعه موشحات ومن شعره الجيد قصيدته المشهورة التى أولها

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى   وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا

توفى بالقاهرة ، سنة ٦٠٨ ه

فتحيرتُ أحسب الثغر عقدا لسليمى وأحسب العقد ثغرا
فلثِمْت الجميع قطعا لشكى وكذا فعلُ كلّ من يتحرى

وله:

وإذا جفاك الدهر وهو أبو الورى طرا فلا تَعْتِبْ على أولاده

عود الى أخبار أبى تمام

ولما مدح أبو تمام محمد بن عبد الملك الزيات بقوله :

ديمة سمحة القياد سكوبُ مستغيث بها الثرى المكروبُ[1]
لَوْسعت بقعة لإِعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب[2]
لَذّ شُؤْبوبها وطاب فلو تسـ طيع قامت فعانقتها القلوب[3]
فهى ماء يجرى وماء يليه وعَزالٍ تَنشا وأخرى تذوب[4]
كشف الروضُ رأسه واستسر الْـ مَحْلُ منها كما استَسرّ المُريب[5]

---

(١) الديمة مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو .... المكروب من الثرى : اما أن يكون معناه الحزين لعدم ريه أو المثار للزراعة فهو أيضا ينتظر الماء انتظار اللهفان . والمعنى ظاهر

(٢) أى لو أن بقعة من الأرض تسعى نحو النعمى الواصلة إليها إكراما لها لسعى المكان الجدب إلى هذه الديمة لعظم النعمة بها

(٣) الشؤبوب . الدفعة من المطر . المعنى أن مطر هذه الديمة شائق جميل محبوب الى النفوس فلو استطاعت لقامت تعانقه

(٤) العزلاء . مصب الماء من الراوية والجمع عزال كجوار أو عزالى كحبالى وتنشا مسهل تنشأ . والمعني ظاهر

(٥) استسر . اختفى . المحل الجدب . المريب. المتهم من أرابنى جعلنى أظن به الريب أى أتهمه . والمعنى أن الروض ظهر بعد خفاء فكأنه أزاح عن رأسه غطاء كان يغطيه أما المحل فاختفى وصار لا أثر له

فأذا الرَّىُّ بعد محل وجُرجا ن لديها يَبْرِينُ أو مَلْحُوب[1]

يقول هذه الديمة بدوامها صارت هذه البلدان صحارى

أيها الغيث حَىِّ أهلا بمغدا ك وحين السرى وحين تؤوب[2]

لأبى جعفر خلائقُ تحكيـ ـهن قد يشبه النجيبَ النجيب

أنت فينا فى ذا الأوان غريب وهو فينا فى كل وقت غريب

يجذب النائبات إذ تعتريه ورجال يبكون حين تنوب[3]

فاذا الخطاب راث نال الندى والـ ـبذل منه ما لا تنال الخطوب[4]

---

(١) يقول إن جرجان والرى صارتا بعد المحل مثل يبرين وملحوب وهما موضعان فى بلاد العرب فأما وجه الشبه فذلك ما تشعبت فيه الآراء . هل هو الخصب أو ما ينشأ عنه من اجتماع الناس. فكأن الناس كثروا بالرى وجرجان بعد اخصابهما بهذه الديمة فصاروا فيهما كثيرين مثل كثرتهم بيبرين وملحوب. أو هو الاقفار والخلو وذهاب العمارة لأن كثرة المطر خربت هذين الصقعين حتى صارا كهذين الموضعين من بلاد العرب ومن مثل هذا المصير يحترس الشاعر حين يقول:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

(٢) المغدى هنا مصدر ميمى بمعنى العدو وهو الخروج صباحا . والسرى السير ليلا . والأياب الرجوع . . والمعنى ظاهر

(٣) فى رواية الديوان المطبوع بالتزام « محمد جمال » . ضاحك فى نوائب الدهر طلق . وملوك . . والمعنى على الرواية الأولى أنه لا يفر من نوائب الدهر بل يتعرض لها ويجذبها نحوه استهانة بخطرها والمعنى على الثانية ظاهر

(٤) فى رواية الديوان فاذا الخطب طال . والمعنى عليهما واحد أى أن الخطب إذا راث أى أبطأ إقلاعه أو طال أى بقى لا يبرح حاربه ببذله ونال منه فى بهره وكسر شوكته مالم ينله الخطب من الناس

خُلُقٌ مُشرق ورأي جسيم ووداد عذبٌ وريح جنوب(١)

كلَّ يوم له وكلَّ أوان كرمٌ ضاحك ومال كئيب

إن تقاربْه أو تباعده مالم تأت فحشاء فهو منك قريب

ما التقى وَفرُه ونائله مـذ كان إلا ووفره المغلوب

فهو مـدن للبذل وهو بغيض وهو مقص للمال وهو حبيب

يأخذ الزائرين قسرا ولو كـ ف دعاهم إليه جِزْع خصيب(٢)

---

(١) فى رواية الديوان حسام كغراب وهو السيف القاطع والمعنى أن رأيه شبيه بالسيف القاطع فى نفاذه

(٢) فى رواية الديوان المعتفين بدل الزائرين والمعتفى طالب الجود وهو المراد بالزائر. ولكلمة الزائر قصة ، وذلك أن طلاب المعروف كانوا يسمون على عهد الامويين السؤال حتى قال خالد بن برمك هذا والله اسم استثقله لطلاب الخير وأرفع قدر الكريم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤملين لأن فيهم الاشراف والاحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ولكننا نسميهم الزوار فقال بشار على البديهة وكان حاضرا هذا المجلس

حذا خالد فى فعله حذو برمك فمجد له مستطرف وأصيل

وكان ذوو الآمال يدعون قبله بلفظ على الأعدام فيه دليل

يسمون بالسؤال فى كل موطن وإن كان فيهم نابه وجليل

فسماهم الزوار سترا عليهم فأستاره للمجتدين سدول

فسموا من ذلك الحين زوارا

بقية شرح البيت . القسر . القهر . الجزع من الوادى منعطفه أو وسطه ولا يسمى جزعا حتى تكون له سعة تنبت الشجر . ومعنى البيت أن هذا الممدوح يجذب اليه قصاده قهراً من شدة رغبته فى الكرم ولو أنه ترك هذا الالحاح فى جمعهم حوله لاجتمعوا من تلقاء أنفسهم لأن كنفه خصيب وجانبه معشب والناس ميالون دائما إلى حيث تكون فائدتهم

غير أن الرأى المسدد يحتا ط مع العلم أنه سيصيب[1]

قال له ابن الزيات يا أبا تمام إنك لتحلى شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك مايزيد حسنا على بهى الجواهر فى أجياد الكواعب وما يدخر شىء من جزيل المكافأة الا ويصغر عن شعرك فى الموازاة ، وكان بحضرته فيلسوف فقال : إن هذا الفتى يموت شابا فقيل له: ومن أين حكمت عليه بذلك ؟ فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ، ما علمت أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده .

وفى قول أبى تمام « لو سعت بقعة لأعظام نعمى » شمة من قول الفرزدق

يكاد يمسكه عرفانَ راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم[2]

ومن أبى تمام أخذ البحترى قوله :

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لسعى إليك المنبر

---

(١) فى رواية الديوان الرامى بدل الرأي ورواية الديوان أولى لما يرشحها من ذكر التسديد والاصابة . سدد السهم صوبه نحو الضريبة . والمعنى على رواية الديوان . الرامى المسدد (بصيغة الفاعل) مع علمه انه سيصيب الضريبة فانه يحتاط ويجتهد فى الاصابة حتى يضمن تمام التوفيق . وعلى روايتنا أن صاحب الرأى المسدد (بصيغة المفعول) لا يألو اجتهادا فى الاصابة والتوفيق مع ثقته بصواب رأيه وعلى الروايتين يكون البيت كله تمثيلا أى أن هذا الكريم يجتهد فى جذب الناس اليه مع علمه أن لو تركهم لحضروا من تلقاء أنفسهم ولكنه يفعل ذلك احتياطا وتحريا فى الكرم

(٢) استلم الحجر . لمسه إما بالقبلة أو اليد كاستلأمه . أما تناول الشىء وأخذه فهو التسلم وإعطاؤه التسليم يقال سلمته المال فتسلمه . . . الحطيم هو الجدار المدار حول الكعبة جهة الشمال أو ماحواه هذا الجدار أو ما بين الركن الأسود إلى الباب حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت الجاهلية تتحالف هناك وركن الحطيم فيه الحجر الأسود . وكلمة عرفان منصوبة على أنها مفعول لأجله والمعنى ظاهر

وتبعه المتنبي في قوله:

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت مُحَيِّيَةً إليك الأغصنا

واقتفى بعض المتأخرين هذا الأثر فقال (١)

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته يَظن لظن البردُ أنك صاحبهُ

وقال وقد أُعطِيته ولبسته نعمْ هذه أعطافهُ ومناكبه

عود الى أبي تمام

وفضائل أبي تمام لا ترد ومحاسنه لا تعد فأن له أيضا غير هذه القصيدة الماضية فى وصف الغيث قوله:

لم أر عيرا جمة الدُّءوب تواصل التهجير بالتأويب(٢)

---

(١) يلاحظ أن هذين البيتين مرويان للبلاذرى أحد جلساء المستعين وأن الشعراء قصدوه فقال لهم لاأقبل الا ممن قال مثل قول البحترى . ولو ان مشتاقا قال البلاذرى فرجعت الى بيتى ثم لقيته وقلت له قد قلت فيك أحسن مما قال البحترى .وأنشد البيتين . ولو أن برد المصطفى ..... فقال له المستعين ارجع إلى بيتك وافعل ماآمرك به فرجع وأرسل إليه بسبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث بعدى ولك علىّ الجراية والكفاية مادمت حيا . وقد كانت أيام المستعين والمتوكل قبل أيام المتنبي بكثير فالبلاذرى توفى سنة ٢٧٩هـ والمتنبي سنة ٣٥٣هـ .وماذكرناذلك إلا لما يشعر به سياق المؤلف من أن البلاذرى متأخر عن المتنبي فأردنا نفى هذا الشك عن القارىء

(٢) ورد هذا البيت فى نسخة الديوان هكذا

لم أر غير جمة الدءوب تواصل الادلاج بالتأويب

وكلمة غير مصحفة عن « عيرا » وكلمة الادلاج تناسب المعنى أكثر من التهجير فى رواية الاصل كما سنشرح

العير . الابل تحمل الميرة . الدءوب . الجد فى العمل . التهجير . السير فى الهاجرة (نصف النهار) .التأويب . السير عامة النهار . الادلاج . السير أول الليل .

أبعد من أينٍ ومن لُغوب   منها غداة الشارق المهضوب[1]

نجائبا وليس من نجيب   شبائه الأعناق بالعُجوب[2]

يقول السحائب كنوق نجائب ليست من فحل وهي شبيهة المقدم بالمؤخر

كالليل أو كاللوب أو كالنُّوب   منقادة لعارضٍ غربيب[3]

كالشيعة التفت على النقيب   آخذة بطاعة الجُنوب[4]

ناقضة لمرَرِ الخطوب   تـكُفُّ غربَ الزمن العصيب[5]

والمعنى أنه يشبه السحب بجماعة الابل المجدة المغذة فى السير التى تواصل سير النهار كله بسير الليل ومن ذلك تظهر روايه التهجير والتأويب ضعيفة لانها لا تجمع إلا سير النهار وحده فالمبالغة حاصلة فى رواية الديوان أكثر منها فى رواية الاصل

(١) الأين واللغب شدة التعب . الغداة ما بين طلوع الفجر وشروق الشمس والشارق (هنا) المكان الشرقى . المهضوب : الممطور من هضبت السماء بمعنى مطرت فأصله مهضوب عليه فحذف الضمير ووصل لأنه لا يصاغ اسم المفعول من اللازم الامع الظرف أو الجار والمجرور . والمعنى المجتمع من البيتين : لم أر عيرا كثيرة الجد تواصل الليل بالنهار أقوى على احتمال التعب من هذه الابل (السحب) التى غدت على الجانب الشرقى فأمطرته

(٢) رواية الديوان شيابة . أما شبائه فهى جمع شبيه بمعنى مشابه والمعنى ان هذه النجائب (السحائب) التي لا ترجع فى نسبها إلى فحل تشبه أذنابها أعناقها

(٣) اللوب جمع لابة وهى الحرة أى الارض ذات الحجارة السود . النوب جيل من السودان . العارض . السحاب المعترض فى السماء . الغربيب . الشديد السواد والمعنى ظاهر

(٤) فى الاصل كالسيعة ولا معنى له والصواب كالشيعة وهى رواية الديوان. النقيب عريف القوم والقائم بتدبير أمرهم . الجنوب (هنا) القلوب لانها مواضعها والمعنى ظاهر

(٥) المرر جمع مرة وهى القوة من قوى الحبل . الغرب . الحدة . العصيب الشديد والمعنى ظاهر

مَحَّاءة للأزمة اللزوب محو استلام الركن للذنوب(١)
لما بدت للأرض من قريب تشوفت لوبلها السَّكوب
تشوُّفَ المريض للطبيب وطربَ المحب للحبيب
وفرحةَ الأديب بالأديب وخيَّمت صادقة الشُّؤْبوب
فقام فيها الرعـد كالخطيب وحنّتِ الريح حنين النيب(٢)
والشمس ذات شارق محجوب قد غَرَبتْ من غير ما غروب(٣)
والأرض فى ردائها القشيب فى زَهَر من نبتها رطيب
بعد اشتهاب الثلج والضريب كالكهل بعد السن والتحنيب(٤)

(١) اللزوب . الشديدة اللزوم . الركن . ركن الكعبة الذى فيه الحجر الاسود . والمعنى ظاهر

(٢) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة ورواية الديوان الثوب ويفسرها معلق الشرح بالنحل ولامعنى لها إذ المعروف أن الحنين للنيب أما صوت النحل فهو طنين

(٣) فى الديوان والشمس ذات حاجب وهو أولى من شارق لان الشارق هو نفس الشمس حين شروقها أما الحاجب فهو جانب الشمس الذى يظهر عند طلوعها وتخرج رواية الأصل هنا على ان شارق بمعنى جانب شارق ولا داعى لهذا التأول مع وجود رواية لاتأويل فيها

(٤) فى رواية الديوان اشتهاب وهو مصدر اشتهب بمعنى اشهاب أى خالط بياضه سواد ورواية الاصل اشهياب وهو لايكون الا مصدر اشهب ولاوجود له فلذلك عدلنا عن هذه الرواية . وفى رواية الديوان . والتجريب وفى الاصل والتحنيب والمعنى عليهما مستقيم إذ التحنيب معناه تقوس الظهر ومنه شيخ محنب أى منحني الظهر . والضريب يكون بمعنى الثلج أو بمعنى الجليد والصقيع والاخيران مايجمد من الندى فيكون هشا كالقطن المندوف فيجب ان يراد هذا المعنى حتى تتم المخالفة بين المتعاطفين فى البيت

تَبَدَّلَ الشبابَ بالمشيب كم آنستْ من حاجز غريب
وغلَّبت من الثرى المغلوب ونَفَّسَتْ عن بارض مكروب
وسكّنت من نافر الجبوب وفتقت من مذنب يعبوب
وأَقنعتْ من بلد غريب تحفظ عهد الغيث بالمغيب
لذيذة الرَّيِّق والصبيب كأنها تهمى على القلوب[١]

أبو العباس الكندى (هكذا ورد على حاشية النسخة والمراد قال أبو العباس الكندى« أى فى نفس المعنى »)

سارية فى غَسَق الظلام دانيةٌ من قُلَل الآكام[٢]
جاءت مجىء الجحفل اللُّهام فافترقت كالأبل السوام[٣]
كأنها والبرق فى ابتسام كتيبة مُذْهَبَةُ الأعلام[٤]
دنت من الأرض بلا احتشام ثم بكت بكاء مستهام
وانتشرت بسابغ الأنعام وثروة تَحْكُمُ فى الأعدام

(١ الريق من المطر أوله والصبيب ما انصب من المطر يقول إن هذه الديمة لذيذة حسنة فى أول أمرها وآخره فكأنها حين تمطر انما تمطر القلوب فتكون عليها بردا وسلاما

(٢) القلل جمع قلة وهى أعلى الجبل

(٣) اللهام الجيش العظيم . السوام الابل السائمة يقال لهم سوام (كسحاب) وسوام(كدواب) وسائمة وسوائم بمعنى ابل مرسلة فى المرعى

(٤) مذهبة أى مطلية بالذهب . الاعلام جمع علم وهو الراية والمراد أن السحابة فى لمعان جوانبها تشبه لمعان الذهب فى أطراف الاعلام وليس المراد ذات اللون والاقال مفضضة لان لون البرق أبيض فليس يشبه الا لون الفضة

وقال فيه أيضا (المراد قال أبو تمام فى وصف الغيث)

حمادِ من نَوْءٍ له حماد فى ناجرات الشهر لا الدآد

حماد أى حمدا لهذا النوء بعد حمد وناجرات أوائل. والدآد الأواخر

أَطْلَقَ من ضر ومن نآد فجاء يحدوها فنعم الحادى[١]

سيارةً مُسْمِحة القياد مسودَّةً ، مبيضة الأيادى[٢]

سهادةً نوامة بالوادى كثيرة التعريس بالوهاد[٣]

نزالة عند رضا العباد قد جعلت للمحل بالمرصاد

سيقت يبرق ضَرِمِ الزِّناد كأنه ضمائر الأغماد[٤]

(١ ، ٢) النآد كسحاب . الداهية . والضمير فى يحدوها عائد على السيارة فى البيت التالى وهى واقعة مفعولا به لأطلق ولذلك جاز عود الضمير عليها لأنها متقدمة فى الرتبة اذ هى جزء من جملة أطلق فتكون أسبق من المعطوف وهو فجاء . وفاعل أطلق هو النوء وهو كوكب يكون سقوطه فى الغرب مع ظهور آخر فى الشرق علامة المطر وقد كان ذلك أحد مسائل العلم عند العرب فى جاهليتهم حتى كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا ثم توسعوا فى الاستعمال حتى صار النوء بمعنى المطر نفسه اذ كان مسببا عن حركة هذا النجم . المسمحة من أسمحت الدابة أى انقادت ولانت بعد استصعاب . والمراد بقوله مسودة انها متراكمة مملوءة بالماء فتبدو سوداء أما بياض أياديها فلما يعقبها من خصب وخير

(٣) السهد الارق . التعرس النزول فى آخر الليل يريد أن هذه السحابة مقيمة بالوادى لا تبرحه فهى تسهد وتنام به

(٤) قوله سيقت من السوق وهو الدفع . ضرم الزناد أى مشتعل الزناد قوله ضمائر الاغماد كناية عن السيوف وهى من الكناية عن الموصوف، كقولك مجمع الاضغان أى القلب . يقول فى معنى البيت إن هذه السحابة ساقها برق مضطرم كأنه زناد يوقد نارا وكأنه حين يلمع سيوف تجرد من أغمادها

لما سَرَتْ فى حاجة البلاد ولحق الأعجازُ بالهوادى[١]

واختلط السواد بالسواد أَظفرتِ الثرى بمن تعادى[٢]

فرُوِّيتْ هاماتهُ الصوادى كم حملت لمقتر من زاد[٣]

ومن دواء سنة جَماد وجلبت من رُوقة العتاد[٤]

من القلاص الُخور والجلاد والمُقْرَبات الصَّفوْة الجياد[٥]

ومن حبير يُمْنة الأبراد من أتحميات ومن وُرَّادى[٦]

---

(١) الاعجاز جمع عجز وهو المؤخر . الهوادى جمع هاد وهو العنق

(٢) اختلط السواد بالسواد أى أشتد وذلك أن السحابة لما تراكمت وتتابعت اكفهرت ومعنى أظفرت الثرى بمن تعادى ، أن هذه الديمة جعلت الثرى يتغلب على ما تعاديه هذه الديمة وهو الجدب ومعنى عداوتها له انها تذهب به وتقضى عليه ولا يتصور اجتماعهما فى مكان فحيث يحل المطر يرحل الجدب وهذه الامور كلها لوازم العداوة ومظاهرها

(٣) الهامات جمع هامة وهى من الشيء أعلاه والمراد هنا الربا . الصوادى جمع صادية بمعنى عطشة المقتر الفقير

(٤) السنة الجماد التى لا مطر فيها . الروقة الشيء الجميل جدا العتاد . المعد المهيأ

(٥) القلاص جمع قلوص وهى الناقة الشابة القوية على السير . الخور جمع خوراء وهى الغزيرة اللبن . الجلاد جمع جلدة وهى كذلك الغزيرة اللبن المقربات جمع مقربة وهى الفرس التى تدنى وتقرب ولا تترك . الصفوة المختارة الجياد جمع جواد وهو الفرس البين الجودة الرائع

(٦) الحبير الجديد الناعم . اليمنة الثوب اليمنى . الابراد جمع برد وهو الثوب المخطط الاتحميات نوع من البرود . وراد اسم موضع والياء فيه للنسب وخففت للشعر ولعله كان مشهورا بعمل البرود فيكون الورادى ثوب كالاتحمى

هدية من صَمَد جواد ليس بمولود ولاولاّد[١]
ممنوعة من حاضر وباد حتى تحل فى الصعيد الثادى[٢]

وقلده البحترى فقال :

ذاتُ ارتجاز بحنين الرعـد مجرورةُ الذيل صدوق الوعد[٣]
مسفوحة الدمع لغير وَجْـد لهـا نسيم كنسيم الورد
وَرَنَّةٌ مثل زئير الأسـد ولمع برق كسيوف الهند

---

(١) الصمد الذى يصمد اليه أى يقصد وهو هنا الله سبحانه وتعالى

ومعنى الابيات من (٤ الى ٨) متصل بعضه ببعض . فهو يقول إن هذه السحابة حملت دواء وعلاجا لما كان من ضرر السنة الماضية التى لم تمطر وجلبت من كل جميل من القلاص والخيل وبرود اليمن (وكل هـذه أوصاف لقطع السحاب فقد جعلها مرة كالقلاص وأخري كالخيل وثالثة كالبرود وذلك لما يبدو من شكلها فأن السحاب فى السماء يتشكل بصور شتى مما يقع فى خيال العربى من جمال ولا يفتنه إلا صورة الناقه أو الجواد أو البرد) وكلمة هدية فى البيت الاخير إن نصبت تكون مفعولا به لجلبت فى البيت الرابع كأنه قال إن هذه السحابة جلبت (من الاشياء التى بينها) هدية من الله سبحانه وتعالى

(٢) يقال ثدى الشيء كرضى أى ابتل والمعنى بالصعيد المبتل بها

(٣) ذكروا فى قصة قول البحتري لهذه الابيات أنه دخل على المتوكل وهو جالس ببعض البرك والماء يسقط فيها فقال له قل فى هذا يابحترى قال البحترى ولم أكن ذا بديهة ولكننى اعتزلت جانبا حتى قلت الأبيات فقـال المتوكل انظروا ماذا فى الخزائن من ماء الورد العتيق فادفعوه الى البحترى قال فأخذت من ذلك شيئا وبعته بمال وانما دفع اليه المتوكل ماء الورد لقوله « لها نسيم كنسيم الورد »

ومعنى البيت الاول أن هذه السحابه يشبه صوت رعدها ارتجاز الراجز أى انه صوت موقع حبيب الى النفس

جاءت بها ريح الصَّبا من نجـد فانتثرت مثل انتثار العقد[١]
فراحت الأرض بعيش رَغْـد من وشي أنوار الربا في برد
كأنمـا غُدرانها في الوَهْدِ يلعبْنَ من حبابهـا بالنَّرْد[٢]

وقال كُشاجم

مقبلةٌ والخصب في إقبالها والرعد يحدو البرق في أجمالها[٣]
بخطبة أبدع في ارتجالهـا كأنها في ثِقَل انتقالها[٤]
تُجِلُّها الريح عن استعجالها إلا بما تَجذِب من أذيالها[٥]
فحين ضاق الجو عن مجالها وراحت الرياح من كلالها

(١) الصبا ريح تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار وإذا لحظت موقع سر من رأى أو بغداد التى كان فى احداها البحترى حين قال هذه الابيات علمت أن نجداً لا تـكون شرقى إحداها فتكون كلمة نجد ضرورة شعرية حكمت بها القافية الا أن يكون قد أراد تقليد العرب فى تمدحهم بريح الصبا ولم يراعِ موقع بلاده من نجد . وقوله فانتثرت مثل انتثار العقد أي سقطت قطراتها كأنها حبات لؤلؤ من عقد قد وهى نظامه

(٢) الحباب فقاقيع الماء . يقول فقاقيع الماء طافية عليه متنقلة من جانب إلى جانب كأنها حجارة النرد متنقلة بين أيدى اللاعبين

(٣) جعل الرعد حاديا لأن له صوتا وجعل البرق والاجمال (جمع جمل والمراد قطع السحاب المشبهة له) محدوين لظهور حركة الانتقال فيهما فان البرق تابع للسحابة يسير معها ويرى فى الناحية التى تكون فيها

(٤) الضمير فى كأنها للسحابة المدلول عليها بقوله فى البيت السابق مقبلة

(٥) هذه السحابة تنتقل بطيئة كأن الريح تهابها فلا تجرؤ على استعجالها فى السير إلا بجذب ذيلها

جَنوبها تشكو إلى شمالها دنت من الارض علي أذلالها[١]
كأنما تسألها عن حالها والدهر قد أصغى إلى مقالها[٢]
وكاد أن ينهض لاستقبالها فسمحت بالرى من زُلالها[٣]
حتى لقال التُربُ من تهطالها إن سِجِلّا لى على سَجَّالها[٤]
ثم انثني يُثْنى على فِعالها

تاريخ وفاة أبى تمام وموضع قبره

وتوفى أبو تمام بالموصل سنة أحدى وثلاثين ومائتين وبنى عليه أحد بنى حميد الطوسى قبة خارج باب الميدان على حافة الخندق(٥) . ولأجله استثنى الشاعر قبور الموصل فى قوله

---

(١) المعنى فى هذا البيت والذى قبله أن السحابة لما عظمت حتى ضاق الجو عن حركتها وكلت الريح من سوقها حتى اشتكت جنوبها إلى شمالها مالاقت من عناء فى ذلك ، لما كان ذلك مالت السحابة الى جانب الافق من تلقاء ذاتها. وكلمة أذلال جمع ذل بالكسر وهو مجرى الشيء وحاله التى هو عليها وقيل لامفرد للكلمة

(٢) الضمير الفاعل فى تسألها للسحابة والمفعول للارض

(٣) ماء زلال سهل المرور فى الحلق عذب بارد

(٤) السجل . كتاب العهد ونحوه ، وكاتبه ولكن الشاعر اشتق للكاتب صيغة سجال بمعنى كاتب العهد . والمعنى أن الارض لما رأت كثرة تهطال السحابة عليها قالت إن لى عهدا على ممطر هذه السحابة أن يمطرني ولكن الارض عادت بعد ذلك تثنى على فعال هذه السحابة وتعد ذلك منها تكرما وهذا مايفهم من تمام الارجوزة

(٥) ورفاته الآن فى حديقة البلدية بالموصل فى ضريح ضخم

سقى الله دَوح الغُوطتين ولا ارتوت   من الموصل الجدباء إلا قبورها[١]

ومات بعد موت أبي تمام دعبل الخزاعي وكان صديق البحتري فقال يرثيهما

قد زاد في كَلَفي وأوقد لوعتي   مثوى حبيب يوم مات ودِعْبل

أخويّ لا تَزَلِ السماء مُخِيلة   تغشاكما بسماء مزن مُسْبَل[٢]

جدث على الأهواز يبعُد دونه   مسرى النَّعِيّ ورِمّةٌ بالموصل[٣]

شيء عن دعبل

ودعبل هذا ابن عم أبي الشيص الشاعر ، وكان دعبل شاعرا مجيدا إلا أنه بذيّ اللسان مولع بالهجاء والحط من أقدار الناس ، وهجا الخلفاءَ ومن دونهم وطال عمره حتى تجاوز المائة وكان يقول : لى خمسون سنة أحمل خشبتى على كتفي أدور على من يَصْلِبنى عليها فما أحد يفعل ذلك . ولما عمل فى ابرهيم ابن المهدى

---

(١) ذكروا عن الموصل أنها طيبة الهواء لا يقيم بها الغريب سنة الا تبين فى بدنه فضل قوة وقالوا وليس بها من عيب الا قلة بساتينها وعدم جريان الماء فى رساتيقها . ولذلك ساغ للشاعر وصفها بالجدب

(٢) مخيلة أى متهيئة للامكان ومسبل بالبناء للفاعل وصف السماء أى سماء مرسله ماءها وبالبناء للمفعول وصف لمزن أى مزن أرسلته السماء

(٣) الرمة العظام البالية وليس من معانيها فى كتب اللغة الميتة النتنة كما يتبادر الى أذهاننا فهذا استعمال عامى والمعنى ان أحد هذين الاخوين جدثه بالاهواز بعيد عن الباكين عليه وعظام الآخر قد دفنت بالموصل

نفر ابن شَكْلَة بالعراق وأهلِهِ فهوى إليه كل أُطلس تائق[1]

إِنْ كانَ ابرهيم مضطلعا بها فلتَصْلُحَنْ من بعده لمُخارق[2]

ولتَصلُحَنْ من بعد ذاك لزُلْزُل ولتصلحَنْ من بعده للمارق

أنىَّ يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسقٌ عن فاسق

شكلة بفتح الشين جارية سوداء وهي ام ابرهيم ومخارق وزلزل بضم الزاى والمارق بالراء كانوا مغنين فى ذلك العصر . فلما بلغت ابرهيم الابيات دخل على المأمون فشكى[3] اليه حاله وقال يا أمير المؤمنين ؛ ان الله فضلك فى نفسك عليّ وألهمك الرأفة والعفو عني والنسب واحد وقد هجانى دعبل فانتقم لى منه فقال ما قال ؟ لعل قوله « نفر ابن شكلة ... » وأنشد الأبيات فقال هذا من بعض هجائه وقد هجانى بما هو أقبح منه فقال المأمون : لك اسوة بى فقد هجانى وقال فيّ :

أيسومني المأمون خطة جاهل أَوَ ما رأى بالأمس رأس محمد

إنى من القوم الذين سيوفُهم قتلتْ أخاكَ وشرَّفتك بمقعد[4]

شادوا بذكرك بعد طول خموده واستنقذوك من الحضيض الأوهد

---

(١) نفر غلب . الاطلس الرجل يرمى بالقبيح تاق إلى الشيء هم به والمراد بالتائق الثائر

(٢) كلمة مضطلعا بالاصل منطبعا وهى محرفة عما أثبتناه

(٣) يقال شكى يشكى كما يقال شكا يشكو

(٤) يشير الى قتل طاهر بن الحسين لمحمد الامين وطاهر من خزاعة التى منها دعبل ونلاحظ أن دعبلا استعمل شاد فى موضع أشاد لانه لم يرد فى رفع الذكر والثناء الا قولهم أشاد بذكره أما رفع البناء فقالوا فيه شاد وأشاد وشيد فلعله استعار الرفع الحسى للمعنوى . فهذا مخرجه

فقال ابرهيم : زادك الله حلما وعلما فما ينطق أحدنا إلا عن فضل علمك ولا نحلم الا اتباعا لك

ترجمة ابرهيم بن المهدى

وابرهيم هذا هو أخو الرشيد وكانت له اليد الطولى فى الغناء والضرب بالملاهى وحسن المنادمة ، وافر الفضل غزير الأدب ، واسع النفس ، سخى الكف . وبويع بالخلافة ببغداد والمأمون يومئذ بخراسان . وأقام خليفة مقدار سنتين ولقب بالمبارك . بايعه العباسيون فى الباطن ثم بايعه أهل بغداد وخلعوا المأمون . فلما توجه المأمون إلى بغداد من خراسان خاف ابرهيم على نفسه فاستخفى الى أن عفا عنه المأمون .

بعض من رثى أبا تمام

ورثى أبا تمام أيضا الحسن بن وهب بقوله :

فُجع القريضُ بخاتم الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائى
ماتا معا فتجاوروا فى حفرة وكذاك كانا قبلُ فى الأحياء

ورثاه أيضابقوله:

سقى بالموصل القبرَ الغريبا سحائبُ ينتحبْنَ له نحيبا
إذا أظلَلْـنَه أظللن فيه شَعيب المزن تابعها شَعيبا[1]

---

(١) أظله . ستره وأطبق عليه وظل الشىء دام فى وقت الظل وأظله أدامه الشعيب . المزادة (وعاء الماء) والمعنى اذا خيمت السحائب على القبر هطلت عليه بغزارة كأنها تصب عليه مزادة تتبعها أخري وهذا كقولهم مطر كأفواه القرب وقد كان هذا البيت مضطربا إذ كان ظللنه واظللن ولا يستقيم عليهما المعنى وكان شعيبا بالباء وهو خطأ

ولطّمن البروقَ به خدودا وأشققن الرعودَ به جيوبا[١]

فأن تراب ذاك القبر يحوى حبيبا كان يُدعى لى حبيبا

شيء عن الحسن بن وهب وأخيه سليمان

وكان الحسن بن وهب وأخوه سليمان من أعيان عصرهما وكتب سليمان ابن وهب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة وولى الوزارة للمعتمد على الله ، وله ديوان رسائل .

وكتب الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وولى ديوان الرسائل وكان أيضا شاعرا بليغا مترسلا فصيحا . وقد مدح هذين الأخوين خلق كثير من أعيان الشعراء مثل أبى تمام والبحترى ومن فى طبقتهما .

ومن محاسن أبى تمام فى سليمان بن وهب قوله من قصيدة

أى مرعى عَيْن ووادٍ قشيب لَحَبَتْه الأيام فى ملحوب[٢]

ندّ عنك العزاء فيه وقاد الـ دمع َمن مقلتيك قَوْدَا الجنيب[٣]

---

(١) يقول إن السحب تبكى عليه وقد جعلت بروقها بمثابة الخدود تلطم والرعود بمثابة الجيوب تشق والشبه فى الاول البياض وفى الثاني الصوت

(٢) عين بالفتح هى الجارحة المبصرة وبالكسر جمع أعين أو عيناء من العين كالفرح بمعنى اتساع العين فى سواد . لحب الطريق سلكه والكلام على الاستفهام المراد به التعجب . والمعنى أن هذا المكان الذى مرت به الايام فى الموضع المسمى بملحوب كان واديا قشيبا مفروشا بالزرع جميل المنظر تراعى العين جماله أو ترعى به الظباء العين . ولا نظن أبا تمام أراد خصوص المكان ولكنه اتجه الى الجناس الاشتقاقى فى لحب وملحوب ومع ذلك فهو مقبول منه غير مسترذل

(٣) ند . بعد . الجنيب . الفرس يركب غيره ويقاد بجانبه . وفاعل قادهو ضمير العزاء قبله

صحبت وجدك المدامعُ فيه بنجيع بعبرة مصحوب[١]
أخلبت بعده بروقٌ من اللهو ووجفت غُدْرٌ من التشبيب[٢]
ربما قد أراه ريان مكسـ ـوّ المغاني من كل حسن وطيب[٣]
بسقيم الجفون غير سقيم ومريب الألحاظ غير مُريب[٤]
فى أوان من الربيع كريم وزمان من الخريف حسيب
فعليه السلام . لا أَشْرَكَ الأطـ ـلالَ فى لوعتى ولا فى نحيبي[٥]
فسواء إجابتى غيرَ داعٍ ودعائى بالقاع غير مجيب
رُبَّ خفضٍ تحت السُّرى وغناءٍ من عناء ونضرة من شحوب[٦]

---

(١) النجيع . الدم الاسود أو دم الجوف خاصة . والمعنى ظاهر

(٢) أخلب . وعد بلا تحقيق . الغدر بضمتين جمع غدير وهو مستنقع الماء . وسكنت الدال للشعر . التشبيب . النسيب بالنساء أى ذكرهن فى الشعر . يقول بطل اللهو بعد أيام ملحوب الماضية

(٣) رب تكون للتقليل والتكثير وهى هنا للثاني . والمعنى كثيراً ما كنت أرى ملحوبا جميلا ممتلئا بالحسن من جمال من به وهو الموصوف فى البيت بعده

(٤) سقم الطرف . فتوره وهو جمال فيه والريب الشك والاتهام . والمعنى أن المحبوب سقيم العيون وليس ذلك سقما بمعنى المرض ، ومتهم العين بانها تستهوى الناس وتدعوهم للوقوع فى أسرها ولكنها على الحقيقة بريئة من التهمة اذ ليس ذلك فيها استهواء ولكنه جمال يفعل ذلك من تلقاء نفسه

(٥) شركه فى الامر كعلمه شاركه . يقول على المحبوب وحده السلام ولا شأن للاطلال ورسوم الديار فى الحب واللوعة على المحبوب لانها جماد لاتجيب إذا دعوت ولاتخاطبنى فأجيبها

(٦) حكمة جعلها مقدمة للمدح يقول فيها ربما حصلت على الغنى والسعة من وراء إجهاد النفس والسير بالليل ، كما يكون الاستغناء بديلا من العناء والنضرة حاصلة بعد الشحوب

ماعلى الوُسَّجِ الرواتك من عتـ ـب إذا ما أتت أبا أيوب[١]

سُرُحٌ قولهُ إذا ما استمرت عقدة العِيِّ فى لسان الخطيب[٢]

لا مُعَنّى بكل شيء ولا كُـ ـلّ عجيب فى عينه بعجيب[٣]

سَدِكُ الكف بالندى عابرُ السمـ ـع إلى حيث صرخةُ المكروب[٤]

ليس يَعْرَى من حلة من طراز الـ ـمدح من تاجر بها مستثيب

فإذا مَرّ لابسَ الحمـد قال الـ ـقوم مَنْ صاحبُ الرداء القشيب

وإذا كفٌّ راغبٍ سلبته راح طَلْقا كالكوكب المشبوب[٥]

ما مهاة الجمال مسلوبةَ . أظـ ـرفُ حسنا من ماجد مسلوب[٦]

(١) الوسج كركع جمع واسج وهو السريع السير. الرواتك جمع راتك وهو المقارب الخطو عدوا. وأبو أيوب كنية سليمان بن وهب الممدوح

(٢) يقال فرس سرح بضمتين أى سريع وفى الأصل سرج ولا معنى لها والاولى رواية الديوان والمعنى ظاهر

(٣) المعنى أنه تام التجربة كثير المشاهدات فليس غراً يغرم بكل شيء ويعجبه كل غريب من الامور وهذه من صفات الوقار والرزانة

(٤) فى الأصل سدل ولا معنى له ورواية الديوان سدك ومعناه المولع بالشيء الخفيف اليدين فى العمل. وعابر من عبر بمعنى جاز من ناحية إلى أخرى والمعنى ظاهر

(٥) طلق. ضاحك. المشبوب. المتقد. المعنى أنه إذا أخذ منه كل ما معه لا تراه إلا فرحا ضاحكا مشرق الديباجة كأنه الكوكب المتوهج

(٦) المهاة. البقرة الوحشية. الحجال جمع حجلة محركة كالقبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس ومعنى مسلوبة أى مجردة من ثيابها أو حليها. وليس مألوفا استعمال هذه الكلمة فى ذلك انما يقال عارية أو عاطل ولعل الجناس هو الذى دفعه إلى هذا

واجدٌ بالخليل من بُرَحاء الـ ـشّوق وِجدانَ غيره بالحبيب[١]

كلُّ شِعب كنتمْ به آلَ وهب فهو شِعبي وشِعبُ كل أديب[٢]

لم أزل بارد الجوانح مذ خضـ ـضخت دلوى فى ماء ذاك القَليب[٣]

بِنْتُمُ بالمـكروه دونى وأصبحـ ـتُ الشريكَ المختار فى المحبوب[٤]

ثم لم أُدْعَ من بعيد لذا الأذ ن ولم أُثْنَ عنكُم من قريب[٥]

كلَّ يوم تزخرفون فِنائى بحباء فَرْدٍ وبر غريب

(١) الخليل - الصاحب . البرحاء ، شدة الاذى من شيء . والمعنى أنه يجد شوقا للصاحب مثل ما يجد المحب لحبيبه

(٢) الشعب ، الطريق فى الجبل والمراد هنا مطلق الطريق ، والمعنى أننى أدين لكم بالاجلال وأتبعكم فى كل اتجاه تكونون فيه وكذلك كل أديب يكون هواه معكم وصغوه نحوكم

(٣) خضخض الماء حركه . القليب البئر ، والمعنى منذ قصدتكم وانا حاصل على مرادى متحقق أملى من بذلكم

(٤) بان انفصل وبعد ، والمعنى انكم اشركتمونى فى سرائكم ولم تكلفونى أن أشارككم فى البأساء

(٥) المعنى لست مقربا من بعد ولا مبعدا من قرب أى أننى أخالطكم مخالطة تجل عن أن تكون ادناء لبعيد كما يؤمن فيها إقصائى عن القرب الحاصل فهى مخالطة الاهل . وانظر ترى اللفظ فى البيت قد وقع فى أسر النوع البديعى المسمى « المقابله » ولكنها غير ظاهرة التكلف مثلها فى كثير مما له

إن قلبي لكم لكالكبد الحرّ ى وقلبي لغيركم كالقلوب[١]
لست أُدلي بحرمة مستزيدا في وداد منكم ولا في نصيب
لا تصيب الصديق قارعةُ التأ نيب إلاّ من الصديق الرغيب[٢]
غير أن العليل ليس بمذمو م على شرح ما به للطبيب
لو رأينا التأكيد خطة عجز ما شفعنا الأذان بالتثويب

(١) يزعم العرب أن القلب موضع الحنو والعطف والرغبة والحب كما يزعمون أن الكبد مكان الحزن . ولعل لوهمهم هذا علاقة بالواقع الذي يدل عليه الطب فأننا نرى الرجل المكبود تغلب عليه الكآبة ويستولى عليه الهم كما نرى القوى القلب فرحا مستبشرا وثاب الرغبة مفعما قلبه بالمحبة. فلما كانت هذه مظاهر هذين العضوين سليمين ومريضين ساغ في وهم العربي أن يرى مارأى . وأبو تمام يقول إن قلبي في شدة تعلقه بكم وحرارة وجدانه من أجلكم بمثابة الكبد الحرى التي يملؤها الحزن أما بالنسبة لغيركم فهو قلب بارد لا يشعر بشيء من الحب ولا يجد مسأمن لوعته

(٢) عرفت مما ذكره الشاعر قبل هذا البيت أنه يمدح سليمان بن وهب بكثرة العطاء وأن سليمان خالطه بنفسه وجنبه بأساءه . حتى صار الشاعر لا يحتاج في استزادة معروفه إلى شفيع ، لذلك ترى البيت . لا تصيب الصديق . . . . لا محل له بعد هذا الكلام لأنه كاللوم على تأخير العطاء أو الضن به ثم ترى بعده تسويغا لهذا بأن العليل لا بأس عليه في شرح مرضه للطبيب أي أن الشاعر محتاج للعطاء والممدوح هو الذي يسد مفاقره ويزيل شكواه فهو له كالطبيب وعطاؤه كالعلاج ثم يقول وإذا كررت الطلب وأكدته فلا ضير في ذلك فقد يكون التكرار للالتذاذ أو التعبد كما في ترديد الاذان من سامعيه

وأرى أن هذه الابيات الاخيرة مقطوعة الصلة بما قبلها وأغلب الظن أن يكون قد سقط من القصيدة أبيات تصح أن تكون تمهيدا لها ويكون الشاعر قد اشتكى من تأخير الجائزة بعد أن اعترف على جهة العموم بفضل الممدوح

وقال من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه :

لَمَكَاسِرُ الحسن بن وهب أطيبُ ... وأمرُّ فى حنك الحسود وأعذب

تقول العرب هو طيب المكسر إذا كان لين الجانب

وله إذا خَلُق التخلق أو نبا ... خُلُقٌ كروض الحَزْن أو هو أخصب [1]

قد جاءنا الرشأ الذى أهديته ... خِرْقا ولو شئنا لقانا المركَب [2]

لَدْن البنان له لسان أعجم ... خُرْسٌ معانيه ووجه مُعْرَب [3]

يرنو فيثلِم فى القلوب بطرفه ... ويعن للنظر الحرون فيُصْحِب [4]

قد صرّف الرانون حمرة خده ... وأظنها بالريق منه ستُقْطَب [5]

(١) خلق. بلى وقدم والمراد يبلى التخلق مجاجته واستهجانه والمعنى ظاهر

(٢) الرشأ . ولد الظبية اذا قوي ومشى مع أمه . الخرق الفتى الحسن الكريم الخليقة وقد سخف ابو تمام فى قوله . ولو شئنا لقلنا المركب والمعنى ظاهر.

(٣) البنان . الاصابع أو أطرافها . لدن . لين . خرس جمع أخرس . معرب منسوب الى العرب والمعنى ظاهر

(٤) يرنو . ينظر يثلم يكسر أو يشق . يعن . يظهر . الحرون . الدابة التى اذا استدرجرها وقعت . أصحب انقاد بعد صعوبة . وفاعل يصحب ضمير يعود على النظر والمعنى ظاهر

(٥) صرف الشراب كضرب لم يمزجه وقد ضعف الشاعر الفعل من غير داع لانه متعد مع التجرد ولعله أراد النسبة الى أصل الفعل ككذبه نسبه الى الكذب فيكون صرف معناه نسبوها إلى الصرف وهو الخالص وهو تكلف قطب الشراب كضرب مزجه والمعنى ظاهر

حمد حُبيتَ به وأجر حَلّقت　　من دونه عنقاء ليل مُغْرِبُ(١)

خذه وإن لم يرتجع معروفه　　محض إذا غَلَت الرجال مهذب(٢)

وانفح لنا من طيب خِيمك نفحة　　إن كانت الأخلاق مما يوهب

وكان الحسن بن وهب يعشق غلاما روميا لأبي تمام وكان أبو تمام يعشق غلاما خزريا للحسن بن وهب فرأى أبو تمام الحسن بن وهب يعبث بغلامه فقال له والله لئن أعنقت إلى الروم لنركضن الى الخزر فقال له الحسن لحكمتنا راحتكمت فقال أبو تمام ما أشبهك الا بداود وما أشبه نفسي الا بخصمه فقال له الحسن لو كان هذا منظوما لخفناه فأما المنثور فهو عارض لا حقيقة له فقال أبو تمام :

أبا علي لصرف الدهر والغير　　وللحوادث والأيام والعبر

أعندك الشمس قد راقت بطالعها　　وأنت مضطرب الأحشاء بالقمر

أذكرتني أمر داود وكنتُ فتى　　مصرَّف القلب في الأهواء والفكر(٣)

---

(١) يقول هذا حمد أعطيته وثواب سما حتى لا ترتقي الى علوه العنقاء التي توهمتها العرب في الطيور وأنها طارت ناحية الغرب ولم تعد وللعرب وهم ايضا في دابة تسمى الغنجول معروفة الاسم مجهولة الجسم

(٢) في الديوان غلث بالثاء وفي الاصل هنا غلت بالتاء من الغلو وهو المناسب لان الغلث معناه شدة القتال وانما يريد ان الرجال غلت قيمتهم فكان هذا الممدوح محضا مهذبا

(٣) روى أن أهل زمان دواد عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له من امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المؤاساة بذلك فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول عنها فاستحى أن يرده فتزوجها داود وهي أم سليمان فقيل له انك مع عظيم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة

إن أنت لم تترك السير الحثيث الى | جآذر الروم أعنقنا الى الخزر
ان النَّفور له عندى مقر هوى | يحل مني محل السمع والبصر
ورب أمنع مـنه جانبا وحمى | أمسى وتكّته مني على خطر
جردت فيه جيوش العزم فانكشفت | منه غيابتها عن فجرة هَدَر
سبحان من سبحته كل جارحة | ما فيك من طمحان العين والأ ُ ر
أنت المقيم فما تغدو رواحله | وفعـله أبدا منه على سفر

فقال محمد بن إسحق لأبي تمام غلامك أطوع للحسن من غلامه لك . قال أجل والله لأن غلامي يجد عنده ما لا يجده عندي غلامه . أنا أعطى غلامه قيلا وقالا وهو يعطى غلامي ثيابا ومالا .

وكان الوزير ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وبين أبي تمام من أمر غلاميهما فتقدم إلى بعض ولده وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب بأن يعلموه بخبرهما وما يكون بينهما . قال وعزم غلام أبي تمام على الحجامة وكتب الى الحسن بن وهب يعلمه بذلك ويسأله التوجيه له بنبيذ مطبوخ فوجه إليه به وبخلعة حسنة ومائة دينار وبخور كثير وكتب اليه :

ليت شعري يا أملح الناس عندي | هل تداويت بالحجامة بعدى

واحدة النزول لك عنها بل الواجب مغالبة نفسك وهواك والصبر على امتحنت به . والمقطوعة غير جديرة بالشرح ولكنا نشير إلى أن فى شطرين منها وهما «منه غيابتها عن فجرة هدر » و « وفعله أبدا منه على سفر » كان فيهما فحش زائد وقد ترددنا فى حذفهما لولا اننا توسطنا وعمدنا الى مافى الديوان وقد غيرت فى كل شطر كلمة فجاز قبوله ولا يخفى موضعها على اللبيب

دفع الله عنك لى كل سُـوءٍ   باكرٍ رائح وإن خنت عهدى
قد كتمت الهوى بمبلغ جهدى   فبدا منـه غير ما كنت أبدى
وليقولوا بمـا أحبوا إذا كنـ   ـتَ وَصُولا ولم تَرُعْنى بصـد
من عذيرى من مقلتيك ومن إشـ   ـراق وجهٍ من دون حمرة خد[1]

ووضع الرقعة تحت مصلاه وبلغ الوزير ابن الزيات خبر الرقعة فوجه الى الحسن فشغله بشيء من أمره وأمر من أخذ الرقعة من تحت مصلاه وجاءه بها فقرأها وكتب فى ظهرها :

ليت شعرى عن كَتْب شعرك هذا   أبهزل تقوله أم بجِـد[2]
فلئن كنت فى المقـال محقا   يابن وهب لقـد تفننت بعدى
وتشبهتَ بى وكنتُ أرى أنّـ   ـى أنا العاشق المتيم وحـدى
أتركُ القصد فى الامور فلولا   غمرات الهوى لأبصرتُ رشدى[3]

(١) العذير . العاذر . والمعنى من يعذرنى فيما أجد من وجد بمقلتيك وإشراق وجهك فوق حمرة الخد

(٢) كتب . كتابة (٣) الغمرات . جمع غمرة وهى شدة الشيء ومزدحمه . أى لولا ما انا فيه من ازدحام الهوى وشدته على لأبصرت طريق الرشد ولكن أني ذلك ؟

وأحب الأخ المشارك فى الحـ ـب وإن لم يكن به مثل وجدى
كنديمى أبى على وحاشا لنديمى من مثل شِقْوة جَدّى
إن مولاى عند غيرى ولولا شؤم جدى لكان مولاى عندى
سيدى سيدى ومولاى من أو رثنى ذلةً وأَضْرعَ خدّى[1]

ووضعوا الرقعة فى مكانها فلما رآها الحسن بن وهب قال أنا لله لقد افتضحنا عند الوزير

وحدث أبا تمام بما كان ووجه إليه الرقعة فلقيا الوزير ابن الزيات وقالا إنما جعلنا هذين سببا للمكاتبة بالأشعار لا لريبة فتضاحك وقال من يظن بكما غير هذا فكان قوله أشد عليهما من الخبر

وكان الحسن بن وهب يعاشر أبا تمام عشرة متصلة فندب الحسن بن وهب للنظر فى بعض أمر النواحى فتشاغل عن عشرة أبى تمام فكتب إليه أبو تمام :

قالوا جفاك فلا عهدٌ ولا خبر ماذا تراه دهاه قلت أيلول[2]

---

(١) سيدى الثانية توكيد للاولى . والمعنى سيدى الحق ومولاى هو الذى أورثنى الذل وإن كان عبدى الذى أملك رقه

(٢) أيلول هو الشهر الثاني عشر من أشهر السريان وهو ثلاثون يوما ودخوله فى الرابع من توت من شهور القبط وآخره الثالث من بابه وبدها به يذهب الحر جملة . وفى ذلك يقول ابو نواس

مضى أيلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعرى العبور

وابو تمام اثقل هذا الشهر عليه نسب اليه ماوقع له من هجران صاحبه ثم جعل حبال الهجر مفتولة منه إلى آخر ماقال وكل ذلك لتفظيع أمره

شهر كأن حبال الهجر منه فلا عَقْدمن الوصل الا وهو محلول[١]

فأجابه الحسن بن وهب :

ما عاقني عنك أيلول بلذته وطيبه ولنعم الشهر أيلول

لكنْ توقعُ وَشْك البين عن بلد تحله فوِكاء الدمع محلول[٢]

ويقال إن الحسن بن وهب لما كان غلاما مازحه يحيى بن أكثم ثم جمشه فغضب الحسن فأنشد يحيى بن أكثم

أيا قمرا جمّشته فتغضبا وأصبح لى من تيهه متجنبا[٣]

إذا كنت للتجميش والعض كارها فكن أبدا ياسيدى متنقبا

ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة وتجعل منها فوق خديك عقربا[٤]

فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا وتترك قاضى المسلمين معذبا

ورثى أبا تمام أيضا محمد بن عبد الملك الزيات بقوله (٥)

---

(١) هذا البيت من مجازات ابى تمام المتكلفة فانك لا تكاد ترى وجها لجعله الهجر حبالا فهو من قبيل قوله « لا تسقني ماء الملام . . . » على أن المعنى يظهر لى غير مستقيم لانه رتب على كون الهجر حبالا أو شيئا له حبال ان كل عقد من الوصل يحل ولا يستمر له الانعقاد فكيف هذا مع أن الانعقاد من شأن الحبال أو ماجرى مجراها حتى كأنه لا ينعقد سواها

(٢) الوكاء رباط القربة وغيرها

(٣) جمشه (كنصر) وجمشه بالتضعيف غازله ولاعبه

(٤) يشبه الشيء المعوج بالعقرب لانعطاف ذنبها حتى قالوا شيء معقرب أى معوج معطوف ويقال عقرب صدغه اذا لوى شعره فصار كذنب العقرب

(٥) هذا من تمام المراثي التي قيلت فى أبي تمام وانما فصله وأخره الاستطراد

نبأ أتى من أعظم الأنباء　　لما ألمّ مُقَلْقِل الأحشاء
قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم　　ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

أول أمر ابن الزيات

وكان ابن الزيات المذكور فى أول أمره من جملة الكتاب وكان أحمد بن عمار وزير المعتصم فورد على المعتصم كتاب فقرأ الوزير فيه ذكر الكلأ فقال المعتصم ما الكلأ فقال الوزير لا أعلم فقال المعتصم : خليفة أمى ، ووزير عامى ثم قال أبصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا ابن الزيات فأدخلوه فقال المعتصم ما الكلأ قال العشب على الاطلاق فأن كان رطبا فكذا وإذا يبس فكذا وشرع فى تقسيم أنواع النبات فعلم فضله واستوزره وحكمه وبسط يده واستوزره الواثق أيضا بعد المعتصم واستوزره أيضا المتوكل ثم سخط عليه بعد ولايته بأربعين يوما فقبض عليه واستصفى أمواله . وسبب ذلك أنه لما مات الواثق أشار ابن الزيات بتولية ولد الواثق وأشار القاضى أحمد بن أبى دؤاد بتولية المتوكل وقام فى ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردة . وكان المتوكل فى أيام الواثق يدخل على ابن الزيات فيغلظ عليه فى الكلام يتقرب بذلك إلى الواثق فحقد المتوكل عليه فلما ولى الخلافة خشى إن نكبه عاجلا أن تذهب أمواله فاستوزره ليطمئن. وكان ابن الزيات قد اتخذ تنورا من حديد وأطراف مساميره المحدودة الى داخل وهى قائمة مثل رءوس المسال وكان يعذب فيه أيام وزارته المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالاموال فأذا انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير فى جسمه فيجد لذلك أشد الألم . ولم يسبقه أحد الى ذلك وكان إذا قال أحدهم : أيها الوزير ارحمنى

بقول · الرحمة خور فى الطبيعة

فلما اعتقله المتوكل أمر بأدخاله فى التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال يا أمير المؤمنين ارحمنى فقال : الرحمة خور فى الطبيعة . كما كان يقول للناس

ولما جعل فى التنور قال له خادمه قد صرت إلى ما صرت إليه وليس لك حامد فقال وما نفع البرامكة صنيعهم ؟ فقال له ذكرك لهم هذه الساعة ومات بعد مكثه فى التنور أربعين يوما وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر ومدحه أبو تمام والبحترى ولأبرهيم بن العباس الصولى فيه مقاطيع يعبث به فيها ، منهاقوله :

فأن تكن الدنيا أنالتك ثروة فأصبحت ذايسر وقدكنت ذاعسر
فقدكشف الأثراءمنك خلائقا من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر (١)

وقوله

قلت لها حين أكثرت عذلى ويحك أزرت بنا المروّات(٢)
قالت فأين السَّراة قلت لها لا تسألى عنهم فقد ماتوا(٣)
قالت فلم ذاك كان قلت لها هــذا وزير الأمام زيات

(١) يريد انه لما كان فقيرا كان يستر تحت ثياب الفقر أخلاقا قاسية لا يستطيع إظهارها لانكسار جانبه بالفقر فلما خلع ثياب الفقر انكشفت هذه الاخلاق

(٢) يقال أزرى به أى قصر وحقره . والمعنى أن قلة المروءة فى الناس حقرت من شأنهم وحطت من قدرهم (٣) السراة جمع سرى وهو صاحب المروءة الشريف

ولما أنشده أبو تمام :

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل　　وقلبك منها مدة الدهر آهل (١)

تَطُلّ الطلولُ الدمعَ فى كل موقف　　وتُمْثِل بالصبر الديارُ المواثل (٢)

دوارس لم يَجْفُ الربيعُ ربوعها　　ولا مَرَّ فى أَغفالها وهو غافل (٣)

فقد سحبت فيها السحابُ ذيولها　　وقد أُخملت بالنَّوْرِ منها الخمائل (٤)

يُعفِّين عن زاد العفاة إذا انتحى　　على الحى صَرْفُ الأزمة المتحامل (٥)

(٢،١) ذهلية نسبة قبيلة ذهل بن شيبان . آهل . مسكون . والمعنى لا يمكن أن تسلو هذه المحبوبة مادام قلبك عامرا بذكرها مشغولا بخيالها يقال طللت الدم أى أرقته هدرا . أمثله . قتله . دار ماثلة ذاهبة الاثر مختفية المعالم «دارسة» والمعنى أن الطلول يذهب فيها الدمع هدرا ويقتل الصبر وينفد فيذهب الدمع ويفنى الصبر ولا جزاء للمحب على ذلك وبين تطل والطلول وتمثل والمواثل جناس بالاشتقاق الذى يحرص عليه ا.و تمام كثيرا

« ٣ » جفاه يجفوه . هجره . أغفال كأقفال جمع غفل كقفل وهو من الارضين مالا عمارة فيه والمعنى أن هذه الديار لم يهجرها الربيع ولا غفل عن أغفالها . وبين أغفال وغافل الجناس الذى مر فى البيت السابق

« ٤ » الخمل بالفتح هدب القطيفة وأخملها جعل لها الخمل . الخمائل جمع خميلة وهى المنهبط من الارض وهى مكرمة للنبات . والمعنى أن السحب جرت ذيولها فى هذه الديار وأن مهابطها أتت بالنبات المزهر . والجناس السابق ظاهر هنا أيضا بين سحبت والسحائب وبين اخملت والخمائل

« ٥ » عفى عليه فى العلم زاد . العفاة جمع عاف وهو السائل «الطالب للعفو» والازمة الشدة . تحامل عليه كلفة ما لا يطيق . والمعنى أن هذه السحب تأتي بالخير الكثير الذى يزيد على حاجة السائلين حين اشتداد المحل واستحكام الازمات وما اكثرهم حينذاك

لهم سَلَفٌ سمر العوالى وسامر وفيهم جمال لايفيض وجامل (١)

ليالى أضللتَ العزاء وخذّلت بعقلك آرام الخدور الخواذل (٢)

من الهِيف لو أن الخلاخل صيرت لها وُشُحاجالت عليها الخلاخل (٣)

« ١ » سلف . آباء وأجداد . العوالى جمع عالية وهى أعلى القناة . السامر السمار أو مجلسهم . الجامل جمع جمل . والمعنى أن لهذه الحبائب الجميلات أهل أشداء شجعان لهم ناد يجتمعون فيه للسمر وعندهم الجمال الذى لا ينفد والجمال التى يقتنونها . والذى نلاحظه فى هذا البيت شيئان أولها انه اقتضب الكلام إلى ذكر حبائبه ثم أعاد الضمير فى قوله لهم بلا مرجع وأتي به مذكرا وهو لمؤنث ، وثانيهما انه أراد أن يجانس كما فعل فى الابيات السابقة جناس اشتقاق ولكنه وان قبل منه فى قوله سمر وسامر فقد سقط فى جمال وجامل وهكذا يعنى ابو تمام نفسه فى سبيل التحسين ويرتكب الشطط ويلزم نفسه العيب

« ٢ » أضل الرجل بعيره . فقده . خذلت الظبية تخلفت من صواحبها وانفردت فهى خاذل . والمعنى انك بين هذه الجميلات فقدت الصبر واستبدت بعقلك وتنحت به جانبا تلك النساء الشبيهات بالآرام . وإذا لم يكن فى القصيدة شيء محذوف تتعلق به كلمة ليالى فانها متعلقة بالمعنى المفهوم من الكلام أى اقاؤك لهن ليالى ...

(٣) الهيف جمع هيفاء وهى الدقيقة الخصر . وشح . جمع وشاح . ويحسن أن ننقل هنا ما يراه الامدى صاحب الموازنة تعليقا على هذا البيت قال . وهذا الذى وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب وهو أقبح ما وصف به النساء لأن من شأن الخلاخل والبرين أن توصف انها تعض فى الاعضاد والسواعد وتضيق فى الاسوق فاذا جعل خلاخلها وشحا تجول عليها فقد أخطأ الوصف لأنه لا يجوز أن يكون الخلخال الذى من شأنه أن يعض بالساق وشاحا جائلا على جسدها لأن الوشاح هو ما تقلده المرأة متشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى إلى العجب ويلتقى طرفاه على الكشح الايسر فيكون فيها فى موضع حمائل السيف

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل (١)

هوى كان خلْسا إن من أحسن الهوى هوى جُلتَ فى أفيائه وهو خامل (٢)

من الرجل وإذا كانت هذه صورة الوشاح فغير جائز أن يوصف بالسعة والطول ليدل على تمام المرأة وطولها ويكون ذلك لائقا بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقنا الخط وانما يوصف الوشاح بالقلق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر لانه يقلق هنا اذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا بل حركته تدل على ضمر البطن اكثر وليس طوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خمص . واذا كان الخلخال وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها وشاحا للمرأة فانه يأخذ أعلى جسدها كله وإذا كانت كذلك فقد مسخت الى غاية القماءة والصغر وصارت فى هيئة الجعل وقد تصف العرب الخصر بالدقة ولكن تعطى كل جزء من الجسد قسطه من الوصف كما قال امرؤ القيس

طوال المتون والعرانين والقنا لطاف الخصور فى تمام وإكمال

وفى كلام الآمدى أعظم كفاية فى نقد البيت

« ١ » المها . جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . هاتا . هذه . الخط مرفأ السفن بالبحرين ويكسر واليه نسبت الرماح لانها تباع به أو لانه منبتها ذوابل جمع ذابل وهو الغصن الجاف . يقول إن هذه الجميلات كالمها فى الجمال ونجل العيون وهن كالرماح فى التثنى واللين وسرعة الانعطاف، ولكنه عكر على مراده هذا بالتفرقة بين الجميلات والرماح بجعله تلك ذوابل مع أن الذبول فيها هو الوصف الضرورى فيها حتى يتم تشبيه النساء بها فيما ذكرنا . ويصح أن نحتج لابى تمام بأنه أراد نفى الصلابة وجساوة المجس عن النساء ففرق بينهن وبين القنا فى الذبول وإن كان يقر ما يترتب عليه من التثنى واللين كأنه جعل النساء حاصلات على هذا الوصف من غير ان يستتبع ذلك صلابة ملمسهن

(٢) الخلس الاختلاس . جال : طاف . الافياء جمع فىء وهو ما كان شمسا فنسخه الظل . الخامل الذى لا نباهة له ولا شأن . والمعنى كان هوى هذه الجميلات مختلسا لا يدرى أمره العذال والرقباء وإن أحسن الهوى هو الذى لا ذكر له ولا شأن يشتهر بين الناس

أبا جعفر إن الجهالة أمها ولُودٌ وأم العلم جَدَّاء حائل(١)
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم شعوب تلاقت دوننا وقبائل(٢)
غدوا وكأن الجهل يجمعهم به أب وذوو الآداب فيهم نوافل
فكن هَضْبَةً نأوى اليها وحَرَّةً يُعرِّد عنها الأعوجى المناقل(٣)
فأن الفتى من كل ضرب مناسبٍ مناسبُ رُوحانيةً من يشاكل(٤)
ولن تنظم العقدَ الكعابُ لزينة كما تنظم الشملَ الشتيت الشمائلُ
وأنت شهاب فى الملمات ثاقب وسيف اذا ما هزك الحقُ فاصل

---

(١) الجداء: المرأة الصغيرة الثدى . الحائل التى لم تحمل سنة أو سنتين أو سنين

(٢) الحشو : صغار الابل والمراد هنا سفلة الناس . الدهماء جماعة الناس (عامتهم). والمعنى أن عامة الناس وطغامهم تجمعهم رابطة الجهل فكأنهم أمم تعيش فى اتصال وتآلف وكأننا منفيون من بينهم وقد يظهر هذا المعنى من البيت الذى بعده . ونوافل جمع نافلة وهى ما يتزيد به وفى الديوان نواقل ولا معنى لها فى البيت

(٣) عرد : حاد عن الطريق. الاعوجى . الكريم من الخيل نسبة إلى جواد مشهور يسمى أعوج . المناقل : الفرس السريع نقل القوائم . يقول اذا كان للجهل هذه الدولة والعصبية بين أهله فلا ملجأ لنا سواك فكن وزرنا الذى نلجأ اليه

(٤) الضرب النوع : يقول إن الناس يتوافقون اذا تناسبت أرواحهم كما قيل إن الطيور على أشكالها تقع . وقد ضبط الشنقيطى رحمه الله كلمة روحانية بالنصب فتكون مقحمة بين المضاف والمضاف اليه وفى ذلك ضعف تأليف يؤخذ على أبى تمام وضبطت الكلمة فى الديوان بالكسر وهو مقبول وتكون الاضافة على معنى فى أى أن الفتى يناسب فى روحانيته من شاكله

من البيض لم تَنْضُ الأكفُّ كنصله ... ولا حملت مِثلا إليه الحمائل (١)

مؤرِّث نار والإمام يشبُّها ... وقائل صدق والخليفة فاعل (٢)

وإنك إن صد الزمان بوجهه ... لطاقٌ ومن دون الخليفة باسل (٣)

لئن نَقَموا حُوشية فيك دونها ... لقد علموا عن أي عِلْق تناضل (٤)

هي الشيء مَولى المرء قرنٌ مباين ... له وابنه فيه عدوٌّ ومقاتل (٥).

الحوشية الشدة . وهي الشيء يعني الملك والخلافة

اذا فَضَلَتْ عن رأي غيرك أصبحت ... ورأيك عن وجهاتها الست فاضل (٦)

---

(١) نضا سيفه ينضوه سله . الحمائل جمع حمالة وهي علاقة السيف والمعنى ظاهر

(٢) أرث النار أوقدها . شب النار أشعلها والمعنى أن الخليفة يأمر بالامر وهو يقوم على تنفيذه أو هو يبدي الرأي والخليفة ينفذ مشورته

(٣) الباسل الشجاع . طاق الوجه : ضاحكه والمعنى ظاهر

(٤) نقم كضرب عاب . الحوشية . الخروج عن المألوف ومجانبة المعتاد من حوشي الكلام وهو غريبه وحوشي الإبل وهي التي يزعمون أن فحول إبل الجن قد ضربت فيها ويسمونها الحوش أو الحوش بلادها

(٥) كان الأصل هو الشيء . ولكنا رجحنا روايه الديوان لأن الشاعر أعاد الضمير مؤنثا في قوله بعده إذا فضلت

(٦) روايه الديوان اذا فضلت بالضاد وفي الأصل بالصاد ، ورأيك في وجهاتها الست فاضل بالضاد أيضا وأنا أرجح رواية الديوان لأن المعنى عليها حسن واللفظ فيها مستقيم والجناس متسق والمعنى عليها اذا زادت أمور الخلافة عن رأي غيرك أي كانت أكبر من أن يتصرف فيها فإن رأيك فاضل سابغ يحيط بها من جميع جهاتها . والمعنى على رواية الاصل إذا صدرت الآراء في تدبير الخلافة عن رأي غيرك ظاهرا فإن رأيك على الحقيقة قد عمل فيها من كل جهاتها وصدر عنها بعد أن دبر أمرها

وخطب جليل دونها قد شغلته ... وفى دونه شغل لغيرك شاغل(١)

رددت السّنا فى شمسه بعد كلفة ... كأن انتصاف اليوم منه أصائل(٢)

ترى كل نقص تارك العرض والتقى ... كمالا إذا الملك اغتدى وهو كامل(٣)

جمعت عرى أعماله بعد فرقة ... إليك كما ضم الأنابيب عامل(٤)

وأضحت وقد ضمت اليك ولم تزل ... تُضمُّ الى الجيش الكثيف القنابلُ

قوله عرى أعماله أى أعمال الملك . والقنابل قطع الخيل يقول : ضمت إليك أعمال الخلافة وهى قليلة فى جنب رأيك كما تضم قطع الخيل الى الجيش

وما برحت صُورا إليك نوازعا ... أعنتها مذ راساتك الرسائل

صورا أى مائلة . والنوازع الجواذب

---

(١) أي ورب خطب جليل ألم بالخلافة فشغلته أي صرفته عنها على حين أن أقل من هذا الخطب يشغل غيرك فلا يستطيع فيه تدبيرا ويلاحظ أن كلمة دون الأولى بمعنى قريب والثانية بمعنى أقل ومعاني دون كثيرة هى دلالتها على معنى فوق وتحت وأمام ووراء وقبل وبعد والشريف والخسيس

(٢) السنا . الضوء . الكلفة . حمرة كدرة . الاصائل جمع أصيل وهو الوقت قبل الغروب . والضمير فى شمسه عائد على الخطب المذكور فى البيت السابق . والمعنى أن هذا الخطب بعد أن عم أمره وصار كالشمس يعتريها الكلف فيقل ضوءها ويصير ظهرها كأصيلها ، عاد اليه سناه فأشرق ووضحت محجته

(٣) المعنى لايهمك الا كمال الملك واتساق أموره وكل نقص يصيبك فى أمورك فهو هين فى نظرك مالم يتناول العرض والدين

(٤) عامل الرمح صدره . والانابيب جمع أنبوب أو أنبوبة وهى ما بين كل كعبين من القصب (والكعب من العظم ما نشز ومن القصب ما كان كالحز بين أنابيبه)

لك القلم الأعلى الذى بسنانه تصاب من الأمر الكُلى والمفاصل(١)

له الخلوات اللاء لولا نجيُّها لما اختلفت للملك تلك المحافل

أى أنت كاتب الخليفة وقلمك أعلى الأقلام ولقلمك خلوات لولا نجيها أى مناجاتها لما كان للملك محافل

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه وأرى الجني اشتارته أيدعواسل(٢)

له رِيقة طَلٌّ ولكنّ وقعها بآثاره فى الشرق والغرب وابل(٣)

فصيح إذا استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجل

(١) الكلا . جمع كاية أو كلوة بالضم فيهما . المفاصل جمع مفصل كمنزل وهو مفرق العظام ورواية الديوان : بشباته والشباة الحد والسنان طرف حديدة الرمح والمعنى فيهما واحد

(٢) الافاعى . الحيات . الأرى عمل النحلة فى اخراجها العسل . الجنى . العسل . اشتار العسل جمعه من الخلايا . يقول إن القلم مرة يكون مؤذيا فيكون ما يمجه من مداد سما كالذى تنفثه الافاعى ومرة يكون حلوا كالذى تخرجه النحل من العسل وخبر أرى الجنى محذوف تقديره أريه كأنه قال لعاب الافاعى لعابه وأرى الجنى أريه

(٣) فى الديوان وهنا : له ريقة والريقة الريق ولا معني لها هنا إلا على التجوز وتشبيه ماعلق بصوف الدواة من حبر بالريق يندى به الفم ولو كان فى موضع ريقة لفظ ليقة لكان اليق إذ هو اللفظ المستعمل حقيقة فى صوفة الدواة المبتلة والمعنى ان لهذا القلم ليقة يستمد منها وهى وإن كانت ندية قليلة الماء الا أن لها من التأثير فى الشرق والغرب وقع المطر الوابل وليس المعنى ان وقع الوابل دائما ضار بل المراد شدة التأثير واشتهار الأمر

إذا ما انتضى الخمس اللِّطاف وأفرغت   عليه شعاب الفكر وهى حوافل (١)

أطاعته أطراف القنا وتقوضت   لنجواه تقويض الخيام الجحافلُ

إذا استغزَرَ الذهنَ الجلىّ وأقبلت   أعاليه فى القرطاس وهى أسافل (٢)

وقد رفدته الخِنصران وسددّتْ   ثلاثَ نواحيه الثلاث الأنامل (٣)

رأيت جليلا شأنه وهو مرهف   ضنى وسمينا خطبُه وهو ناحل (٤)

الخنصران : الخنصر والبنصر تغليبا اى اذا كتبت بالقلم رأيت شيئا جليل الشأن من المعانى والحكم على أن القلم مرهف ضنى . ورأيت شيئا سمين الخطب على أن القلم ناحل

أرى ابن أبى مروان أما عطاؤه   فطام وأما حكمه فهو عادل

---

(١) فى الديوان امتطى بمعنى ركب وهنا انتضى بمعنى استل كأن القلم يستل الاصابع ويبرزها للعمل والمعنى متقارب فيهما . الشعاب جمع شعب بالكسر وهو مسيل الماء فى بطن الارض (فى الوادى) . حوافل ملأى . والمعنى فى البيت والذى بعده إذا استخدم القلم الاصابع الخمس فى الكتابة وانثالت عليه الافكار من كل جهة دبر أمر الجيوش فتصرف القنا فى طاعته وكان من تدبيره انهزام الاعداء وانتشار أمرهم كما تنهدم الخيام بعد قيامها

(٢و٣و٤) استغزر : طلب الغزير « الكثير » سدده : وفقه للسداد « الصواب » . يصح أن تقرأ كلمة شأنه مرفوعة على أنها فاعل للصفة المشبهة وهى جليلا وكذلك الحال فى خطبه مع سمينا ويصح أن يجعلا منصوبين على انهما مفعولان أولان لرأيت والوصفان مفعولان ثانيان مقدمان وأرى أن الاول من التوجيهين أولى ويكون التقدير عليه رأيت أمرا جليلا شأنه وسمينا خطبه . الارهاف ترقيق الشىء وتلطيف حده ، والضنى فى الاصل المرض المخامر الذى كلما ظن برؤه نكس والمراد هنا مجرد المرض '

هو المرء لا الشُّورى استبدت برأيه ولا قبضت من راحتيه العواذل(١)

يحرّس حقٌّ ماله ولربما تحيَّف منه الخطب والخطب باطل

لِقَاحٌ فلم تَخْدِجْه بالضيم مِنَّةٌ ولا نال أنفا منه بالذل نائل(٢)

ترى حبله عريان من كل غدرة إذا نصبت تحت الحبال الحبائل(٣)

فتى لا يرى أَن الفريصة مقتل ولكن يرى أن العيوب مقاتل(٤)

قوله حبله عريان أى هو وفىّ . والفريصة مما يلى القلب

فلا غُمُرٌ قد رقَّص الخفضُ قلبه ولا طارف فى نعمة الله جاهل(٥)

---

(١) يقول انه ليس ضعيف الرأى يحتاج إلى المشورة فى كل أموره وكذلك لا يصيخ الى أقوال العذال فيما يتخرق فيه من كرم

(٢) اللقاح : الحى الذين لا يدينون للملوك أو الذين لم يصبهم فى الجاهلية سباء . الخداج النقص : الضيم الذل . والمعني أنه من الاشراف الذين ارتفعوا عن درجة المحكومين فلا منة لأحد عليه ولا حاجة به الى أحد حتى يذل له

(٣) هذا البيت مما أساء فيه ابو تمام كل اساءة لانه بنى كلامه على قصد التحسين بجناس الاشتقاق الذي جن به فارتكب من أجله استعارة غير معقولة ولا مقبولة وذلك انه شبه الممدوح بالحبل ولا أرى له وجها ثم جعل هذا الحبل عريان من الغدر فى حين تكون حبال غيره قد نصبت تحتها حبائل الغدر وكل ما يريد قوله هو انه وأن غيره غادر . وتصور كيف جاز فى وهم أبي تمام أن يجعل تحت الحبال « وهى لا عرض لها » حبائل منصوبة ونصب الحبائل انما يحتاج إلى حيز كبير وفضاء مترام . ويلاحظ على المؤلف أنه يفسر قوله حبله عريان بمعنى هو وفى وليست هذه كناية معروفة انما يتم معناها بضميمة قوله من كل غدرة

«٤» الفريصة ودج العنق وجمعها فريص . والمعنى ظاهر وتفسيرنا للفريصة أليق بالمعنى من تفسير المؤلف فلنعدل عنه

« ٥ » الغمر بضمتين أو ضمة واحدة الجاهل الذى لم يجرب الأمور . والمعنى أن الممدوح ليس غرا يفرح بالنعمة فرحا يخرج به عن الاعتدال وليست النعمة جديدة عليه وكان الاصل طارق بدل طارف ولا معنى لها

أباجعفر إن الخليفة إن يكن لواردنا بحرا فأنك ساحل
وما راغب أسري إليك براغب ولا سائل أمَّ الخليفةَ سائل(١)
تقطعتِ الأسباب إن لم تُغِرْ لها قُوًى ويصاها من يمينك واصل(٢)

أى من رغب فى معروفك لايعير بذلك ٠ وتغر أى تفتل

سوى مطلب يُنْضى الرجاء بطوله وتخلق إخلاق الجفون الوسائل(٣)
وقد تألف العين الدجى وهو قيدها ويُرجى شفاء السم والسم قاتل
ولى همة تنضِى العصور وإنها كعهدك من أيام مصر خوامل(٤)
سنون قطعناهن حتى كأن ما قطعنا لقرب العهد منها مراحل
وإنّ جزيلات الصنائع لامرىء إذا ما الليالى ناكرته معاقل(٥)
وإنّ المعالى يُسترم بناؤها وشيكا كما قد تُسترم المنازل(٦)

«١» المعنى أن من قصدك أو قصد الخليفة لعظم مقامكما لا يدخل فى عداد السؤال ولا الراغبين المستجدين حتى يعير بذلك فأن طلبه منكما شرف أى شرف
«٢» أغار الحبل : أحكم فتله . الاسباب جمع سبب وهو الحبل والمعنى كل أمر اذا لم تحكم تدبيره فأنه فاسد
«٤» نضى السيف وأنضاه سله . والمعنى ان لى همة تجعل من الزمن الخامل الذى لا شأن له سيفا مسلولا أى أنه فى بؤس الايام يظهر فضله
«٥» ناكره قاتله وحاربه . الصنائع جمع صنيعة وهى الاحسان. والمعنى ظاهر
«٦»استرم البناء دعا إلى إصلاحه . الوشيك : السريع والمعنى ظاهر

ولو حاردت شَوْلٌ عذرْتَ لقاحها ولكن حرمتَ الدَّرَّ والضَّرع حافل (١)

حاردت الناقة قل لبنها . وقد لطف المتنبي هذا المعنى بقوله :

وما يوجع الحرمان من كف محرم كما يوجع الحرمان من كف رازق

منحتكها تشفي الجوى وهو لاعج وتبعث أشجان الفتى وهو ذاهل

تَرُدُّ قوافيها إذا هي أرسِلَتْ هوامل مجد القوم وهي هوامل (٢)

فكيف إذا حليتها بحليها تكون (وهذا حسنها وهي عاطل) (٣)

أكابرَنا عطفا علينا فإننا بنا ظمأ بَرْح وأنتم مناهل (٤)

مادار بين أبي تمام وابن الزيات

استحيا محمد بن عبد الملك من عتابه واحتج عليه بأنه مدح غيره وأنه لو اقتصر عليه أغناه . وأن كثرة مدحه للناس زهدته فيه وكتب إليه :

«١» الشول جمع شائل وهي الناقة أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها اللقاح جمع لقحة كقطعة الناقة الحلوب ويراد هنا مطلق ناقة والمعنى ظاهر

«٢» هوامل الاولى جمع هامل بمعنى مهمل (متروك) والثانية من هملت السماء تهمل بمعنى دام مطرها فهي جمع هاملة . والمعنى أن شعره ينبه من شأن الخاملين ويصير حالهم من إهمال وضياع الى شهرة وعموم ذكر فكم بين الشيء الملقى المهمل وبين سحب هواطل ينتظرها كل مجدب ويكبر أمرها كل ظامىء

(٣) المعنى أنك إذا حليت قصيدتي بالجائزة عظم شأنها ونبه قدرها إلى أبعد حد لأنها قبل أن تتحلى بعطائك حسنة جداً فكيف إذا حليتها به

(٤) البرح . الشدة . ومعناها الشديد . والمعنى ظاهر

رأيتك سَمْح البيع سهلا وإنما يُغالى إذا ماضَنَّ بالشيء بائعه[١]
فأما الذى هانت بضائع بيعه فيوشك أن تبقى عليه بضائعه
هو الماء إن أجممته طاب ورده ويفسد منه ما تباح شرائعه

فكتب إليه أبو تمام :

أباجعفر إن كنتُ أصبحت شاعرا أساهل فى بيعى له من أبايعه
فقد كنتَ قبلى شاعرا ذا روية تساهل من هانت عليه بضائعه
وصرت وزيرا والوزارة مشرب يَغَصُّ به بعد اللذاذة كارعه[٢]
وكم من وزير قد رأينا مسلطا رأيناه قد سدت عليه مطالعه
ولله قوس لا تطيش سهامها ولله سيف لا تفل مقاطعه[٣]

ومدحه[٤] أبو عبادة البحترى بقصائد منها :

بعضَ هــذا العتاب والتفنيد ليس ذم الوفاء بالمحمود[٥]
ما بكينا على زرودٍ ولكـنّا بكينا أيامنا فى زرود[٦]

---

(١) غالى بالشيء رفع ثمنه (٢) كرع فى الماء تناوله بفمه من موضعه لا بكفيه ولا بأناء

(٣) المعنى أن قضاء الله يتناول كل شيء وقدرته تتصرف بالناس فسهام الله مصيبة دائما وسيفه لا يثلم أبدا . أى فهو الذي جعلك وزيرا ولوشاء لأنزلك عن دستك وفعل بك ما يشاء (٤) أى محمد بن عبد الملك الزيات (٥) المعنى : لا تسرف أيها اللائم فى لومك فأنى لست فى بكائى إلا وفيا لمن عاشرتهم ولا يحمد أحد ذم الوفاء (٦) هذا البيت كقول البديع الهمذانى

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

ودموع المحب إن عَصَتِ العـ ـذّال كانت طوع النوى والصدود(١)

يالخضر ينحن فى القضب الخضـ ـر على كل صاحب مفقود(٢)

عاطلات بل حاليات يردد ن الشجى فى قلائد وعقود(٣)

زدنني صبوة وذكرننى عهـ ـدا قديما من ناقض للعهود(٤)

ما يريد الحَمَامُ فى كل داد من عميد صبٍّ بغير عميد(٥)

كلما أخمـــدت له نار شوق هِجْنَها بالبكاء والتغريد

ياندىمىّ بالسواجير من ودّ بن معن وبُحتر بن عَتود(٦)

اطلبا ثالثا سواى فأنى رابع العيس والدجى والبيد

لست بالواهن المقيم ولا القا ئل يوما إن الغنى بالجدود(٧)

---

(١) يعنى أن المحب إذا امتنع عن الصبر فإنه يخضع لحكم البعاد والهجران فيبكى

(٢) الخضرة بالتحريك وبالضم النعومة فقوله يالخضر معناه ياللناعمات الابدان . القضب : جمع قضيب وهو الغصن والمراد بالقضب الخضر قدودهن المتأودة المترنحة . وأنت ترى أن جناس البحترى بين خضر وخضر حسن جميل يدل على انطباعه وسلامة ذوقه

(٣) عاطلات ليس عليهن حلى . الحاليات : لابسات الحلى. الشجى: الحزن والمعنى أنهن لا يلبسن الحلى ولكن دمعهن قد صاغ فى نحورهن قلائد وعقودا لشبه الدمع بحبات الدر (٤) الصبوة الميل والمعنى ظاهر (٥) العميد : الذى هده العشق . يقول إن الحمام يبكى ويغرد فى كل واد فيهيج الحزن لهذا الذي شفه الحب فلما سكنت ثائرة حبه أثارها هذا الحمام . وبغير متعلق بصب أى محب مغرم بمن لم يحب ولم يغرم

(٦) السواجير لعله اسم مكان (٧) الجدود : جمع جد وهو الحظ والبخت

وإذا استصعبت مقادة أمر سهّلتها أيدى المَهارَى القُود(١)

حاملات وفد الثناء إلى أبـ ـلج صَبٍّ إلى ثناء الوفود

علقوا من محمد خير حبل لرواق الخلافة الممدود(٢)

لم يخن ربها ولم يُعمل التد بير فى حل تاجها المعقود

مُصلِتا بينها وبين الأعادى حدَّ رأى يفُل حد الحدود(٣)

فهى من عزم رأيه فى جنود قمن من حولها مقام الجنود(٤)

كابَدَتْه فيها الأمور فلاقت قُلّبيّ التصويب والتصعيد(٥)

صارم العزم حاضر الحزم سارى الـ ـفكر ثَبْت المقام صُلْب العود

(١) استصعب الامرُ صار صعبا . المقادة الاقتياد . المهارى: جمع مهرية وهي الناقة نسبة إلى بنى مهرة بن حيدان وهى حى من العرب اشتهروا بأبلهم القود . جمع قوداء بمعنى ذليلة منقادة . والمعنى ظاهر

(٢) يقال علقه أى أحبه أو تعلق به وأسلوب علقوا من محمد خير جبل من قبيل التجريد كقولك لقيت منه أسدا فيكون المعنى أنه شبه الممدوح بحبل السرادق الممدود

(٣) أصلت السيف شهره ورفعه فى وجه العدو . وقوله حد الحدود فحد الاولى بمعنى الحدة والمضاء. وحد مفرد الحدود معناه ظبة السيف التى بها يقطع

(٤) الضمير فى قوله فهى راجع إلى الخلافة فى البيت الثالث قبل هذا والمعنى ظاهر

(٥) يقال كابد فلان الامر أى قاساه وعانى شدته وكابدته الامور أى قاست شدة عزيمته ومرارة جده ويقال هو حوّل قلب وحوّلى قلبيّ أي بصير يقلب الامور ويحتال فيها التصويب الانحدار . والتصعيد الارتفاع . والمعنى ظاهر

دق فهمًا وجلّ حلما فأرضى الـ ـله فينا والواثقَ بن الرشيد

وجّه الحقّ بين أخذ وإعطا ء وقصْدِ في الجمع والتبديد

واستوى الناس فالقريبُ قريبٌ عنده والبعيد غير بعيد

لا يميل الهوى به حين يمضى الـ ـرأى بين المَقْلِيّ والمودود(١)

وسواء لديه أبناء اسما عيل في حكمه وأبناء هود

مستريح الاحشاء من كل ضِغن بارد الصدر من غليل الحقود(٢)

وكأن اهتزازه للعطايا من قضيب الأراكة الأملود(٣)

وكأن السؤال ينثر ورد الـ ـرّوض في وجهه وورد الخدود(٤)

يا بن عبد المليك ملّكك الحمـ ـدَ وقوفٌ بين الندى والجود

ما فقدنا الأعدام حتى مددنا أملا نحو سيبك الموجود

سُودَدٌ يُصطَفى ونَيْل يرجّى وثناء يَحْيَا ومال يُودِى(٥)

لتفنّنْتَ في الكتابة حتى عطّلَ الناسُ فنّ عبد الحميد(٦)

في نظام من البلاغة ماشـ ـكّ امرؤ أنه نظامُ فريد(٧)

---

(١) المقلى المكروه . المودود المحبوب (٢) الغليل من معانيه حرارة الحب والحزن وبأضافته إلى الحقود يجرد من قيده فيصير معناه الحرارة فقط (٣) الأملود : الناعم اللين منا ومن الغصون (٤) أى اذا سئل خجل فاحمر خده فأشبه احمرار خده ورد الروض فكأنك نثرت فى خده وردا من الروض ووردا من حمرة الخدود (٥) السودد : الشرف . نيل . عطاء . يودى : يهلك والمعنى ظاهر

(٦) عبد الحميد هو ابن يحي كاتب مروان بن محمد

(٧) الفريد الدر اذا نظم وفصل بغيره

وبديع كأنه الزهَر الضا حك فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع ما يُخْ لقه عوده على المستعيد
ما أُعيرت منه بطون القراطيـ س وما حُمِّلت ظهور البريد
حجج تخرس الألدَّ بألفا ظ فُرادى كالجوهر المعدود(١)
ومعانٍ لو فصَّلتْها القوافى هجَّنت شعر جرول ولبيد(٢)
حُزْنَ مستعمل الكلام اختيارا وتجنَّبن ظلمة التعقيد
ورَكِبْنَ اللفظ القريب فأدركـ ن به غاية المراد البعيد
كالعذارى غدون فى الحلل البيـ ض إذا رحن فى الخطوط السود(٣)
قد تلقيتَ كل يوم جديد يا أبا جعفر بمجد جديد
يئس الحاسدون منك وما مثـ لك ممن يرجوه ظن الحسود
وإذا استُطرفتْ سيادة قوم بِنْتَ بالسُودَد الطريف التليد(٤)

(١) الفرد من لانظير له والجمع أفراد وفرادى

(٢) جرول لقب الحطيئة الشاعر العبسى المخضرم . ولبيد هو ابن ربيعة شاعر مخضرم أيضا ولكنه امتنع فى الاسلام من قول الشعر وليس له فيه إلا قوله

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

(٣) يقول إذا ظهرت هذه المعانى مكتوبة بالمداد الاسود كانت فى جمالها كالعذارى يلبسن الحلل البيض

(٤) استطرف الشىء : عد طريفا أى جديدا . بان من غيره انفرد وتميز والمعنى ظاهر

وذوو الفضل مجمعون على فضـ ـلك ما بين سيد ومسود
عرف العالمون فضلك بالعـــلم وقال الجهال بالتقليد

ما كان بين ابن الزيات وابن أبى دؤاد

وكان بين الوزير محمد بن الزيات المذكور وبين القاضى أبى عبد الله أحمد بن أبى دؤاد الأيادى منافسات وشحناء حتى إن شخصا كان يصحب القاضى أحمد ابن أبى دؤاد ويختص بقضاء حاجاته فمنعه الوزير ابن الزيات من التردد إليه فبلغ ذلك ابن أبى دؤاد فجاء إلى ابن الزيات وقال : لا والله ما أجيئك متكثرا بك من قلة ولا متعززا من ذلة ولـكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك فأن لقيناك فله وإن تأخرنا عنك فلك ثم نهض من عنده .

وهجا بعض الشعراء ابن الزيات بقصيدة أبياتها سبعون فبلغت ابن أبى دؤاد فقال :

أحسنُ من سبعين بيتا هِجاً جمْعك معناهن فى بيت
ما أحوج الملك إلى مَطرة تغسل عنا وَضَر الزيت(١)

فبلغ ابن الزيات ذلك وكان بعض أجداد ابن أبى دؤاد يبيع القار فقال :

ياذا الذى يطمع فى هجونا عرّضتَ بى نفسك للموت
الزيت لايزرى بأحسابنا أحسابنا معروفة البيت
قيّرتم الملك فلم نُنْقِه حتى غسلنا القار بالزيت(٢)

(١) الوضر وسخ الدسم
القار أو القير الزفت وقير الحائط طلاها به

وكان الواثق قد أمر ألا يرى أحد ابن الزيات إلا قام له فكان ابن أبى دؤاد إذا رآه قام واستقبل القبلة يصلى فقال ابن الزيات :

صلى الضحى لما استفاد عداوتى وأراه يَنْسُك بعدها ويصوم
لا تعدَمَنّ عداوة مسموّة تركتك تقعد تارة وتقوم(١)

أول أمر ابن أبى دؤاد

وأول ما اتصل ابن أبى دؤاد بالمأمون وكان قبل ذلك يحضر مجلس القاضى يحيى بن أكثم مع الفقهاء . قال كنت عنده يوما فجاء رسول المأمون وقال له : يقول لك أمير المؤمنين : انتقل الينا بجميع من معك من أصحابك فلم يحب أن أحضر معه ولم يستطع أن يؤخرنى فحضرت مع القوم وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر إلىّ إذا شرعت فى الكلام ويتفهم ما أقول ويستحسنه ثم قال لى من تكون فاستسميت له فقال ما أخرك عنا فكرهت أن أحيل على يحيى فقلت حبسنى القدر وبلوغ الكتاب أجله . واستمر فى صحبة المأمون مدة حياته . ولما حضرته الوفاة وأوصى لأخيه المعتصم بالخلافة ذكر فى كتاب الوصية:وأبو عبد الله أحمد بن أبى دؤاد لايفارقك ؛ أشركه فى المشورة فى كل أمرك فأنه موضع ذلك فلما ولى المعتصم الخلافة جعله قاضى القضاة وعزل يحيى بن أكثم وكان المعتصم لايفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأى ابن أبى دؤاد . ولما مات المعتصم وتولى بعده الواثق حسنت حال ابن أبى دؤاد عنده . ولما مات الواثق وتولى أخوه المتوكل فلج ابن أبى دؤاد فى

---

(١) مسموة اسم مفعول من سما عليه أى ارتفع عنه والمعنى لازالت عنك تلك العداوة التي سببها سموى عليك

خلافته وذهب شقه الأيمن ومات بذلك المرض فى محرم سنة أربعين ومائتين وقد بلغ من العمر ثمانين سنة .

قال ابن دريد كان القاضى أبو عبد الله أحمد بن أبى دؤاد إلفا لأهل الأدب فلما مات حضر ببابه جماعة منهم وقالوا أيدفن من كان على ساقة الكرم(١) وتاريخ الأدب ولا نتكلم فيه ، إن هذا وهن وتقصير فلما طلع سريره قام إليه ثلاثة منهم فقال أحدهم :

اليوم مات نظام الملك واللَّسن ومات من كان يُسْتَعْدَى على الزمن(٢)
وأظلمتْ سُبُلُ الآداب إذ حجبت شمسُ المكارم فى غيم من الكفن

وتقدم الثانى فقال :

ترك المنابر والسرير تواضعا وله منابر لو يشا وسرير
ولغيره يُجبى الخراج وإنما تجبى إليه محامد وأجور(٣)

وتقدم الثالث فقال :

وليس فتيقَ المسك ريحُ خيوطه ولكنّه ذاك الثناء المخلَّف(٤)
وليس صريرَ النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تَقَصَّف

ومدحه فى حياته جماعة منهم مروان بقوله :

لقد حازت نزار كل مجد ومكرمة على رغم الأعادى

(١) الساقة مؤخر الجيش والمعنى أنه كان أميرا على الكرماء
(٢) استعداه استعانه واستنصره (٣) أجور جمع أجر بمعنى ثواب
(٤) فتق المسك استخراج رائحته بشىء تدخله عليه وتخلطه به ومسك فتيق مفتوق أى مستخرج الرائحة بحله فى غيره كما نفعل نحن اليوم به وبالعنبر

فقل للفاخرين على نزار ومنهم خِنْدِفٌ وبنو إياد
رسولُ الله والخلفاء منهم ومنهم أحمد بن أبى دؤاد
ليس كمثلهم فى غير قوم بموجود إلى يوم التنادى(١)

ودخل عليه يوما أبو تمام وقد طالت أيامه فى الوقوف ببابه ولا يصل إليه فعتب عليه مع بعض أصحابه فقال له ابن أبى دؤاد أحسبك عاتبا ياأبا تمام فقال إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا فكيف يعتب عليك فقال له من أين لك هذا يا أبا تمام فقال من قول الحاذق (يعنى أبا نواس) فى الفضل بن الربيع:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وأبو نواس أخذه من قول جرير وكان عاما فخصصه وهو (٢) :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

ولما ولى ابن أبى دؤاد المظالم قال أبو تمام يمدحه ويتظلم اليه :

ألم يأنِ أن تَرْوَى الظماء الحوائم وأن ينظم الشَّملَ المبَّددناظم(٣)
لئن أَرْقأ الدمعَ الغيورُ وقد جرى لقد رويتْ منه خدود نواعم(٤)

---

(١) فى غير قوم أى فى أقوام كثيرة . يوم التنادي يوم القيامة

«٢» يريد بقوله كان عاما فخصصه أن جريرا جعل حكمه شاملا لجماعة كثيرة وهم بنو تميم ولكن ابانواس خصصه بواحد هو الفضل بن الربيع

«٣» أني الموعد يأنى كرمي حان . الظماء : جمع ظمآن أو ظمآنة . الحائم العطشان

«٤» فهم المؤلف « الغيور » بمعنى الرقيب فاضطرب عليه المعنى لانه جعل الباكي فى الحالين هن الحبائب ثم جعل فاعل ينسي فى البيت الذى بعده للمحب

كما كاد ينسى عهد ظَمياء باللوى ولكن أملّته عليه الحمائم

يقول لئن أرقأ دموع أحبتنا مخافة الرقيب الغيور لقد رويت خدود الأحبة من الدمع . وظمياء اسم جارية . يقول نسيت هذه الجوارى عهدنا كما كدت أنسى عهد هذه الجارية حين سمعت الحمائم تترنم فذكرنى الهوى وأملت علىّ ما كنت نسيته فحفظته

بعثْنَ الهوى فى قلب من ليس هائما فقل فى فؤاد رُعنه وهو هائم(١)

لها نغم ليست دموعا فإن علَتْ مضت حيث لا تمضى الدموع السواجم

أى أصوات كالبكاء إلا أنها لا تبعث دموعا ولكن تعمل فى النفوس ما لا يعمل البكاء بالدموع السواجم وتمضى فيها حيث لا تمضى

أما وأبيها لو أرتنى لأيقنت بطول جوى تنقضّ منه الحيازم

الحيزوم الصدر . يقول لو رأتنى لحكمت بظاهرى على باطنى ولعلمت أنى مشتمل على جوى طويل تنكسر منه عظام الصدر لشدته

ولم يتقدم له ذكر ولكننا نفسر تفسيرا آخر يتفق ومنهج الشعراء فى كلامهم ويساوق لفظ الابيات من غير حاجة الى تأول أو تعسف فنقول الغيور هنا المحب ولا تكون الغيرة إلا نتيجة لشدة الحب وتناهى الكلف أرقأ الدمع رد غربه . أمل الكتاب أملاه . والمعنى إن ارعوى المحب عن البكاء فان المحبوبة بكت طويلا حتى لرتوت خدودها الناعمة فكان ذلك أدعى لشدة تعلقه بها ، كما كاد ينسى عهد تلك المحبوبة المسماة ظمياء ولكن بكاء الحمام ذكره بالحب وأملى عليه ما كان نسيه وحاول التخلص منه

(١) مفعول قل محذوف للتهويل والتفخيم أى قل ما شئت

رآت قَسَمات قد تقسم نَضْرها ... سُرى الليل والإسآدُ فهى سواهم
وتلويحُ أجسام تصدَّعُ تحتها ... قلوبُ رياحِ الشوق فهى سمائم

القسمات مجارى الدموع فى الخدين والنضر الناعم . والاسآد سير الليل . والسواهم المتغيرة . والتلويح الضمر والهزال . والسمايم حر الرياح يقول لو رأتنى لرأت وجوها قد أذهب نعيمها وما نضر منها السرى فى الليل والإسآد حتى تغيرت ، ولرأت أجساما ضامرة تشتمل على قلوب متصدعة لفراق الأحبة محترقة برياح الشوق

ينال الفتى من دهره وهو جاهل ... ويُكدِى الفتى فى دهره وهو عالم
ولوكانت الأقسام تجرى على الحجا ... هلكن إذًا من جهلهن البهائم
جزى الله كفا ملئها من سعادة ... سعت فى هلاك المال والمال نائم
فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد ... ولا المجد فى كف امرىء والدراهم
ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه ... مغارم فى الاقوام وهى مغانم(١)
ولا كالعلا مالم يُرَ الشعر بينها ... فكالأرض غفلا ليس فيها معالم(٢)
فما هو إلا القول يسرى فيَغتدى ... له غُرَرٌ فى أوجه ومواسم

الغفل التى لا علم فيها والمواسم من السمة

(١) يقول إن الناس يسمون ما يدفعه الجواد مما يوجبه على نفسه فى ماله، غرما وخسارة والواقع أن هذا هو الغنم كل الغنم لما يعقبه من ذكر حسن ومجد خالد

(٢) يقول ولم أر مثل الرفعة والشرف تحتاج إلى أن يكون فى رحابها الشعر يزينها ويتم تمامها وهى بدونه كالأرض التى لاشيء فيها يدل على نواحيها ويرشد السائر فيها

يُرى حكمةً ما فيه وهو فكاهة ويُرْضَى بما يقضى به وهو ظالم

إلى أحمدَ المحمودِ أمّتْ بنا السرى نواعبُ فى عرض الفلاو رواسم[١]

خوانف يظلمن الظليم إذا عدا وَسِيجَ أبيه وهو للبرق شائم[٢]

النواعب التى تمد أعناقها فى السير والرواسم التى ترسم فى الأرض، والخناف التى تمر على شق من نشاطها، والظليم ذكر النعام، والوسيج سيره السريع . يقول اذا سارت هذه الأبل فكأنما غصبت الظليم سير أبيه اذا عدا شائما للبرق وخشى على بيضه وفراخه المطر فأسرع نحوها

نجائب قد كانت نعائم مرة من المَرّ أو أُمّاتهن نعائم[٣]

أى هذه الأبل أما نعائم أو أنجبتها نعائم

إلى سالم الأخلاق من كل عائب وليس له مال على الجود سالم

جدير بألا يصبح المال عنده جديرا بأن يبقى وفى الأرض غانم[٤]

أى هو حقيق بألا يصبح المال عنده أهلا للبقاء مادام فى الارض محتاج. هذا مفهوم لفظه أى هو أهل لأن يبذل المال حتى لا يبقى فى الارض غارم عليه دين أو قبله دية دم

(١) نواعب جمع ناعبة وهى الناقة المسرعة . وتفسير المؤلف النعب بمد العنق انما هو خاص بالغراب عند الصياح أو صفة لجياد الخيل

(٢) خنف البعير فى سيره قلب خف يده إلى وحشيه أو لوى أنفه من الزمام ويقال جمل خانف وخنوف و ناقة خنوف . الظليم ذكر النعام

(٣) المر جمع مرة وهى فعلة من مر (٤) غنم الرجل شيئا فاز به بلامشقة والمراد بالغانم هنا السائل الذى يحصل على عطاء الممدوح . ومعنى البيت (لا كما توسع فيه المؤلف) وهذا الكريم حقيق ألا يبقى عنده شىء من المال مادام فى الدنيا من يسأل فيغنم العطاء

وليس ببانٍ للعلا خلقُ امرىء   وإن جل إلا وهو للمال هادم

أي لا تبنى العلا بالأخلاق وإن جلت وكرمت حتى يبذل المال ويهدم بالعطايا

له من أياد قمة المجـد حيثما   سمت ولها منه البُنى والدعائم(١)

أناس اذا راحوا الى الرَّوْع لم ترح   مُسَلَّمةً أسيافهم والجماجم(٢)

بنو كل مشبوح الذراع إذا القنا   ثنت أذرع الأبطال وهى معاصم(٣)

يقول لهذا الممدوح من أياد على شرفها أرفع رتبها ، ولأياد منه أن يبنى لها ما تهدم من المجد ويدعمه لها. وهم أناس أبطال يقارعون بالسيوف ويضربون بها هام الأقران فترجع وقد فلقت الرءوس وتفلقت منها الحدود . وهم أبناء شجعان طوال الاذرع إذا ثنت الرماح الأبطال ، وأذرعهم كالمعاصم فى القصر جبنا وهيبة

إذا سيفه أضحى على الهام حاكما   غدا العفو منه وهو فى السيف حاكم

إذا أمكن سيفه أن يحكم على رقاب الأسرى غلب عفوه فيحكم على سيفه ويرده عنهم

(١) البنى جمع بنية وهى المبنى .والدعائم جمع دعامة وهى ما عليه يقوم الشىء

(٢) راحوا : ذهبوا. الروع : الخوف والمراد به الحرب . لم ترح أي لم تعد . والمعنى أنهم إذا ذهبوا للحرب عادوا بسيوفهم مفلولة الحدود وبجماجمهم وقد أصابتها الجراح . فأل فى الجماجم عوض عن المضاف اليه أى جماجمهم (لا كما ذهب إليه المؤلف من أنها جماجم الأعداء وحدها)

(٣) أى هؤلاء أبناء القوم الطوال الأذرع فى الحرب وذلك كناية عن الشجاعة وعدم النكوص عن العدو فى حين أن الجبان تميل الرماح بذراعه التى هى كالمعصم قصراً من الجبن والهيبة

أخذت بأعضاء العُرَيب وقد خوت عيون كَلِيلات وذَلّتْ جماجم (١)
فأضحوا لو اسطاعوا لفرط محبة لقد عُلِّقت خوفا عليك التمائم
ولو علمَ الشيخان أُدٌّ ويعرب لَسُرّتْ إذاً تلك العظام الرمائم (٢)
تلاقى بك الحيان فى كل محفل جليل وعاشت فى ذَراك العمائم (٣)
فما بال وجه الشعر أغبرَ قاتما وأنف العلا فى عطلة الشعر راغم (٤)
تداركْهُ إن المكرمات أصابع وإن حُلِيَّ الشعر فيها خواتم
إذا أنت لم تحفظه لم يك بدعة ولا عجبا أن ضيعته الأعاجم
فقد هز عِطْفيه القريضُ توقعا لعدلك مذ صارت اليك المظالم
ولولا خلال سَنّها الشعر ما درى بُغاة الندى من أين تُؤْتى المكارم

---

(١) العريب تصغير عرب وصغر هنا للدلالة على صغر الشأن بعدما أصابهم من غلبة الأعاجم. خوت العين خلت والمراد من الأبصار أى ضعفت. والمعنى ظاهر.

(٢) سبق أن علمت أن رمائم جمع رميم وهو العظم البالى

(٣) فى الاصل تلافى بالفاء ورواية الديوان التى أثبتناها هى الصواب. وفى الديوان العماعم ومعناه (الجماعات المتفرقون). ورواية الاصل العمائم جمع عمامة ولما كانت لازمة العربي جعلت كناية عنه فمعنى عاشت فى ذراك العمائم أى عاش فى كنفك العرب. والذرا بالفتح كل ما أستذريت به يقال أنا فى ظل فلان وذراه أى كنفه وستره ودفئه

(٤) يقول إذا كنت قد حطت العرب وأخذت بأعضادهم وجمعت متفرقهم فلم بقى الشعر مشعثا أغبر غير رافه الحال؟ أليس الشعر زينة المعالى وهى بدونه راغمة الأنف

نبذ من أوصاف أبى دؤاد

قال أبو العيناء (١) مارأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من ابن أبى دؤاد وهو

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن القاسم الضرير مولى أبي جعفر المنصور وأصله من اليمامة ومولده بالأهواز ومنشؤه بالبصرة وكان من أحفظ الناس وأفصحهم وكان من ظرفاء العالم وفيه من الالسن وسرعة الجواب مالم يكن لأحد من نظرائه. ولدسنة ١٩١هـ وتوفى سنة ٢٨٢هـ . ومن نوادره : أنه حضر يوما مجلس بعض الوزراء فأفاض الجالسون فى حديث البرامكة وكرمهم وأكثر أبوالعيناء من مدحهم وذكر مفاخرهم فقال له الوزير قد أكثرت من ذكرهم وإنما هذا تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين ـ فقال له أبو العيناء فلم لم يكذب عليك الوراقون أيها الوزير ؟!!. وتأخر يوما عن أبى الصقر إسمعيل بن بابل الوزير ثم دخل عليه فقال له ماأخرك ؟ قال سرق حمارى . قال كيف سرق ؟ قال لم أكن مع السارق حين سرقه . وزحمه رجل على الجسر ببغداد والرجل راكب حمارا فضرب أبو العيناء بيده على أذن الحمار وقال يافتى قل للحمار الذى فوقك ينبه الناس فى الطريق . وسئل عن مالك بن طوق فقال لو كان فى زمن بنى اسرائيل ونزل ذبح البقرة ماذبح غيره . وعلم أن المتوكل قال لولا أن أبا العيناء ضرير لنادمته فقال إن أعفانى أمير المؤمنين من رؤية الأهلة وقراءة نقش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة. وقال له المتوكل يوما إن ابرهيم بن نوح النصرانى واجد عليك فقال: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم. وسار إلى دار صاعد بن مخلد (وكان صاعد حديث الاسلام) فقيل له : الوزير مشغول يصلى فقال: لكل جديد لذة . وكان يأكل مع أبى عيسى بن المتوكل فقدم له سكباجة فكان كلما أخذ شيئا وجده عظما فقال : أهذه قدر ، أم قبر . ولقيه بعض أصحابه فى السحر فجعل يتعجب من بكوره فقال أبو العيناء : أراك تشركنى فى الفعل وتفردنى بالتعجب

أول من افتتح الكلام مع الخلافة وكان لايبدؤهم أحد حتى يبدءوه . وقال المأمون إذ استجلس الناس فاضلا فمثل أحمد فقال أحمد إذا جالس العالم خليفة فمثل أمير المؤمنين الذى يفهم عنه وهو أعلم بما يقول منه . ومن كلام أحمد : ليس بكامل من لم يجعل وليه على منبر ولو أنه حارس وعدوه على جذع ولو أنه وزير . وكان يقال ابن أبى دؤاد روح كله من قرنه إلى قدمه

قال أبو العيناء . إن المعتصم غضب على خالد بن يزيد الشيبانى وأشخصه من ولايته لعجز لحقه فى مال طلب منه وأسباب غير ذلك فجلس المعتصم لعقوبته وكان قد طرح نفسه على ابن أبى دؤادفتكلم فيه فلم يجبه المعتصم فلما جلس لعقوبته حضر ابن أبى دؤاد فجلس دون مجلسه فقال له المعتصم ياأبا عبد الله · جلست فى غير مجلسك فقال له ما ينبغى أن أجلس إلا دون مجالسى هذا فقال له : و كيف ؟ قال : لأن الناس يزعمون أنه ليس موضعى موضع من يشفع فى رجل فلا يشفع قال فارجع الى مجلسك · قال مشفعا أو غير مشفع ؟ فقال بل مشفعا فارتفع إلى مجلسه ثم قال : إن الناس لايعلمون رضاأمير المؤمنين عنه إن لم يخلع عليه فأمر بالخلع عليه فقال ياأمير المؤمنين قد استحق هذا وأصحابه رزق ستة أشهر لابد أن يقبضوها وإن امرت لهم بها فى هذا الوقت قامت مقام الصلة قال قد أمرت بها لهم فخرج خالد وعليه الخلع والمال بين يديه وإن الناس ينتظرون فى الطرق الايقاع بهفصاح به رجل :الحمدلله على خلاصك ياسيد العرب فقال اسكت سيد العرب والله احمد بن ابى دؤاد .

وقال ابو العيناء كان الأفشين يحسد أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى للعربية والشجاعة فاحتال عليه حتى شهدعليه بخيانة . وقتل فأخذه ببعض أسبابه فجلس له وأحضره وأحضر السياف ليقتله وبلغ القاضى أحمد بن ابى دؤاد الخبر فركب فى وقته مع من حضر من عدو له فدخل على الأفشين وقدجيء بأبى دلف ليقتل فوقف ابن ابى دؤاد ثم قال إنى رسول أمير المؤمنين إليك وقد أمرك ألا تحدث فى القاسم بن عيسى

حدثاحتى تسلمه إلى ثم التفت إلى العدول وقال اشهدوا أنى أديت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسم على قيد الحياة فقالوا قد شهدنا وخرج فلم يقدر الافشين عليه وسار ابن أبى دؤاد إلى المعتصم من وقته وقال يا أمير المؤمنين قد أديت عنك رسالة لم تقلها وإنى لأرجو لك الجنة بها ثم أخبره الخبر فصوب رأيه ووجه من أحضر القاسم فأطلقه وعنف الأفشين فيما عزم عليه .

وكان أبو دلف القاسم بن عيسى ابن ادريس بن معقل العجلى أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده ، كريما سريا ، جوادا ، ممدوحا ، شجاعا ، مقداما ، ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة وله صنعة فى الغناء ، وله كتاب سياسة الملوك ، وكتاب النزهة وغيرهما

ولما قال فيه بكر بن النطاح

يا طالبا للكيمياء وعلمه　　　مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم

لو لم يكن فى الأرض إلا درهم　　　ومدحته لأتاك ذاك الدرهم(١)

أعطاه عليهما عشرة آلاف درهم فأغفله قليلا ثم دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية عند نهر الأبلة وأنشده :

بك ابتعت فى نهر الأبلة قرية　　　عليها قصير بالرّخام مَشِيدُ

إلى جنبها أخت لها يعرضونها　　　وعندك مال للهبات عتيد

فدفع له ثمن الأخرى عشرة آلاف درهم

وكان أبو دلف قد شهد مَصافًا (٢) فطعن فيه فارسا فنفّذ الطعنةَ إلى أن

(١) فى الاصل الادرهما وهو ظاهر الخطأ

(٢) الصائفة : غزوة الروم لأنهم لم يكونوا يغزونهم إلا صيفا لمكان البرد فالمصاف هنا بمعنى القتال فى الصيف

وصلت إلى فارس آخر وراءه فنفذ فيه السنان فقتلهما وفى ذلك يقول بكر ابن النطاح :

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا نراه كليلا

لا تعجبوا فلو أن طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا

وحدث أحمد بن عبيد الله بن عمار قال كنا عند أبي العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البَختري(١) أمرد حسن الوجه وفتى من ولد أبي دلف العجلى شبيه به فى الجمال فقال المبرد لابن ابى البخترى أعرف لجدك قصة ظريفة من الكرم ، حسنة لم يسبق إليها فقال وما هى قال : دعى رجل من أهل الأدب الى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذى يشربون منه فقال فيهم :

نبيذان فى مجلس واحد لإيثار مُثرٍ على مقتر

فلو كان فعلك ذا فى الطعا م لزمتَ قياسك فى المسكر(٢)

ولو كنت تفعل فعل الكرا م صنعت صنيع أبى البَختْرى

تتبع إخوانه فى البلا د فأغنى المُقِلّ عن المكثر

(١) هو وهب بن وهب القرشى المحدث حدث عن عبيدالله بن عمر العمرى وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم ولكنه كان متروك الحديث مشهورا بوضعه. ولاه الرشيد القضاء بعسكرى المهدى ببغداد ثم نقله إلى قضاء المدينة ويقال إنه صار قاضى القضاة ببغداد بعد موت أبي يوسف يعقوب الحنفى وكان سريا جوادا يحب المديح ويتبع عطاءه بالاعتذار قل أو كثر

(٢) المعنى أنه لا بد أنك تفعل فى إطعام الناس هذا الصنيع فتجعل لقوم طعاما ولآخرين غيره على حسب مقاماتهم لديك ولو هنا للتعليق بمعنى إن الشرطية تماما وليست لامتناع الجواب بسبب امتناع الشرط .

فبلغت الأبيات أبا البَخْتَرى فبعث اليه بثلثمائة دينار . قال ابن عمار وقد فعل جد هذا الفتى فى هذا المعنى ما هو أحسن من هذا قال وما فعل؟ قلت: بلغه أن أبا عبد الله مولى بنى هاشم افتقر عن ثروة فقالت له امرأته ياهذا إن الأدب قد سقط نجمه وطاش سهمه فاعمِد إلى سيفك ورمحك وادخل مع الناس فى غزواتهم عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئا فقال :

مالى ومالكِ قد كلفتنى شططا حملَ السلاح وقول الدارعين قف[1]

أمن رجال المنايا خلتنى رجلا أمسى وأصبح مشتاقا إلى التلف

تمشى المنايا إلى قوم فأكرهها فكيف أمشى إليها عارى الكتف

أم هل حسبت شواة الناس عارية أو أن نفسى فى جنبي أبى دلف[2]

فبلغ خبره أبا دلف فأحضره وقال له كم أملت امرأتك أن يكون رزقك قال مائة دينار قال وكم أملت أن تعيش قال عشرين سنة قال فذلك لك على ما أملت وأملت امرأتك فى مالنا دون مال السلطان وأمر بأعطائه إياه قال فرأيت وجه ابن أبى دلف يتهلل وانكسر ابن ابى البخترى .

وكان أبو دلف قد ركبه الدين لغزارة جوده واشتهر ذلك فدخل عليه بعضهم وأنشده:

أيا رب المنائح والعطايا ويا طاق المحيا واليدين[3]

لقد خبرت أن عليك دينا فزد فى رقم دينك وأقضى دينى

فوصله وقضى دينه

(١) الشطط تجاوز الحد . الدارع لابس الدرع

(٢) هذا البيت فى رواية وفيات الأعيان لابن خلكان هكذا

بت أن نزال القرن من خلقى أو أن قلبي فى جنبي أبي دلف

(٣) المنيحة المنحة والجمع منائح . المحيا من الوجه حره (ظاهره)

وقال المبرد اخبرنى على بن القاسم قال قال على بن جبلة(١) زرت ابا دلف بالجبل(٢) فكان يظهر من برى وإكرامى والتحفى بى أمرا مفرطا حتى تأخرت عنه حينا فبعث إلى معقلا وقال يقول لك الأمير قد انقطعت عنى وأظنك قد

---

(١) على بن جبلة هو الملقب بالعكوك (والعكوك هو السمين القصير مع صلابة ولعله كان كذلك) شاعر مطبوع عذب اللفظ لطيف المعانى بالغ المدح وقد استنفد شعره فى مدح أبى دلف العجلى وحميد بن عبد الحميد الطوسى وقد بالغ فيهما خصوصا أبا دلف حتى فضل ربيعة على مضر وقد استاء المأمون لما بلغته أبيات العكوك فى أبى دلف . وهى القصيدة المثبتة فى الأصل فطلبه وسل لسانه من قفاه . وقد أشبه بشارا فى ولادته أعمى وفى كون ميتته بسبب شعر ومات سنة ٢١٣هـ

ويقول ابن خلكان عن قصيدته المثبتة بالأصل وهى

ذاد ورد الغى عن صدره فارعوى واللهو من وطره

إنها ثمانية وخمسون بيتا وأن شرف الدين بن عنين وكان من أخبر الناس بنقد الشعر يقول إنها من نوادر الشعر هى وقصيدة أبى نواس التى مطلعها

أيها المنتاب عن عقره لست من ليلى ولا سمره

وقال إنه ما يصلح ان يفاضل بين هاتين القصيدتين الا رجل فى درجة هذين الشاعرين

ويقول أبو العباس المبرد عن قصيدة أبى نواس : ما أحسب شاعرا جاهليا ولا إسلاميا يبلغ هذا المبلغ فضلا عن أن يزيد عليه جزالة وفخامة وليس هذا التعليق موضع التوسع بذكر القصيدتين وإنما أردنا تنبيهك إلى محاسن الشعر لتطلبها فى مظانها

(٢) بلاد الجبل بين أذربيجان والعراق العربى وخوزستان وفارس وبلاد الديلم وكان أبو دلف عامل هذا الاقليم

استقللت برى فلا يغضبنك ذلك فأنى سأزيد فيه حتى ترضى فقلت والله ما قطعنى إلا إفراطه فى البر وكتبت إليه :

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

ولكننى لما أتيتك زائرا وأفرطتَ فى برى عجزتُ عن الشكر

أنا الآن لا آتيك إلا مسلّما أزورك فى الشهرين يوما وفى الشهر

فان زدتنى برا تزايدتُ جفوة ولم تلقنى طول الحياة إلى الحشر

فلما قرأها معقل استحسنها جدا وقال أحسنت والله أما إن الأمير يعجبه هذا من المعانى فلما أوصلها إلى أبى دلف قال قاتله الله ما أشعره وأدق معانيه وأعجبه وأجابنى لوقته وكان حسن البديهة حاضر الجواب

ألا رُبَّ ضيف طارق قد بسطتُه وآنسته قبل الضيافة بالبشر[1]

أتانى يرجّينى فما حال دونه ودون القِرى والعرف من نائلى سترى

وجدتُ له فضلا علىّ بقصده الىّ وبرا زاد فيه على برى

فزودته ما لا يدوم بقاؤه وزودنى مدحا يدوم على الدهر[2]

قال وبعث بالأبيات إلىّ مع وصيف وبعث إلىّ معه بألف دينار فقلت حينئذ :

---

(١) الطروق : الانتياب ليلا يقال طرقه إذا جاءه بالليل . بسطه . سره والمعنى ظاهر

(٢) المراد أنه أعطاه مادة من طعام ومال وكل ذلك لا بقاء له وأخذ منه الثناء الذى يبقى على الدهر وذلك كقول عمر لأولاد هرم حين قال لهم اغد كان زهير يحسن فيكم القول فقالوا وكنا نحسن له العطاء. قال ذهب ما أعطيتموه ما أعطاكم

ذاد وِرْد الغَيِّ عن صَدَره ... وارعوى واللهو من وطره[١]

ندمى أَنَّ الشباب مضى ... وذَوَى المحمودُ من ثمره[٢]

ودمٍ أهدرتُ من رشأ ... لم يرد عَقْلا على هَدَره[٣]

فأتت دون الصِّبا هَنَةٌ ... قلبت فُوقى على وتَره[٤]

دع جَدًا قحطان أو مضر ... فى يمانِيه وفى مضره

وامتدح من وائل رجلا ... عُصُر الآفاق من عُصُره[٥]

(١) الورد . القوم يردون الماء . ارعوى رجع عن الغى . الوطر الحاجة . والمعنى أنه ترك غيه وفيه ميل إليه ورد رغباته عن ورود ماتشتهى من لهو الشباب حتى لايكون منها ملابسة له ونهل منه فرجوع منه بالرى وإشباع النهمة .

ولعلك تتوقف فى معنى الشطر الأول فتقول ان ذياد الشرب عن الصدر أى منعهم منه لاينفى أنهم نهلوا وعلوا ثم حجزوا فى مكانهم فلم يسمح لهم بالرجوع فلا يكون فى البيت نفى لورودهم الماء . والشاعر يريد أن يقول إنهم منعوا الشرب نفسه . فنقول انه لما نفى صدورهم عن الماء ولا يصدر عن الماء الا كل من تملأ منه وروي فقد نفى من طريق الكناية ورودهم إليه لأن الوارد لا بد صادر فاذا منعت صدوره فقد لزم ذلك منع وروده

(٢) البيت فى الاصل « ندى أن الشباب مضى . . . . » وهو غير موزون ولا مفهوم المعنى ولذلك غيرناه إلى ماترى معتمدين على رواية الأغاني

(٣) أهدر الدم أبطل المطالبة بديته . الهدر الدم تبطل المطالبة به . والعقل . الدية . والمعنى ظاهر

(٤) الهنة : الشيء اليسير . الفوق موضع الوتر من السهم . والمعنى فى قلب الفوق على الوتر انعكاس الامر واختلاله

(٥) العصر بالفتح العطية والجمع عصر ككتب والمعنى امدح هذا الرجل المنسوب إلى وائل ، الذى عظمت عطاياه وكثرت حتى كان كل مايعطي فى آفاق الارض و نواحيها جزءا من عطاياه

المنايا فى مناقبه والعطايا فى ذُرَا حُجَره(١)
ملك تَنْدَى أنامله كانبلاج النَّوْء عن مطره(٢)
مستهل عن مواهبه كابتسام الروض عن زَهَره(٣)
جبل عزّت مناكبه أَمَنَتْ عدنان فى ثُغَره(٤)
إنما الدنيا أبو دلف بين مَبداه ومحتضره(٥)
فإذا ولّى أبو دلف ولت الدنيا على أثره
كل من فى الارض من عرب بين باديه ومحتضره

(١) يقول إن قتل الاعداء لازمة من لوازمه كأنه خلق له وطبع معدود فى طباعه الكريمة وكذلك عطاياه حاضرة فى أعالى حجره فإذا أمر بعطاء عجله لا يسوف ولا يمطل

(٢) النوء الكوكب ينبي شروقه أو غروبه بالمطر . والمعني أن يده سبب العطاء كما أن النوء سبب المطر

(٣) استهل المطر اشتد نزوله . يقول إن هطول المطر بعض مواهبه كما كان الزهر حسنه من محاسن الروض

(٤) الثغر النواحى من الأرض الواحده ثغرة كغرفة والمعنى ظاهر

(٥) يقول إنه لاشىء فى الدنيا يعدل أبا دلف وهذا هو رأى الناس جميعا بين باد وحاضر . والضمير فى باديه وحاضره عائد إلى ابى دلف والمعنى بادى قومه وحاضرهم وذلك أنه لما جعله هو الدنيا جعل الناس كلهم منسوبين له . أو يكون تقدير الاضافة بين بادى بلاده وحاضرها . والمؤدى فى المعنيين واحد .

مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمون على علىّ بن جبلة حتى سل لسانه من قفاه

قال المبرد وحدثنى ابرهيم بن خلف قال بينا أبو دلف يسير مع معقل وهما إذ ذاك بالعراق إذ مرا بقصر فأشرف منه جاريتان فقالت إحداهما للأخرى هذا أبو دلف الذى يقول فيه الشاعر :

« إنما الدنيا أبو دلف» فقالت الأخرى هذا هو ؟؟!! والله كنت أحب أن أراه مذ سمعت ما قيل فيه فالتفت أبو دلف الى معقل وقال ما أنصفنا على بن جبلة ولا وفيناه حقه وإن ذلك لمن أكبر همى قال وكان أعطاه ألف دينار .

وعلى أسلوب على بن جبلة نسج البحترى كلمته فى محمد بن على بن عيسى القُمّى الكاتب وهي :

أمواهب هاتيك أم أنواء هُطل وأخذٌ ذاك أم إعطاء(١)

إن دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا ذهب السخاء فلا يُحَسّ سخاء

ليس التى ضلت تميم وَسْطها الـ دْهناء لا بل صدْرُك الدهناء(٢)

ملك أغر لآل طلحة نَجْره كفَّاه أرض سَمْحة وسماء(٣)

---

(١) يقال ديمة هطل كقفل بمعنى هاطلة

(٢) وسط الشيء محركة ما بين طرفيه كأوسطه فأن سكنت (وسط) كانت ظرفا أو التسكين والتحريك فيما هو مصمت كالحلقة فأن كان متباين الاجزاء فبالاسكان فقط ، أو كل موضع صالح فيه لفظ « بين » فهو بالتسكين وإلا فبالتحريك . الدهناء الفلاة . يقول إن صدره واسع وهو أولى بأن يسمى دهناء من الصحراء

(٣) النجر الأصل

وشريف أشراف إذا احتكمت بهم   جُرْب القبائل أحسنوا وأساءوا[١]

لهم الفِناء الرَّحْب والبيت الذى   أُدَدٌ أواخِ حوله وقَناء[٢]

وخؤولة فى هاشم وَدّ العدى   أن لم تكن ولهم بها ما شاءوا

بين العواتك والفواطم منتمى   يزكو به الأخوال والآباء[٣]

أمحمد بنَ علىٍّ اسمع عِذْرة   فيها دواء للمسىء وداء

مالى إذا ذكر الوفاء رأيتُنى   مالى مع النفر الكرام وفاء[٤]

يضفو علىّ العَذْل وهو مقارِبٌ   ويضيق عنى العذر وهو فضاء[٥]

---

(١) يقول هو شريف من قوم أشراف فيهم النفع والضر فالنفع لمن يطلب جدواهم ويستجير بحماهم والضر لمن يناوئهم ويتصدى لهم

(٢) أدد كعمر أبو قبيلة من العرب واللفظ مصروف مع كونه علما على وزن عمر . أواخ جمع آخية وهى طنب الخيمة - القناء من الحائط الجانب الذى يقع عليه الظل . والمعنى أن لهؤلاء القوم بيتا يلوذ به العرب ويكونون أطنابه ومواقع ظله . ويلاحظ أن كلمة قناء فى آخر البيت وردت فناء بالفاء فى الاصل وفى ديوان البحترى ولا معنى لها فصحفناها إلى ماذكرنا وهو المناسب

(٣) العواتك من جدات النبي تسع ثلاث من سليم وست من غيرهم والفواطم من جداته سبع قرشية وقيسيتان ويمانيتان وأزدية وخزاعية . وقوله منتمى أي نسب . والمعني ظاهر

(٤) كلمة الوفاء التى فى آخر البيت بمعنى الموافاة أى أنه لايذكر معهم

(٥) يضفو يطول ويسبغ . المقارب المناسب . والمعنى أنه يلام كثيرا مع أنه لايستحق هذا اللوم ولايقبل له عذر مع اتساع العذر له . وتلك شكوى من الحظ الذى جعله لايعد فى الكرام وهو منهم ولايقبل عذره وهو جدير به ويزيد لومه ويطول جدا فيما لايستحق هذه الزيادة وذلك الطول

إنى صرمتك إذ صرمتك وحشة لا العود يذهبها ولا الابداء

أخجلتنى بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء

وقطعتنى بالجود حتى إننى متخوف ألا يكون لقاء(١)

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة عجب وبر راح وهو جفاء

ليواصلنك ركب شعر سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء

حتى يتم لك الثناء مخلدا أبدا كما تمت لى النعماء

فتظل تحسدك الملوك الصيد بى وأظل يحسدنى بك الشعراء

ولما مرض أبو دلف مرض الموت حجب الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه فأفاق فى بعض الأيام فقال لحاجبه من بالباب من المحاويج فقال عشرة من الأشراف قد وصلوا من خراسان ولهم بالباب عدة أيام ولم يجدوا طريقا

(١) فى هذا البيت والبيتين قبله يقول إنه لما كثر عطاء الممدوح له انقطع عنه انقطاعا لا يصله عوده إلى اللقاء (كناية عن شدد القطيعة) وذلك لأن العطاء أخجله حتى ستر الخجل ما بينهما فأظلم الطريق إليه وهو يخشى أن تستمر هذه القطعية لا يكون بعدها لقاء أبدا . وهذه كما يظهر لك مبالغة زائدة ولعل من تناولها من الشعراء نظرا إلى كون زهير لما علم أن هرما أقسم لا يأتيه سائلا إلا أعطاه ولا يسلم عليه الا أعطاه ولا يمدحه إلا أعطاه انقطع عنه وكان إذا لقيه فى قوم قال عموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت ولكن المبالغة ظاهرة جدا فى كلام البحترى، حتى إنه جعل انقطاعه قطيعة وجعل ما بينه وبين الممدوح مظلما وذلك غير مقبول فى المدح مهما كان المعنى الذى يحمله والمراد الذي

فاستدعاهم وسألهم عن سبب قدومهم فقالوا ضاقت بنا الأحوال وسمعنا بكرمك فقصدناك فأمر خازنه بإحضار عشرين كيسا فى كل كيس ألف دينار ودفع لكل واحد كيسين ثم أعطى لكل واحد مئونة طريقه وقال لهم لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم واصرفوا هذا فى مصالح الطريق ثم قال ليكتب لى كل واحد منكم خطه : إنه فلان ابن فلان حتى ينتهى إلى على بن أبى طالب ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكتب يارسول الله إنى وجدت إضاقة وسوء حال فى بلدى فقصدت أبا دلف العجلى فأعطانى ألفى دينار كرامة لك وطلبا لمرضاتك ورجاء لشفاعتك . فكتب كل واحد ذلك وتسلم الأوراق وأوصى من يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق فى كفنه حتى يلقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى أبى دلف العجلى مدائح كثيرة منها :

الله أجرى من الأرزاق أكثرها ... على يديك بعلم يا أبا دلف

ما خط «لا» كاتباه فى صحيفته ... كما تخطط «لا» فى سائر الصحف

بارى الرياحَ فأعطى وهى جارية ... حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف

ولأبى تمام فيه مدائح كلها جيدة فمنها هذه القصيدة الفائية :

أما الرسوم فقد أذكرنَ ما سلفا ... فلا تكفّن عن شانيك أو يكفا(١)

لاعذر للصب أن يَقْنَى الحياءَ ولا ... للدمع بعد مضى الحى أن يقفا(٢)

الرسوم : آثار الديار ـ شانى مسهل شانئ بمعنى مبغض . وكف الدمع قطر ووكف البيت قطر منه الماء والوكف أيضا الضعف فأحد المعنيين صالح فى فهم البيت فأما أن يكون لا تكف عن العدو حتى يبكى من هزيمته أمامك أو لا تكف عنه حتى يضعف

(٢) قنى الرجل الحياء لزمه كأقناه واقتناه وقناه . ومعنى البيت ظاهر

حتى يظل بماء سافح ودم   فى الربع يُحسب من عينيه قد رَعفا(١)

وفى الخدور مهاً لو أنها شعرت   به طغت فرحاً أو أَبْلَسَتْ أسفا(٢)

قوله ما سلفا أى لنا مع الأحبة. قوله أن يفنى الحياء ويروى يفنى الدموع وقوله وفى الخدور أى لو أن المها التى فى الخدور نظرت الى حال هذا العاشق لفرحت بقربه فرحا شديدا. أو أبلست أسفا وحزنا لما تعاين من سوء حاله وشدة حزنه

لآلئ كالنجوم الزُّهر قد لبست

أبشارُها صدفَ الإحصان لا الصدفا(٣)

من كل خَوْد دعاها البين فابتكرت

بِكْرا ولكن غدا هجرانها نَصفا(٤)

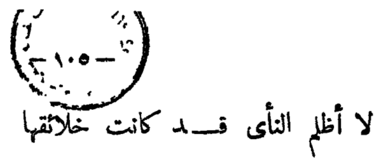
---

(١) رعف المرء (من باب نصر ومنع وكرم وسمع ومبنيا للمجهول كعني) خرج من أنفه الدم. والمعنى (وهو مجتمع من البيت والذي قبله) لاعذر للصب أن يمتنع دمعه بل الواجب أن يظل يسفحه فى الربع مختلطا بالدم حتى يظن أنه قد رعف من عينيه بدل أنفه

(٢) الطغيان مجاوزة القدر. الابلاس اليأس والحيرة. والمعنى أن الحسان لو علمت مايأتيه العاشق عند رسم دارها لأبطره الفرح بما لهافى نفوس الناس من حب أو أصابتها الحيرة لما ترى من حال هذا البائس المسكين. لاحظ الفرق بين تفسيرنا لطغيان الفرح وتفسير المؤلف

(٣) الابشار جمع بشر كقمر وهو ظاهر جلد الانسان: الاحصان. العفة والطهر. والمعنى ظاهر

(٤) الخود الحسنة الخلق الشابة. ابتكر: خرج بكرة. النصف: المرأة بين الحدثة والمسنة أو هى التى بلغت أربعين أو خمسين سنة. والمعنى أن هذه



لا أظلم النأى قـــد كانت خلائقها

من قبل وَشْكَ النوى عندى نوى قَذَفا[1]

أخذ هذا المعنى البحترى ولطفه حيث قال :

أعاتك ما كان الشباب مقربى إليك فألحى الشيب إذ هو مبعدى

حسناء جاد وَلىُّ الحسن سنتها فصاغها بيديه روضة أُنُفا[2]

مصقولة سترت عنا ترائبُها قلبا بريا يناغى ناظرا نطفا[3]

الفتاة لبت داعى الفراق فخرجت مبكرة وهى بكر ولكن الهجران منها كان كثيرا طويلا بعيد العهد كالمرأة النصف . وأنت ترى أن الطباق بين بكر ونصف والجناس الاشتقاقى بين ابتكرت وبكر هو الذي عقد البيت وغض من حسنه لأنك ترى أن تشبيه الهجران بالنصف كأنه لم يجتلب الا مراعاة لوصف الخود بأنها بكر وجعلها بكرا ليس له فى أصل المعنى قيمة ولكنه مسوق من أجل ابتكرت . وهذا البيت يجب أن يضاف الى أمثلة التكلف فى شعر أبى تمام

(١) النوى البعد . ونوى قذف أي بعيدة جدا والمعنى فى تشبيه أخلاقها بالنوى أن فيها مرارتها وشدتها وصعوبة مايجد المحب منها

(٢) جادت السماء الروض هطلت عليه . الولى من المطر هو المطرة الثانية التى تلى الوسمى . السنة (هنا) الصورة . الروضة الانف : التى لم ترع . والمعنى ظاهر

(٣) الترائب عظام الصدر أو ماولى الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين : برى . برىء . نطف مريب متهم والمعنى فى اتهام نظرها أنه متهم بقتل الناس لشدة تأثيره فيهم أو متهم ببعث الحب فى نفوسهم لأن نظراتها تجذب القلوب إليها فكأنها دعتهم للصبا وأغرتهم باللهو

يضحى العذول على تأنيبه كَلِفا بعذر من كان مشعوفا بها كَلِفا(١)

ودِّع فؤادك توديع الفراق فما أراه من سفر التوديع منصرفا(٢)

يجاهد الشوق طورا ثم يجذبه إلى جهاد القوافى فى أبى دلفا

بجوده انماعت الأيام لابسة شرخ الشباب وكانت جِلّة شُرُفا

هذا من محاسن مخالصه المشهورة . يقول يجاهد الشوق ثم يجذبه إلى جهاد القوافى فى الذى رجعت الأيام شابة بجوده وكانت مسنة والشرف جمع شارف وهى المسانّ من الأبل(٣)

حتى لو أن الليالى صورت لغدت أفعاله الغر فى آذانها شنفا(٤)

إذا علا طود مجد ظل فى نَصَب أو يعتلى من سواه ذِرْوة شَعَفا(٥)

---

(١) المعنى أن العذول الذى طال منه اللوم والتعنيف فى حبها يصير الى التماس العذر للعاشق الذى شعفه حبها . والشعفة رأس القلب عند معلق النياط ومنه شعفه حبه كمنع أى غطى الحب قلبه من فوقه

(٢) يقول للمحب حين وقف لوداع المحبوبة . إنك لابد تائب فى هـذا الموقف فلا قفول لفؤادك من سفر موقف التوديع فودع فؤادك فى هذا الموقف لأنك ستفارقه فراقا دائما

(٣) المسان جمع مسنة وهى الكبيره السن

(٤) الشنف كحبل ما علق فى أعلى الأذن أما الذى يعلق فى أسفلها فقرط كقفل

(٥) أو بمعنى الى والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة وجوبا ولم تظهر الفتحة على الياء وذلك جائز فى بعض اللغات أو هو محتمل للشعر . الشعب أعلى السنام والشعفة بالتحريك كذلك رأس الجبل والاولى جعلها فى البيت من التشبيه بأعلى السنام حتى يكون المعى ذروة عالية تشبه شعب الجمل أما جعلها بمعنى رأس الجبل فيحملنا حذف التاء ولاداعى إليه

فلو تكلم خَلْق لا لسان له لقد دعته الليالى مَلّة طُرُفا(١)

جم التواضع والدنيا بسُودَده تكاد تهتز من أطرافها صَلَفا

يقول همته تسمو به إلى المعالى فكلما نال درجة سمت همته إلى أعلى منها فهو فى تعب مالم ينتقل إلى غيرها ويعلو ذروة أخرى . فلوكان للمعالى عقل ولسان لدعته ملة أى ملولا مستطرفا . والشعف أعلى الجبل والبيت الأخير ليس له فى الحسن نظير

قصد الخلائق إلا فى وغى وندى كلاهما سُبَّةٌ مالم يكن سَرَفا(٢)

تدعى عطاياه وفراوهى إن شُهرت كانت نخارا لمن يعفوه مؤتَنَفا(٣)

---

(١) الملة . يقال رجل ذو ملة أى ملول لا يلبث أن يسأم الشيء فأبو تمام حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه مبالغة والطرف كقفل الرجل الملول أيضا وقد حركت عينه للشعر والمعنى كما شرحه المصنف

(٢) القصد التوسط فى الأمور .السبة العار وقد وردت فى الديوان سنة بالنون ولا معنى لها والمعنى أن الاقتصاد والتوسط محمود من الناس فى كل شيء الا فى الحرب والكرم فأنه فى كليهما معدود سبة وعارا إذا لم يكن بالغا حد التبذير ويلاحظ أن خبر قصد محذوف وتقديره قصد الناس الا فى الحرب والندى مقبول .ويلاحظ أيضا أنه أخبر عن « كلاهما » بمفرد وهو سبة وذلك هو الاستعمال الوارد عن العرب كقول الشاعر

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

(٣) يقول تعد عطاياه مالا كثيرا حصل عليه السائل المجتدى ولكنها الى جانب كونها مالا كثيرا هى شرف عظيم ناله المعتفى حين كان بموضع من عطف هذا العظيم الجليل القدر وقد أخذ هذا المعنى البحترى فقال :

وإذا اجتداه المجتدون فأنه يهب العلا فى سيبه الموهوب

وعندى أن البحترى صاغ المعنى فى أحسن من لفظ أبي تمام وأشرف وذلك فى قوله يهب العلا فى سيبه الموهوب فقد جعل العلا كلها موهوبة مع العطاء أما أبو تمام فقد جعل للآخذ شرفا جديدا استفاده بالعطاء ولم يدلنا على مقدار هذا الشرف

ما زلت منتظرا أعجوبة زمنا حتى رأيت سؤالا يجتني شرفا

يقول قول الذى ليس الوفاء له عزما وينجز إنجاز الذى حلَفا

رأى الحِمام شقيق الخُلْف فاتفقا فى ناظريه وإن كانا قد اختلفا(١)

كلاهما رائح غاد يدل على معروفه وعلى حوبائه التلفا(٢)

ولو يقال اقْرِ حد السيف شرَّهما ما شام حديه حتى يقتل الخُلُفا(٣)

إن الخليفة والأَفْشِينَ قد علما من اشتفى لهما من بَابَكٍ وشفى(٤)

---

(١) المعنى أنه يعد خلف الموعد بمثابة الموت فصارا فى نظره شيئا واحدا وإن كانا فى الواقع مختلفين

(٢) أى أن الموت والخلف يطيفان به فالموت يدل التلف على نفسه لأنه شجاع يعرض نفسه دائما للموت والخلف يدل التلف على ماله أى أن كراهة الخلف تجعله يفى بوعده فى ماله فيعرضه للنفاد .

(٣) فى رواية الديوان «ولو يقال أقر السيف شرهما» فيكون أقر من الأقرار والتثبيت ولكنه لم يعهد متعديا لمفعولين كما استعمله هنا . وفى رواية الأصل تكون اقر من قرى الضيف . والمعنى عليه ولو يقال اجعل شر الأمرين الخلف والموت قرى للسيف ما اختار السيف الا الخلف أى ان سيف الممدوح يستفظع ويكره الخلف اكثر من كراهته للموت فهو يؤثر أن يقضى عليه ويترك الموت

(٤) بابك الخرمى رجل من أهل كورة البذ بين أذربيجان وأران فى شمال الفرس ، خرج بهذه الناحية وامتدت فتنته من أيام المأمون سنة ٢٠١ إلى أن قتل بيد الافشين سنة ٢٢١ فى عهد المعتصم ، وكان بابك هذا على مذهب مزدك الذى قتله قباذ ملك الفرس قبل ذلك هو وأصحابه لما ظهر به من إفساد المجتمع بأباحة اللذات أيا كانت وإباحة الحرم وخلط العشراء بالنفس فى المال والزوجة وكان لهم فى الضيافة مذهب ليس لأحد من الامم اذا نزل بهم الضيف لم يمنعوه من شيء ويبذلوا له نساءهم وشاركوه فى كل أمورهم ، فقام بابك يحيي هذه الحالة

فى يوم أَرْشَقَ والهيجاء قد رشقت ‏ ‏ من المنية رشقا وابلا قَصِفا[1]

فكان شخصك فى أَغفالها علما ‏ ‏ وكان رأيك فى ظلمائها سَدَفا[2]

نَضَوْتَهُ دلفيا من كنانته ‏ ‏ فأصبحت فوزة العقبى له هدفا

القصف الشديد والأغفال الأمكنة التى لا أعلام فيها : والضمير فى نضوته يعود إلى الرأى

به بسطت الخطى فاستنفرت رتبا ‏ ‏ إلى الجلاد وكانت قبله قُطُفا

المنكرة ولكنه أضاف إليها القتل والغصب والحرب والمثلة وكان مذهب مزدك يحرم سفك الدم ويعمل على التحاب والمواساة حتى توسع فيها إلى ماذكرنا. ولم يتمكن من هزيمة بابك وأسره إلا الافشين ، لذلك لما عاد إلى المعتصم منتصرا على بابك ورجاله توجه وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين الف الف درهم وعقد له على السند

والافشين هذا غلام تركى من أشر وسنة (كورة من بلادماوراء النهر بين فرغانة وسمرقند) وكان اسمه حيدر وكان فى حاشية المعتصم أيام المأمون وأصله من أبناء ملوك هذه الناحية وكان الافشين لقب الملك منهم كما يلقب ملك الفرس بكسرى . وقد تولى للمعتصم مصر والشام حين كانا له ايام ولاية عهده ثم لما ولى الخلافه ندبه لحرب بابك . . . . وخرمة هى القرية التى نشأ بها بابك كما قال صاحب القاموس ويقال تخرم أى دان بدين الخرمية وهى طائفة بابك . .

وفى البيت إشارة إلى أن أبا دلف كان يحارب بابك تحت إمرة الافشين

(١) أرشق جبل بنواحى موقان كانت به الواقعة التى أشار إليها أبو تمام فى البيت . وابل كثير . قصف شديد الصوت وقد حسن جناس الاشتقاق بين أرشق ورشقت

(٢) السدف هنا الصبح وهو من أسماء الاضداد يكون ايضا بمعنى سواد الليل

اسحنفرت استمرت . والرتك سرعة السير والقطف جمع قطوف وهو المتقارب الخطو

خطوا ترى الصارم الهندى منتصرا　　به من المارن الخطى منتصفا

ذمّرت جمع الهدى فانقض منصلتا　　وكان فى حلقات الرعب قد رسفا

ذمرت حرضت والرسفان مشى المقيد يقول حرضت المسلمين على الأقدام

ومر بَابَك مُرّ العيش مُنْصَلِتا　　محلوليا دمه المعسول لو رُشِفا[1]

يقول مر بابك مر العيش منهزما أى أمر عليه عيشه إلا أن دمه للمسلمين حلو لو نالوه ورشفوه

حيران يحسب سجف النقع من دهش　　طودا يحاذر أن ينقضّ أو جُرُفا[2]

ظل القنا يستقى من صفه مهجا　　إما ثماد وإما ثَرّة خُسُفا[3]

الثماد الماء القليل والخسف جمع خسوف وهى البئر لا ينقطع ماؤها

من مشرق دمُه فى وجهه بطلٌ　　وواهل دمه للرعب قد رسفا[4]

---

(١) انصلت مضى وسبق . وكلمة منهزما فى تفسير المؤلف ليست هى معنى منصلتا اللغوى ولكنها من تفسير المعنى العام للبيت

(٢) السجف : الستر . الجرف : جانب الجبل الأملس

«٣» الثماد الماء القليل . العين الثرة التى لا ينقطع ماؤها والخسف جمع خسوف وهى البئر التى حفرت فى صخر فنبعت بماء كثير

«٤» الواهل الخائف جدا رسف المقيد مشى فى قيوده . يقول: الاعداء كانوا بين اثنين احدهما مشرق الوجه دمه فيه ظاهر مقبل كالبطل وآخر اختفى دمه وقل وتضاءل كالأسير المقيد . ولست أرى وراء تشبيه الدم بالبطل والجبان كبير معنى ولكن أبا تمام أراد الطباق بين بطل وواهل ومراعاة النظير من ناحية أخرى بين بطل وواهل ودم ورعب ورسف وهذا مادفعه الى عقد هذه التشابيه وليست فى نفسها بمجتمعة الاطراف

فذاك قد سقيت منه القنا جرعا   وذاك قد شربت منه القنا نطفا[١]

يقول سقيت الرماح من دم الجبان جرعا لقلته ومن دم البطل نطفا والنطفة وإن كانت ماء قليلا فهى مروية لشاربها فلذلك جعلها لدم البطل

مثقفات سلبْنَ الروم زرقتها   والعُرْبَ سمرتها والعاشق القضفا[٢]

يقول تلك الرماح المثقفة لأسنتها زرقة الروم وقناها سمر فى لون العرب وهى ذابلة قضفة كالعاشق المدنف القضف

ما إن رأيت سواما قبلها هملا   ترعى فيهدى إليها رعيها عجفا

السوام الابل الراعية . والهمل المهملة فى الرعى والعجف الهزال يقول الرماح أبدا ترعى النفوس وترد الدماء طعنا فلا يزيدها ذلك إلا هزالا

ورب يوم كأيام تركت به   متن القناة ومتن القرن منقصفا

---

(١) فرق المصنف بين النطفة والجرعة بما لا تقول به كتب اللغة وانما الذى فيها هو النطفة الماء الصافى قل أو كثر قال الازهرى والعرب تقول للمويهة القليلة نطفة وللماء الكثير نطفة وهو بالقليل أخص والجرعة من الماء حسوة منه وأرى أنه مادام الشاعر قد استعمل فى النشر بعد اللف اسم إشارة بصورة واحدة فالنشر مرتب كما هو الاصل ولعدم قيام دليل على تشويشه فلو أنه قال فذاك قد شربت منه جرعا وذلك قد شربت منه نطفا لجعلنا الاول للجبان لقربه اذ هو المذكور آخيرا وذلك للبطل لبعده اذ هو المذكور أولا فلما لم يفعل الشاعر ذلك وجب التعويل على الاصل ويساعد على ذلك قول الازهرى إن النطفة بالقليل من الماء أخص . فافهم على هذا ولا حاجة لتأويل المصنف لأنه لم يذكر فى تفسير النطفة خصوصية الارواء فهى زيادة لادليل عليها

(٢) أضف إلى شرح المصنف أن القضف بالتحريك النحافة

أَزَرْتَ أَبْرَ شتيوما والقنا قِصَد غيابة الموت والمقروّةَ الشيفا

قوله منقصفا أراد منقصفين فاجتزأ بخبر الواحد وأبر شتيوم اسم حصن لبابك وقصد منكسرة وغيابة الموت سحابته والمقروة الشيفا اسم للخيل

لمـــا رأوك وإياها ململمة يظل منها جبين الشمس منكسفا

ولَّوْا وأغشيتهم شُمْسا غطارفة لغمرة الموت كشافين لا كُشفا(١)

الململة الكتيبة المجتمعة والكشف المنهزمون . والغطارفة السادة

قد نبذوا الحَجَف المحبوك من زؤُد وصيروا هامهم بل صُيرت حَجَفا(٢)

أغشيت بارقة الأغماد هامهم ضربا طِلَخْفا ينسّى الجانف الجنفا

المحبوك المحكم العمل والزؤد الفزع . وبارقة الأغماد السيوف . وضربا طلخفا أى شديدا . والجانف الحائد عن الحق أى علوت رءوسهم بضرب ينسى الجائر جوره

برق إذا برق غيث بات مختطِفا للطَّرْف أصبح للهامات مختطفا

بالبيض قد أيقنت أن الحسام إذا هَجيرَة حرّضته ساعة أَنِفا

(١) الشمس بالضم وبضمتين جمع أشمس وهى من الناس الأبي الشديد . غطارفة جمع غطريف أو غطراف وهو السيد الكريم . الكشف جمع أكشف وهو المنهزم

(٢) الحجف محركة التروس من جلد واحدتها حجفة . والمعنى أنهم تركوا استعمال التروس لما شغلهم من شدة العدو فى هجومه وأن جماجمهم صارت حجفا بعد قتل أصحابها وتجردها من جلدها ومخها

كتبت أوجههم مشقا ونمنمة ضربا وطعنا يقدُّ الهام والصُلُفا (١)
كتابة لاتنى مقروءة أبدا وما خططت بها لاما ولا ألفا
فأن ألَطّوا بأنكار فقد تُركتْ وجوههم بالذى أوليتهم صحفا (٢)
وغيضة الموت أعني البَذَّ قُدْتَ لها عرمرم الحزون الأرض معتسفا (٣)
كانت هى الوسط الممنوع فاستلبت ماحولها الخيلُ حتى أصبحت طَرَفا
وظل بالظفر الأفشين مرتديا وبات بابكها بالذل ملتحفا
أعطى بكلتا يديه حين قيل له هذا أبو دلفَ العجلىُّ قد دَلَفا
تركت أجفانه مفضوضة أبدا ذلا تمكن من عينيه لاوطفا (٤)

(١) الهجيرة والهاجرة وقت الظهيرة . أنف أبى . والمشق والنمنمة الخط الدقيق. الصلب جمع صليب وهوعرض العنق . يقول كتبت بالبيض فى أوجههم كتابة دقيقة بضرب وطعن يقطع الرقاب وجوانب الاعناق . وهذه البيض قد وثنت أن الحسام الواحد منها إذا شدة الحر حملته على التواني فى القتال أنف من مطاوعتها . وقوله بالبيض متعلق بكتبت فى البيت الذى بعده

(٢) يقال ألط بالامر إذا لزمه والمعنى إذا أنكروا مافعل بهم فأن آثار الضرب بأوجههم صحف تكذبهم فى إنكارهم

(٣) البذ هى الكورة التى نشأبها بابك الخرمي

(٤) الوطف كثرة شعر الحاجبين والعينين وذلك يلزمه فى العينين استرخاء وإغماض .

يارب مكرمة تجفى إذا نزلت قدعرّفتْ فى ذَرَاكَ البِرو الالطفا(١)

لو لم تفَتِّ مُسنّ المجد مذ زمن بالجود والبأس كان المجد قدخَرِفا(٢)

يقول صيرت المجد شابا بجودك وبأسك بعد أن كان مسنا ولولم تتداركه لـكان قد خرف وهرم وأشرف على الذهاب

نامت همومى عني حين قلت لها هذا أبو دلف حسبي به وكفى

وقال يمدحه ايضا بقوله :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب(٣)

أقول لقُرحان من البين لم يصف رسيس الهوى بين الحشا والترائب

رجل قرحان اذا لم يصب بالمصائب واصله من الماء القراح وهو الخالص العذب ويقال للذى لم يخرج عليه الجدرى قرحان

---

(١) الذرى كل مايستتربه تقول تذريت من برد الشمال بصخرة واتخذت الحائط ذرا لى . والمعنى بعض مكارم الناس تكون كريهة غير محبوبة لأنها متكلفة أو لأن أصحابها يتبعونها بالمن المبطل المعروف ولكنك اذا أتيت المكارم ظهر فيها أتم ظهور ماقصدت من بروما أبديت من رفق ولطف بالمجتدين فكانت لذلك حبيبة الى الناس . وفى رواية الديوان تخفى بالخاء بدل تجفى والمعنى عليه أن المكارم التى تخفى من غيرك لصغر شأنها تأتي منك عظيمة يشيع مافيها من بر ولطف بالمجتدين وعلى التفسيرين يصح أن تكون الذرا (بضم الذال) جمع ذروة وهى أعلى الجبل والمعنى موضعك العالى الذى هو بالنسبة لمنازل الناس كأعلى الجبل

(٢) فتّاه جعله فتيا ومنه فتيت البنت أى عدت فتاة فمنعت اللعب مع الصبيان

(٣) أذالت الشىء أهنته ولم ترع حقه

أعِنّي افرّقْ شَمْل دمعى فأنني   أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب

يقول قد اجتمع دمعى لأنى لم ابك حتى رأيت منازلهم فاغنى بوقفة حتي أبكيهم فأستريح

وماصار يومَ الدار عذلُك كله   عدوى حتى صار جهلك صاحبي

يقول امتنعت من الوقوف معى على هـذه الدار حتي أقضى الوطر منها ببكائى وجعلت تعذلنى لأنك غير صب بأهلها فعذلك عدو لى ولم يكن عذلك عدوا لى حتي كان جهلك بالهوى صاحبا لى فأنا أعذرك لجهلك . قال بشار :

(هجرتَ محلى لشغلى بهم   ولو قـد عَشِقتَ لواصلتنى)

ومابك إركابى من الرشدمركبا   ألا إنما حاولتَ رُشد الركائب

أى لم يكن قصدك اذ عذلتنى على الوقوف فى الديار أن ترشدنى ولكنك حاولت أن تريح الركائب ولاتتعبها بالتعريج على الطريق والعدل إلى الديار والوقوف عليها

فِكلْني إلى شوقى وسر يَسِرِ الهوى   إلى حَرَقاتى بالدموع السوارب[١]

ويروى بالدموع السواكب . يقول أنا لا أطاوعك على ماتريده فسر وسلمني إلى شوقى فأن هواى سيبعث دمعى وأراد بميدان اللهو ديار أحبابه فى البيت الآتى :

أميدان لهوى من أتاح لك الردى   فأصبحت ميدان الصَّبا والجنائب[٢]

---

(١) الحرقات جمع حرقه وهى الحرارة والمعنى أن هواى يوجه دمعى الى مواضع الحرارة فى حبي فيطفىء لهيبها

(٢) الصبا ريح الشرق . الجنائب جمع جنوب وهى ماتخالف ريح الشمال وبقيت من الرياح الاصلية الدبور وهى ماتقابل الصبا (تهب من الغرب)

أصابتك أبكار الخطوب فشتت نواك بأبكار الظبا الكواعب(١)

وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف قاطب(٢)

هذا مثل . يقول يسكرون ويسكرون المطى من التعب فكأنهم سقوها زجاجة فيها شراب يناوله الساقى بقصد صاحبه .

فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى وصارت لها أشباحهم كالغوارب(٣)

يقود نواصيها جُذيل مشارق إذا آبه هَمٌّ عُذيق مغارب(٤)

ويروى يصرف مسراها جذيل مشارق . يقول يسير بهذه الأبل رجل عالم بالشرق والغرب يريد نفسه . وهذا من المثل الذى قال الحباب بن المنذر يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب . ويضرب لم يستشفى برأيه والجذل خشبة تحتك بها الأبل الجربى . والعذق النخلة والتصغير فيهما للتعظيم والتفخيم

يرى بالكعاب الرّود طلعة ثائر وبالعِرْمِس الوجناء غرة آئب(٥)

---

(١) الابكار جمع بكر كبئر ومعناه فى أبكار الخطوب الامر البدع الذى لم يسبق بمثله وفى أبكار الظباء ذات البكارة وهى العذراء والمعنى أن الخطوب الشديدة فرقت الحبائب مع النوى الذى ذهب بهن كل مذهب

(٢) القاطب الذى يمزج الشراب بالماء . وقوله لم تقصد لها كف قاطب تجريد للتشبيه فى قوله زجاجة من السير فهو يقول إنها ليست من الزجاجات الحقيقية التى عمد إليها القاطب فمزجها وقول المصنف يناوله الساقى بقصد صاحبه كلام غير مفهوم

(٣) الغوارب جمع غارب وهى الكاهل من الانسان أو ما بين السنام والعنق من الابل

(٤) آبه الهم قصده

(٥) الرود اللينة . العرمس كزبرج الناقة الصلبة

يقول يقود نواصي هذه الركائب ويصرفه مسراها رجل محبب إليه السفر في طلب العلا فأذا رأى الكاعب من النساء رأى بها طلعة ثأر دنا لينال منه لبغضه الكاعب وحبه السفر ليبلغ مراده . وإذا رأى الناقة السريعة فكأنه رأى غرة إنسان مقبل عليه

كأن به ضِغْنا على كل جانب من الأرض أوشوقا إلى كل جانب

يقول من حبه للسير في البلاد كأن به ضغنا على كل مكان حتى يفارقه أو شوقا الى كل مكان حتى يبلغه . وكل ماذكره في الأبيات المتقدمة من حبه للسير حتى يقول

إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد تقطع مابيني وبين النوائب

هنالك تلقى الجود من حيث قطّعت تمائمه والمجد وافى الذوائب (١)

ويروى الجود حيث تقطعت تمائمه والمجد مرخى

تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونها إذا لم يعوّذها بنغمة طالب

ومنه أخذ المتنبي قوله :

(والجراحات عنده نَغَمات سبقت قبل سيبه بسؤال)

تكاد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوق إلى كل راكب (٢)

---

(١) يقال شب فلان عن الطوق أى بلغ مبلغ الفتيان فقطع طوقه

(٢) قد استعار هذا المعنى البحتري في قوله :

ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

فانظر أى فرق بين طبع البحتري وتكلف أبي تمام وركوبه من الاستعارات أصعب مركب فأنه لم يكتف بجعل العراص هاشة باشة حتى جعلها تركب لملاقاة القاصد

يقول من حبه لأعطاء المال وبذله تكاد عراص مغانيه وهى رباعه تسير إلى من يسير إليها طالبا نيله

إذا أخذته هِزة المجد غيَّرتْ عطاياه أسماء الأمانى الكواذب(١)

إذا ما غدا أغدى كريمة ماله هَدِيًّا ولو زُفَّتْ لألأم خاطب(٢)

يقول يبذل خيار ماله لمن يسأله وإن كان لئيما

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل كسته يد المأمول حلة خائب

وأحسنَ من نَور تفتحه الصَبا بياضَ العطايا فى سواد المطالب(٣)

إذا ألجمتْ يوما لُجَيمٌ وحولها بنو الحصن نجل المحصنات النجائب

فأن المنايا والصوارم والقنا أقاربكم فى الرَّوع دون الأقارب

---

(١) اذا ما اندفع فى كرمه واستولت عليه أريحية الجود أعطى كثيرا حتى صارت الأمانى الكاذبة لمألاة أصحابها فيها حقائق واقعه بما يعطيه هذا الكريم

(٢) الهدى العروس تهدى لزوجها والمعنى هو يزف كل غدوة كريمة ماله إلى طالبها ولا يتحرى من يعطيه بل يدفع إلى الطالب ولو كان ألأم خاطب

(٣) هذا البيت والبيتان قبله تعد فى نظرى من أحسن محاسن كلام أبي تمام ومما ظهر فيه للصنعة جمال يغرى بها كل صارف عنها وكان قد عرض لى أن أعيبه فى قوله « كسته يد المأمول حلة خائب » لعدم تناسب الحلة مع الخيبة إذ هى الزينة والخيبة فشل وخلو من النفع ولكنى عدت فرأيت أن الخائب فى غالب أمره يعود بالمواعيد الكاذبة والمعاذير الباطلة والايمان اللاغية على أنه عما قليل سينال مارحا ويحصل على ما بغى ، فمن أجل هذا حسن موقع الحلة فى خيبة الخائب إذ هى جمال ظاهر ويكفى إضافتها إلى الخيبة حتى يكون هذا الظاهر الجميل ينطوى على قبح شنيع

جحافل لايتركن ذا جَبَرِّيَّة سليما ولا يَحرُبن من لم يحارب (١)

يمدون من أيد عواص عواصب تصول بأسياف قواض قواضب (٢)

اذا الخيل جابت قصطل الحرب صدّعوا صدور العوالى فى صدور الكتائب

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها وزادت على ماوطدت من مناقب

فأنتم بذى قارٍ أمالت سيوفكم عروش الذين استُرْهِنوا قوس حاجب (٣)

---

(١) ذو الجبرية المتكبر . حربة كنصر سلبه

(٢) عصوت أو عصيت بالسيف أخذته أخذ العصا أو ضربت به ضربها وعواصب جمع عاصب بمعنى كثير العصب أى قويه . وفى رواية الديوان عواصم جمع عاصم بمعنى واق أو مانع . وقواض جمع قاض بمعنى قاتل كقولهم سم قاض أى قاتل وقواضب جمع قاضب بمعنى قاطع

(٣) يشير إلى ان حاجب بن زرارة التميمى وفد على كسرى فى سنة جدب فقال الحاجب من أنت . قال : رجل من العرب . فلما دخل على كسرى قال له من أنت : قال : سيد العرب . قال ألم تقل بالباب إنك رجل من العرب قال كنت بالباب رجلا منهم فلما حصرت بين يدى الملك سدتهم فملأ فمه درا . وشكا إليه محل الحجاز وطلب منه حمل الف بعير برا على أن يعيد قيمتها إذا أيسر فقال : وما ترهننى على ذلك قال قوسى فاستعظم كسرى همته وقال قبلت وأعطاه حمل الف بعير برا ومات حاجب فأحضر بنوه المال بعد موته وطلبوا منه قوس أبيهم ، فافتخرت تميم بذلك فأشار أبو تمام إلى هذه المنقبة : يقول يابنى عجل (قوم ابي دلف) قدأبدتم مع بنى شيبان جيوش كسرى الذي استرهن قوس حاجب

ويوم ذى قار هو أعظم أيامهم وكان بين الفرس والعرب وسببه أن كسرى استقدم اليه النعمان بن منذر بالمدائن وقتله غدرا . وقد وردت فيه خطبة هانىء ابن قبيصة الشيبانى يحرض قومه بكرا على القتال وهى التى يقول فيها «يامعشر بكر : هالك معذور خير من ناج فرور المنية ولا الدنية . استقبال الموت خير من استدباره وان الصبر من أسباب الظفر . . . . الخ»

محاسن من مجد متى تقرنوا بها ... محاسن أقوام تلك كالمعايب
مكارم لجت فى علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب
وقد علم الأفشين وهو الذى به ... يصان رداء الملك من كل جاذب
بأنك لما اسحنك الأمر واكتسى ... أهابىَّ تَسْفِى فى وجوه التجارب[1]

اسحنك الأمر أى اشتد أمر الحرب . والأهابى الجلود . وتسفى تذرى

تجللته بالرأى حتى أريته ... به ملء عينيه مكانَ العواقب[2]
بأرشق إذ سالت عليهم غمامة ... جرت بالعوالى والعتاق الشوازب[3]
نضوتَ لهم سيفين رأيا ومُنْصُلا ... وكلٌّ كنجم فى الدُّجنَة ثاقب[4]
وكنت متى تُهْزَزْ لخطب تُغَشِّه ... ضرائب أمضى من رقاق المضارب[5]
فذكركَ فى قلب الخليفة بعدها ... خليفتك المقفى بأعلى المراتب[6]

---

(١) أخالف المصنف فى شرح كلمة الأهابى فهى عندى جمع الهابى بمعنى التراب والمعنى أن الامور خفيت معالمها بما سفت الريح عليها من التراب كما تفعل بالدمن

(٢) تجلله علاه والهاء فى أريته للأفشين يعنى انه جعل الافشين يرى عاقبة الامر واضحة جلية بما كشف له منها

(٣) أرشق جبل بنواحى موقان كانت به الواقعة بين بابك والافشين والعتاق هنا الخيل الكريمة . الشوازب الضوامر (٤) المنصل : السيف

(٥) الضرائب جمع ضريبة وهى الطبيعة والمراد هنا التدبير والرأى المحكم والفكر الحصيف وهى لاشك من طبيعة المرء المخلوقة فيه . المضارب جمع مضرب كمجمع أو مرجع وهو حد السيف والتغشية التغطية والمعنى ظاهر

(٦) يقال قفوته بالعطية وأقفيته بها إذا آثرته وخصصته

فأن تَنسَ تُذكَرْ أو يَقُلْ فيك حاسد يَفِلْ رأيُه أو تنأ دارٌ تصاقب

يقول إن نسيت فعلك ذكرت به وإن قال فيك حاسد فالرأيه عندالخليفة أى بطل قوله وان نأت دار فأنك قريب

فأنت لديه حاضر غير حاضر جميعا وعنه غائب غير غائب

ومثل هذا :

(فياغائبا حاضرا فى الفؤا د سلام على الحاضر الغائب)

إليك أرحنا عازب الشعر بعد ما تمهل فى روض المعانى العجائب

أرحنا أبلنا أى رددناها وقت الرواح وقوله بعد ماتمهل يريد أن الفكر حمل المعانى العجيبة ثم سيق إليك

غرائب لافت فى فنائك أنسها من المجد فهى الآن غير غرائب

ولوكان يَفنَى الشعر أفناه ما قَرَتْ حياضك منه فى العصور الذواهب(١)

ولكنه صوب العقول إذا فَنَت سحائب منه أُعقبت بسحائب(٢)

أقول لأصحابى هو القاسم الذى به شرح الجودُ التباسَ المذاهب

وإني لأرجو عاجلا أن تردنى مواهبه بحرا ترَجّى مواهبي

***

(١) أذكره بالامر كذكره به ذكره له وقد نسبه

(٢) قرى الحوض الماء جمعه أى أن الشعر لو كان ينفد لأتى عليه ماقيل فيك منذ قديم ولعله يريد أن أصوله (آباءه وأجداده) كانوا اجوادا يمدحون فقيل فيهم كثير من الشعر كان جديرا أن يأتي عليه لو أنه يقف عند حدولا يتجدد (٣) فنى الشيء كرضي وسعى انعدم . ورواية الديوان انجلت بدل فنت ومعنى الانجلاء الانكشاف

ولما تولى أبو الحسن على بن إسحاق دمشق وأعمالها كان أبو تمام قد نازله بفندق بسر من رأى قبل أن يلى دمشق وعزم سهم بن أوس أخو أبى تمام على الانصراف عن سر من رأى إلى منزله بدمشق وكان أهل بيته بقرية جاسم من عمل دمشق فكتب أبو تمام مع أخيه سهم إلى على بن اسحق كتابا يذكر فيه حرمته به وأنسه إليه ومنازلته إياه فى الفندق بسر من رأى وجعلها وسيلة لأخيه عنده وضرب له فى كتابه مثلا فقال : ومثلى مع الامير أعزه الله مثل عجوز كانت بالكوفة من جرم قضاعة وكان الوالى على الكوفة رجلا من عجل فأجرم ابن العجوز جرما فحبس فتعرضت العجوز للوالى على ظهر الطريق وقالت أصلح الله الأمير ، لى حاجة ولى بالأمير وسيلة فقال ماحاجتك وما وسيلتك قالت حاجتى أن تطلق ابنى من محبسه ، ووسيلتى إليك أن الشاعر جمعنى وإياك ببيت السوء حيث يقول

جاءت به عُجُزٌ مقابلة ماهن من جَرْم ولا عُكل

وأنا امرأة من جرم وأنت رجل من عكل فأمر بأطلاق ابنها . قال أبو تمام وأنا أقول وسيلتى إليك أيها الأمير منازلتى إياك فى الفندق بسر من رأى مع فتور الماء وكثرة الذباب وكتب إليه فى أسفل الكتاب قصيدة نونية منها

أراك أكبرت إدمانى على الدمن وحملى الشوق من بادٍ ومُكْتَمِن [1]

لاتكثرنّ ملامى إن عكفت على ربع الحبيب فلم أعكُفْ على وَثَن

سلوتُ إن كنت أدرى ماتقول إذا جعلت أنملة الأحزان فى أذنى [2]

---

(١) إدمانى أى إدمان (إطالة) وقوفى . مكتمن اسم فاعل من اكتمن بمعنى اختفى والمعنى ظاهر (٢) يدعو على نفسه بالسلو وفقدان الحب اذا كان يفقه قولا للعاذل حين وضع أنملته فى أذنه وهو حزين للفراق لايحب سماع عزل فيه وليس لاضافة أنملة الى الاحزان حسن

الحب أولى بقلبى فى تصرفه　　من أن يغادر أحشائى بلا شجَن
صيرت لى من تبارى عبرتى سكَنا　　مذ صرتُ فردا بلا ألف ولا سكن (١)
من ذا يعظم مقدار السرور بمن　　يَهْوَى إذا لم يعظِّم موقع الحَزَن (٢)
العيسُ والهم والليل التِّمام معا　　ثلاثة أبدا يُقْرَنّ فى قرن (٣)
أقول للحُرَّة الوجناء لا تهنى　　فقد خلقت لغير الحوض والعطن (٤)
ما يحسن الدهر أن يسطو على أحد　　إذا تعلق حبلا من أبى الحسن
كأنى حين جرَّدت الرجاء له　　محضا أخذت به سيفا على الزمن (٥)

---

(١) السكن أهل الدار لأن المرء يسكن اليهم اولانهم يسكنونها . والمعنى جعلت الدمع ملازمى على حين انفردت عن العشراء والأصحاب

(٢) من لم يحزن كثيرا على فراق الألف لم يفرح بلقائه كثيرا

(٣) العيس الابل البيض يخالط بياضها شىء من الشقرة واحدها أعيس والانثى عيساء وليل التمام أو الليل التمام أطول ليالى الشتاء . القرن الحبل والهم : العزم . والمعنى ظاهر

(٤) الحرة الكريمة الأصل . الوجناء . الناقة الشديدة . لا تهنى : لا تضعفى الحوض مجتمع الماء تشرب منه الأبل وغيرها . العطن . مبرك الأبل والمعنى ظاهر

(٥) روى صاحب الصناعتين هذا البيت هكذا

كأننى حين جردت الرجاء له　　غضب صببت به ماء على الزمن

وعلق عليه بقوله « ولا يكاد يوجد تشبيه أبرد من هذا » ولم يشرح ابو هلال العسكرى البيت حتى نفهم وجه البرد فيه

أما معنى البيت على رواية الاصل هنا فهو إنني حين جعلت رجائى مجردا له غير مشوب برجاء غيره كاننى أخذت فى يدى سيفا أحارب به الزمن . ولست أرى فى التشبيه على رواية الاصل غثاثة ولا استكراها فهو من مألوف الكلام

قرْمٌ تلين صروف الحادثات له ولم يَخُرْ ساعة منها ولم يلن (١)
فتى تَريش جناحَ الجود راحتُه حتى يُخال بأن البخل لم يكن
وتشترى نفسُه المعروفَ بالثمن الـغالى ولو أنها كانت من الثمن
قد انقضت فتنُ الدنيا وتالده من جور راحته فى أعظم الفتن (٢)
له نوال كفيض البحر ممتَهَن على الحقوق وعرض غير ممتهن
بحر ولـكنه عذب لسائله
والبحر يسقيك من مستكرِهٍ أَسِن (٣)
إذا تبدّى علىٌّ فى كتائبه لم يُحجَبِ الموتُ عن روح ولا بدن
لم يَـجْنِ جُرماً ولم يُنسب الى شطط من قال أنت فتى عدنان واليمن
كم فى الندى لك والمعروف من بِدَع إذا تُصُفِّحَتِ اختيرت على السنن (٤)

---

(١) القرم السيد. خار يخور ضعف (٢) التالد ماولد عندك من مالك (إبل أو غيرها) الفتنة هنا المحنة. يقول الفتن قد انتهت وأصبحت الدنيا فى هدوء وسكينة وأمن ولـكن تالده من المال فى أعظم محنة بما يتناوله به من هبة ونحر للضيفان (٣) أسن كفرح لغة فى آسن بمعنى آجن (متغير اللون والطعم)

(٤) البدع جمع بدعة وهى كل ما استحدث فى الدين بعد الاكمال أو ما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الاهواء والاعمال. السنن جمع سنة وهى السيرة أو هى بالفتح مفرد بمعنى الطريق. وإذا كان ابو تمام أراد أن ما أتاه هذا الرجل من المستحدثات فى الكرم صار خيرا من سنة رسول الله فقد أساء كل إساءة لأن من سنته كل ما جاء به الشرع الشريف. وهذا من آثار غرامه

لى حرمة بك فاحفظها وجاز بها   ياحافظ العهد والعُوَّاد والمنن
أولى البرية حقا أن تواسيه   عندالسرور الذى آساكَ فى الحزن
إن الكرام إذا ماأسهلواذكروا   من كان يألفهم فى المنزل الخشن

فلما قرأه وسمع الشعر بعد قراءة الكتاب حضر سعيد بن عون الشاعر المعروف بالشعبانى وكان متمكنا من على بن إسحق ولم يكن لأبى تمام محبا فأوقع فيه فقال على بن اسحق ومتى نزلت منزلا خشنا أو كنت فى ضنك من العيش أو حزن فوصفنى به فى الشعر وحرم سهم بن أوس من صلته ٠والبيتان الأخيران من هذه القصيدة نسبهما بعض المؤرخين لابرهيم بن العباس الصولى وهو وهم . ويدل على أنهما لأبى تمام ماقاله أبو بكر الخوارزمى من رسالة كتبها الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادره يشتكى إليه وزيرصاحبه : وهو فلان قد بلغنى إطنابه فى ذكرى وتفضيله لى على أبناء عصرى وهذا سلف أسلفنيه وأنا بمعونة الله أؤديه وماأزن نفسى بالضحية التى بها يزننى ولا أزينها بالفضل الذى به يزيننى فأن كان كما قال فلعل الفضل دب الى وخرج من الكمين على لأنى عاشرته فأعدانى فضلا وهذبنى قولا وفعلا وأنا فى ذلك جنيبته إن قبلنى

بالمحسن البديعى فحين تم له الطباق بين بدع وسنن غفل عن وقوعه فى المحرم الذى تورط فيه . ويصح أن نلتمس لأبى تمام مخرجا من هذا المأزق بان نضبط كلمة بدع بضمتين فتكون جمع بدع بالكسر وهو الأمر المستحدث وتكون السنن جمع سنة بمعنى الطبيعة أو السيرة والمراد الأمر الجارى على أذلاله من غير تكلف ويكون المعنى كم لك فى الكرم من أمور أبدعتها ، فضلت على ماجرت به العادة سابقا . ولكن المعنى فاتر فلم يبق إلا أن أباتمام أساء وأجرم فى حق الشرع وصاحبه

جنيبة وخليفته إن قبلنى خليفة . ولقد اغرب ذلك الحر على أهل دهره وخالف طريقة غيره حين ذكرنا ونحن أصدقاء العشرة وإخوان الفترة فلم يغيره السلطان ولم يطغه الشيطان ولقد شهد له وحده بأنه كريم ، ومن اللؤم واللوم سليم على قضية قول أبى تمام

أولى البرية حقا أن تواسيه عند السرور الذى آساك فى الحزن
إن الكرام إذا ماأسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وشهادة أبى تمام فى الكرم ، تقوم مقام شهادة أمة بل أمم . ولئن كان خزيمة ابن ثابت ذا الشهادتين عند الانبياء والحكام فأن أبا تمام ذو الشهادتين عند الاحرار والكرام

وحدث محمد بن العباس اليزيدى قال لما شخص ابو تمام الى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ومدحه بهذه القصيدة

أهنّ عوادى يوسفٍ وصواحبه فعزماً فقدْماً أدرك النجح طالبُه(١)

(١) فى الأصل هن وقد روى بها البيت فى بعض الروايات ولكن الوزن لايستقيم إلا مع الهمزة وقد اثبتناها فى الأصل وهى للاستفهام المراد به التقرير والمعنى لاشك أن النساء هن اللاتى حاولن صرف يوسف عن تقاه وهداه وإذا كان ذلك فاعزم عزما أكيدا على مخالفتهن حتى تدرك النجح فانما سبيل إدراك النجاح تصميم العزم وامضاء النية وقد عد الآمدى هذا الابتداء قبيحا لغموضه كما طرح القصيدة ابو العميثل وابو سعيد الضرير أمينا خزانة الادب لعبد الله بن طاهر لما وقع نظرهما على هذا الابتداء فلما عاتب ابو تمام أبا العميثل قال له لم لاتقول مايفهم فاجابه ابو تمام وانتما لم لاتفهمان مايقال ثم أجازا القصيدة وسمحا له بالقائها أمام عبد الله فحازت قبولا حتى نهض الشعراء وقالوا ما يستحق هذا الشعر إلا الامير إلى آخر ماسيأتي فى تعليق المصنف

يقول النساء اللواتى عذلنني فى سفرى هن عوادى يوسف اى صوارفه

إذا المرء لم تستخلص الحزم نفسُه فذِرْوتُهُ للحادثات وغاربه

أعاذلتى ماأخشن الليلَ مركبا وأخشن منه فى الملمات راكبه

ذرينى وأهوالَ الزمان أفانها فأهواله العظمى تليها رغائبه (١)

يقول لعاذلته دعينى مع أهوال الزمان فأما أن أفنيها ببلوغ ماأومله وإماأن تفنينى فأستريح وهذا من قولهم . من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب

دعينى على أخلاق الصُّمِّ للتى هى الوفر أوسِربٌ ترنّ نوادبه (٢)

ألم تعلمى أن الزّماع على السرى أخو النجح عند النائبات وصاحبه

فأن الحسام الهِنْدُوانى إنما خشونته مالم تُفَلَّل مضاربه (٣)

---

(١) رويت كلمة أفانها بالفاء مرة وبالقاف أخرى فعلى الفاء يكون المعنى أفنيها وتفنينى وعلى القاف تكون من المقاناة وهى المخالطة والمداراة . والمعنى ظاهر

(٢) الصم جمع أصم وهو الشديد الصلب يقال حجر أصم أى صلب مصمت الوفر المال الكثير . والمعنى : يقول لعاذلته التى تلومه على السفر دعينى واخلاقى الشديدة ومقاصدى العنيفة التى لا بد أن تنتهى بي الى الغنى أو الموت فتجتمع النساء ترن أصواتهن بندبى . وفى أخباره بالوفر والسرب عن الرحلة المرادة بهن مبالغة إذ الاصل أن الرحلة مسببة لذلك

(٣) الهندوانى السيف نسبة إلى الهند لانه كان يرد للعرب منها يقول يجب أن أسعى وأنا شاب قبل أن تفل الايام من حدي وتضعف من غربي كالسيف إنما قيمته إذا كان ماضى الحد فاما حين يكهم فانه لاغناء فيه . وقد شرح المنصف شرحا غريبا لاأوافقه ولاأجد أحدا يوافقه عليه

يقول السيف مالم يستعمل وتنفل مضاربه عند استعماله فهو خشن جاف وإنما يلين ويصير ماضيا ويلطف باستعماله. وكذا أنا يصلح حالى السفر ويجلو صداى

وقلقل نأيى من خراسان جأشها فقلت اطمئنى أنضر الروض عازبه(١)

العازب البعيد يقول لما عزمت على الرحيل جزعت فقلت اسكنى فأبعد السفر أكثره فائدة

وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل تدجو غياهبه

عرسوا نزلوا ليلا يقول رب ركب هم فى النفاذ والعزم على الامور كأطراف الأسنة عرسوا على أبل مثلها فى النفور (٢) .(ويجوز أن يكون التشبيه بالأسنة لأجل نحافة الأبل وهزالها بأخذ السفر منها وتأثيره فيها)

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

يعتقدون مايرونه صوابا ولايعرفون مايأتى به القضاء فى العواقب

على كل رَوّاد الملاط تهدمت عريكته العلياء وانضم حالبه(٣)

---

(١) الجأش . القلب أو الصدر وقولهم رابطة الجأش من إضافة اسم الفاعل الى مفعوله أى أن الشجاع لثباته كانه يربط قلبه يمنعه عن الطيران أو من اضافته لفاعله أى أن قلبه يربطه فيثبت قدمه فلا يفر . والمعنى كما شرحه المصنف

(٢) لعله يريد أن الابل التى يركبونها لنحافتها قلقوا عليها وتأذوا بركوبها كأنما يركبون على أسنة حداد

(٣) الرواد صيغة مبالغة من راد يرود بمعنى تردد ذهابا ومجيئا . الملاط رأس الكتب . العريكة . السنام لأنه يعرك بالركوب والحمل . الحالب عرق فى أسفل البطن يصف الابل التى يركبونها بانها هزيلة . وقد انتقده التبريزى فى وصفه العريكة بالعلياء وكان حقه أن يقول العليا لانها مؤنث أعلى وهى

الحالب عرق فى السرة والملاط عضد البعير ومرفقه ومابين المنكبين. والرواد المضطرب .

رعته الفيافى بعد ماكان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

يقول صارت الفيافى ترعاه أى تأكل لحمه بعدما (١) وهذا أحسن ماقيل فى هزال الابل . على أن العرب تقول أكل رحلى السفر فزاد عليه

فأضحى الفلا قد جدّ فى بَرْيِ نحضه وكان زمانا قبل ذاك يلاعبه (٢)

يقول بالغ الفلا فى ذهاب نحضه وهو لحمه بطول السفر وكانت اسفاره قبل هذا قريبة فكان السفر لايأخذ منه فكأنه كان يلاعبه

فكم جِزْعِ وادٍ جب ذروة غارب وبالأمس كانت أتمكته مذانبه (٣)

المرادة هنا فاما العلياء فيقول التبريزى إنها ليست تصلح هنا وانه جاء بها كالمستعارة لغير موضعها . وأرى أنه لاغبار على ابي تمام فى استعماله الكلمة فى هذا الموضع لأن العلياء كل شىء عال ومنه سميت السماء العلياء وقيل لرأس الجبل علياء وهكذا

(١) كأن بالكلام سقطا وكأن أصله بعد ان كان يرعاها اى يتناول نبتها

(٢) الفلا اسم جمع للفلاة وهى القفر . ويحتمل فى معنى الملاعبة معنى آخر غير ماذكر بالأصل وهو أيام كان يرعى نبات الفلاة فكانت حياته كلها مرحا وأشرا وهزلا لاجد فيه

(٣) جزع الوادى منعطفه ولا يسمى جزعا حتى تكون له سعة تنبت الشجر. جب قطع. الذروة أعلى الشىء . والمراد بذروة الغارب أعلاه وهو مايلى السنام منه أو هو السنام وإن لم يكن من الغارب ولكنه لجواره أضيف إليه . أتمكته الكلأ : أسمنه. المذانب : مسايل الوادى والمعنى قد سبق فى البيت الذي قبله

يقال سنام أتمك وتامك اذا كان عاليا وممتلئا والمذانب مجارى الماء فى الرياض

إليك جَزَعنا مَغْرِب الملك كلها وَسَطْنا ملا صَلّتْ عليك سباسبه

جزعنا قطعنا وأراد بمغرب الملك الشام وكان نهض منها إلى خراسان وهى شرق الشام ووسطنا أى توسطنا . والملا مااتسع من الارض ويقال لمن يثنى عليه فى جود أو دين صلت الارض عليه

فلو أن سيراً رُمنه فاستطعنه لصاحبَنا شوقا اليك مغاربه

إلى مَلِك لم يُلق كاــكلَ بأسِه على ملك إلا وللذل جانبه

إلى سالب الجبار بيضة ملــكه وآملُه غادٍ عليه فسالبه

وأى مَرام عنه يعْدو نياطُه غدا أو تَفُلُّ الناعجاتِ أخاشبُه [1]

بيضة الملك قاعدته . والناعجات الأبل السراع الخفاف وجمل ناعج أى ضعيف والأخاشب جمع أخشب وهو الموضع الوعر الغليظ والهاء فيه للمدى وفى نياطه للمرام ويروى غدا بدل مدى [2]

(١) يعدو يصرف . النياط هنا المسافة والبعد من قولهم قطعت نياط الوادى أى ماا تصل من أرضه (وبقية شرح المفردات فى الأصل) والمعنى انه لايصرفنا عن هذا الممدوح بعد الشقة بيننا وبينه ولا يؤثر فى الأبل صعوبة الطريق إليه وذلك لأن الرجاء قد قرب بعيد مسافته وكتائبه التى تسير فى كل ناحية قد عبدت الطرق (وهذه التتمة تؤخذ من البيت الذى بعده) ويلاحظ أن الاستفهام فى أي مرام مراد به النفى وان ترتيب الكلام فى الشطر الأول من البيت أى مرام غدا يعدو نياطه عن هذا الممدوح

(٢) قد اضطررنا إلى إثبات الرواية الأخرى وهى غدا لعدم استقامة المعنى إلا عليها

وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه وسهلت الأرضَ العزازَ كتائبه

الارض العزاز الصلبة الممتنعة

إذا أنت وجهت الركاب لقصده تبيَّنْتَ طعم الماءذوأنت شاربه[1]

جدير بأن يستحي اللّهَ باديا به ثم يستحيي الندى ويراقبه[2]

يقول جدير أن يقوم هذا الممدوح بحق الله أولا ويقوم بحق الندى والكرم آخرا . ومعنى يستحيي الله أن يؤديه حقه المفترض

سما للعلا من جانبيها كليهما سمو عباب الماء جاشت غواربه

فنوَّلَ حتى لم يجد من يُنيله وحارب حتى لم يجد من يحاربه

(١) ذو بمعنى الذى اسم موصول تلزمه طى الواو فى حالات الاعراب الثلاثة والمعنى أن يقين القاصد وثقته بالنجح تجعله يتسلف الحبور بما سيلقى من هذا الكريم وكأنه يشعر ببرد الماء الذى سيشربه عنده

(٢) باديا مسهل بادىء بمعنى مبتدىء . يستحيي الثانية مرفوعة حتما وليست منصوبة بالعطف على يستحيي الأولى ولم تظهر الفتحة عليها مجاراة لبعض العرب فى ذلك ، وإنما رفعت حتما لأن يراقبه معطوفة عليها وهذه واجبة الرفع لمكانها من القافية فوجب تقدير المعطوف عليه مرفوعا حتى يستقيم العطف وعندى ان ابا تمام قد أخطأ ولاوجه له فى رفع يستحيي لأن ثم حيث وجدت فهى عاطفة واعتبارها زائدة له مواضع يساعد عليها المعنى فأما هنا فالمعنى للترتيب ظاهر لا يمكن العدول عنه . على أنه يصح أن تجعلها عاطفة وأن الياء لم تفتح جريا على لهجة بعض العرب و يكون الواو فى يراقبه ليست للعطف بل هى للحال . هذا هو مخلص أبي تمام من الخطأ على أنى غير مرتاح له لأنه مجرد تمحل وتطبيق لظاهر القواعد وإلا فأبو تمام اراد العطف بثم وبالواو وفاته مراعاة النصب فى المعطوف

وذو يقظات مستمرٍ مريرُها
إذا الخطب لاقاها اضمحلت نوائبه (١)

أرى الناس منهاجَ الندى بعدما عفَتْ مهايعه المثلى و مَحَّتْ لواحبه (٢)

المهايع جمع مهيع وهو الطريق الواسع ولواحبه طرقه التي محتها الناس بالوطء كأنها مجلوبة . يقول قد سد الناس من طرق الندى ما كان مسلوكا منها حتى أعادها هذا الممدوح

ففي كل نجد في البلاد وغائر مواهب ليست منه وهي مواهبه (٣)

لتُحدثْ له الأيام شكر خناعة تطيب صبا نجد به وجنائبه (٤)

فوالله لو لم يُلْبس الدهرَ فعلَه لأفسدت الماءَ القَراح معايبه (٥)

فيأيها الساري اسرِ غير محاذر جنان ظلام أوردَى أنت هائبه

فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تَدِبُّ عقاربه

---

(١) المرير الحبل المحكم الفتل . واستمر أحكم فتله والمعنى انه متنبه للخطوب بعزم قوى تتضاءل امامه النوائب

(٢) المهايع جمع مهيع وهو الطريق الواسع المسلوك بالناس وغيرهم مح الطريق خفيت معالمه من مح الثوب اذا أخلق . اللواحب جمع لاحب وهو الطريق الواضح

(٣) ان جوده المشهور علم الناس الجود حتى أصبحوا اقتداء به يجودون فكأن جودهم ليس منسوبا لهم بل هو أولى به إذ كان السبب فيه

(٤) الخناعة الذل . اى يجب ان تشكره الايام شكرا مصحوبا بالذل تتضوع به الارجاء

(٥) يقول لو لم يكن الممدوح قد تناول كل شيء يصلح فاسده ويقيم معوجه لفسدت الامور كلها حتى صار الماء الخالص الصافى مشوبا معيبا

يقولون إن الليث ليث خفيَّةٍ نواجذه مطرورة ومخالبه

خفية أجمة ومطرورة محدودة

وما الليث كلُّ الليث الا ابن عثرة يعيش فُواقَ ناقةٍ وهو راهبه (١)

ويومٍ أمامَ المُلك دَحْضٍ وقفته ولو خرَّ فيه الدين لانْزال كاثبه (٢)

جلوت به وجه الخلافة والقنا قد اتسعت بين الضلوع مذاهبه

شفيت صداه والصفيح من الطُّلا رِواءٌ نواحيه عِذاب مشاربه (٣)

ليالي لم يقعد بسيفك أن يُرى هو الموت إلا أن عفوك غالبه (٤)

(١) يقول إن الشجاع حقا الذى هو اولى بوصف الاسد من الآساد أنفسها هو ذلك الذى يعثر بجناية يأتيها هذا الممدوح كأن يعيبه أو يتعرض لشيء من ماله ثم يستطيع أن يعيش بعد ذلك مقدار فواق ناقة (الفواق ما بين الحلبتين) أي أن هيبته قاضية على المتعرض له لساعته فلو بقى مقدار هذا الوقت سليما من الموت بالخوف لعد أعظم الآساد قوة

(٢) مكان دحض زاق لا يستطاع الثبات عليه . انزال مطاوع فهو بمعنى زال اى انعدم . الكاثب جامع الرمل حتى يصير كثيبا وقوله انزال كاثبه مبالغة في الزوال كأن الكثيب زال هو وكاثبه أو كاثب اسم جبل استعير هنا للدين أى لانهال الدين الذى هو ككاثب رفعة وعلوا

(٣) الصدى العطش والهاء فى صداه عائدة على القنا.الصفيح جمع صفيحة وهى السيف العريض.الطلا جمع طلية وهى العنق . رواء جمع ريان وعذاب جمع عذب كأنه حمل على ريان فجمع مثله

(٤) المعنى أن سيفك لم يفل حده ولم تبطل منك عزيمة الاقدام ولكن ما رؤى من إغماد سيفك وهدوء غضبك هو من غلبة العفو عليك . يساعدك

فلو نطقت حرب لقالت مُحقة ألا هكذا فليكسِب المجد كاسبه

لنعلم أن الغُرّ من آل مصعب غداة الوغى آلُ الوغى وأقاربه

كواكب مجد يعلم الليل أنها إذا نجمت باتت بِصُغْر كواكبه

فيأيها الساعى ليدرك شأوه تزحزح قصيًّا أسوأُ الظن كاذبه

بحسبك من نيل المناقب أن تُرى عليما بأن ليست تُنال مناقبه

إذا ما امرؤ ألقى بربعك رحله فقد طالبته بالنجاح مطالبه

أنكر (١) عليه ابو العميثل قوله « أهن عوادى يوسف وصواحبه » وقال لأبى تمام لم لاتقول مايفهم فقال لأبى العميثل لم لاتفهم مايقال فاستحسن منه هذا الجواب على البديهة . ونثر ابن طاهر على أبى تمام ألف دينار فلم يمسها بيده ترفعا عنها فأغضبه ذلك وقال يحتقر فعلى ويترفع على وأبطا بجائزته وكان يبعث اليه بالشىء بعد الشىء كالقوت وأقبل الشتاء وهو هناك واستثقل البلد فقال يصف شدة البرد ويذم الشتاء

لم يبق للصّيف لا رسم ولا طلل ولا قشيب فيُستكسى ولا سَمَل (٢)

على فهم المعنى ان تعرف ان المصدر من ان واسمها وخبرها فى قوله إلا أن عفوك غالبه فاعل ليقعد والمصدر من أن يرى هو الموت مفعول به وهو فى الاصل مجرور بمن محذوفة والتقدير لم يقعد بسيفك عن حدته وسطوته وكونه هو الموت الا غلبة عفوك على بطشك

(١) هذا الفعل جواب الشرط الوارد قبل القصيدة فى قوله لما شخص ابو تمام الى عبد الله بن طاهر ومدحه بهذه القصيدة . . . . أنكر . . . .

(٢) يستكسى يطلب منه الكسوة . القشيب : الجديد السمل : البالى .

عذل من الدمع أن يبكى المصيف كما ... يُبكى الشبابُ ويُبكى اللهو والغزل

يُمني الزمانِ طوت معروفها وغدت ... يسراه وهى لنا من بعده بدل

ما للشتاء وما للصيف من مثل ... يَرضى به السمع الا الجود والبخل

أما ترى الارض غضبى والحصا قلق ... والجو بالحرجف النكباء يقتتل (١)

من يزعم الصيف لم تذهب بشاشته ... فغيرَ ذلك أمسى يزعم الجبل

غدا له مِغفرٌ فى رأسه يَقَق ... لا تهتك البيضُ فَوْديه ولا الأَسَل (٢)

إذا خراسان عن صِنَّبْرها كشرتْ ... كانت قتادا لنا أنيابها العُصُل (٣)

يمسى ويضحى مقيما فى مباءته ... وبأسه فى كُلِ الاقوام مرتحل (٤)

(١) الحرجف الريح الباردة الشديدة الهبوب. النكباء: الريح تنحرف، وتجيء بين ريحين

(٢) المغفر زرد من الدرع يلبس تحت القلانسوة. يقق شديد البياض. البيض جمع ابيض وهو السيف. الفودان جانبا الرأس. الاسل: الرماح والمعنى ان الجبل قد علاه بياض الثلج فكان كالمغفر على رأس المقاتل إلا انه مغفر لا تعمل فيه السيوف ولا الرماح

(٣) الصنبر شدة البرد. كشرت عن نابها أي أظهرت نابها غضبا. القتاد: الشوك. العصل كقفل جمع اعصل وهو المعوج فى صلابة وحركت صاد عصل بالضم للاتباع للعين وللوزن والمعنى ان خراسان اذا جاء شتاؤها كان بمثابة انياب يكشر عنها حيوان مفترس وقوله كانت قتادا أى كالقتاد فى الاذى لمن يمسه

(٤) الضمير فى يمسى ويصبح للصنبر أى البرد والمعنى ظاهر

من كان يجهل منه حد سَوْرته في القرّتين وأم الجو مكتهل (١)
فما الضلوع ولا الاحشاء جاهلة ولا الكُلى أنه المقدامة البطل
هذا ولم يتزّر للحرب ديدَنه فأى قرن تراه حين يشتمل (٢)
إن يسّر الله أمراً أثمرت معه من حيث أورقت الحاجات والآمل (٣)
فما صِلائى إذا كان الصّلاء به جمر الغضا الجزلِ إلا السيرُ والابل (٤)

(١) القرتان : الغداة والعشى لأن عندهما يزيد القر . أم كل شىء أصله وعماده وأم الجو السماء . المكتهل من وخطه المشيب ومعنى البيت مع ما بعده ظاهر وقد كان البيت الاول كثير التحريف فقد كانت « فى القرتين » هكذا « فى القريثى » وأم كانت « أمر » والجو هى فى الديوان « الحق » والله الهادى للصواب

(٢) الديدن العادة وهو فيعل من الددن وهو اللهو والباطل وإنما سميت العادة ديدنا لأنها بالتكرار تخف على صاحبها حتى يأتيها بلا تكلف كأنه يلعب . والمعنى ان الشتاء فعل ذلك ولم يستعد للحرب كعادته فكيف يكون شأنه إذا استعد

(٣) فى الاصل أورقت معه ولكنها فى الديوان أثمرت وهى الموافقة للمعنى والمعنى اذا أراد الله لامر أن يكون تحقق سريعا وجاءت ثمرته بعد إيراقه « ظهور ورقه » وقوله ، « من حيث أورقت » أى بسبب الايراق وحيث بعد من تفيد التعليل كأنه يقول أثمر الأمل بسبب إيراقه أى أن الايراق كان أولا ثم حدث الاثمار وهذا هو الشأن فى النبات فحين جمل أمله نباتا جمل له طبيعته

(٤) الضمير فى بها راجع لخراسان والصلاء بالكسر النار وبالفتح هى أو مقاساة حرها والمعنى اذا اصطلى الناس فى خراسان بالنار يدفعون البرد فأنى لا أدفعه إلا بالرحلة وامتطاء الركائب

المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهى الشرَّدُ الضَّلل (١)
تقرب الشقة القصوى إذا أخذت سلاحها وهو الإرقال والرَّمَل
إذا تظلمت من أرض فُضِلت بها كانت هى العز إلا أنها ذُلُل (٢)

فبلغت أبا العميثل فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ماعتب عليه من أجله وتضمن له مايحبه . ثم دخل إلى عبد الله فقال : أيها الأمير أتتهاون بمثل أبى تمام وتجفوه فوالله لو لم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره ماله لكان الخوف من شره والتوقى لذمه يجب به على مثلك رعايته ومراقبته فكيف له بنزوعه إليك من الوطن وفراقه للسكن عاقدا بك أمله معملا إليك ركابه متعبا فيك فكره وجسمه . وفى ذلك مايلزمك من قضاء حقه حتى ينصرف راضيا ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه إلا قوله

تقول فى قُومَس صحبي وقد أخذت منا السُّرى وخُطا المَهْرِيّة القُود (٣)

(١) آنف جمع أنف . الضلل الضلال . ما فى ما أرغمت مصدرية ظرفية والمعنى أن الابل لا تنقاد الا بارغام أنفها وهى تهديك وليس من طبعها الهدى ولا الرشد

(٢) رواية الاصل فضلت بها ورواية الديوان فصلت بها وعلى الاولى تكون جملة فضلت بها صفة لارض ويكون جواب الشرط قوله كانت هى العز والمعنى إذا تظلمت من أرض فضل فيها غيرى على فأصابنى بذلك ذل كانت هى بركوبى لها وخروجى بها من هذه الارض سبب عزى . وعلى رواية الديوان يكون المعنى اذا ظلمت بأرض خرجت بها فكان سبب عزى ويكون فصلت جواب الشرط وكانت هى العز جواب آخر وفصل بين الجملتين لاشتمال الاولى على معنى الثانية لان الانفصال اشتمل على العز ويكون بين الجملتين كمال اتصال، فلذلك لم تعطف الثانية على الاولى

(٣) قومس صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل . المهرية نسبة الى بنى

أَمَطلَع الشمس تبغى أن تؤم بنا فَقلت كلا ولكنْ مطلع الجود

فقال عبدالله لقد نبهت فأحسنت وشفعت فلطفت وعاتبت فأوجعت ولك ولأبى تمام العتبى ، ادعه ياغلام فدعى له فنادمه يومه وأمر له بألفى دينار ومايحمله من الظهر وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه

سبب جمع الحماسة

وفى هذه السفرة ألف كتاب الحماسة فأنه لما وصل إلى همذان وكان فى زمن الشتاء والبرد بتلك النواحى شديد خارج عن حد الوصف قطع عليه كثرةُ الثلج طريق مقصده فأقام بهمذان ينتظر زوال الثلج وكان نزوله عند رجل عنده خزانة كتب فيها دواوين العرب وغيرها فتفرغ لها وطالعها واختار منها كتاب الحماسة

ومثل قول أبى تمام يقول فى قومس البيتين :

يقول صحبي وقد جدوا على عجل والخيل تستن بالركبان فى اللجُم

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقال أبو اسحق الغَزّى

تقول إذا حثثناها فظلت تناجينا بألسنة الكلال

إلى أُفق الهلال مسير ركبى فقلنا بل إلى أُفق النوال

مهرة وهم قبيلة مشهورة بجودة أبلها . القود جمع قوداء أو أقود وهو الذلول السهل القياد

أبو العميثل

وأبو العميثل هو عبد الله بن خليد مولى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله ابن عباس شاعر آل طاهر بن الحسين الخزاعى ، كان يفخم الكلام ويعرب به وكان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ومنقطعا إليه وكاتب أبيه من قبله وكان مكثرا من نقل اللغة عارفا بها شاعرا مجيدا ومن شعره فى عبد الله بن طاهر قوله

يامن يحاول أن تكون صفاته كصفات عبد الله أنصتْ واسمع
اصدُق وعِفّ وبِرّ واصبْر واحتمل واصفح وكافِ ودار واحلُم واشجُع
والطُف ولِنْ وتأنَّ وارفق واتئدْ واحزُم وجِدّ وحامِ واحمِل وادفَع

ووصل يوما الى عبد الله بن طاهر فحجب فقال

سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أري حتى يَخفَّ قليلا
إذا لم أجد يوما إلى الاذن سُلَّما وجدت إلى ترك اللقاء سبيلا

وقبّل يوما كف عبد الله بن طاهر فاستخشن شاربه فقال أبو العميثل فى الحال شوك القنفذ لايؤلم كف الأسد فأعجبه كلامه وأمر له بجائزة سنية

عبد الله بن طاهر

واما عبد الله بن طاهر فقد كان سيدا نبيلا عالى الهمة شهما وكان المأمون كثير الاعتقاد فيه حسن الالتفات إليه . ولما ولى خراسان قدم نيسابور وكان المطر قد انقطع عنها فلما دخلها مطرت فقام إليه بزاز من حانوته وأنشد

قد قَحِط الناس فى زمانهمُ حتى إذا جئت جئت بالدرر

غيثان فى ساعة لنا قَدِما فمرحبا بالأمير والمطر

وكان تولى مصر مدة ويقال قيل فيه وهو بها

يقول إناس إن مصر بعيدة وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر

وأبعد من مصر رجالٌ رأيتُهم بحضرتنا معروفهم غير حاضر

عن الخير موتى ما تُبالى أَزُرْتَهم على طمع أم زرت أهل المقابر

وكان ابن طاهر أديبا ظريفا ومن المنسوب إليه من الشعر

نحن قوم تليننا الحَدَق النُّجْـــل على أننا نلين الحديدا

طوع أيدى الظباء تقتادنا العِيـــن ونقتاد بالطعان الأسودا

نملك الصِّيد ثم تملكنا البيـــض المصونات أعينا وخدودا

تتقى سُخطنا الأسود ونخشى سَخَطَ الخِشْفِ حين يبدى الصدودا

فترانا يوم الكريهة أحرا را وفى السِّلم للغوانى عبيدا

ومن المنسوب إليه

اغتفر زلتى لتحرز فضل الشـكر منى ولا يفوتك أجرى

لاتكلنى إلى التوسل بالعذ ر لعلى ألا أقوم بعذرى

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف البائية المتقدمة التى اولها « على مثلها من اربع وملاعب » استحسنها واعطاه خمسين ألف درهم وقال والله إنها لدون شعرك ثم قال والله ما مثل هذا فى الحسن الامارثيت به محمد بن حميد الطوسى فقال أبو تمام وأى ذلك أراد الأمير قال القصيدة التى أولها « كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر »

وددت والله أنها لك فيّ فقال بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدم قبله . فقال إنه لم يمت من رثى بهذا الشعر

سبب قتل ابن حميد

وكان المأمون قد وجهه الى محاربة بابك الخرمى فسار نحوه وقد جمع العساكر والآلات والميرة فاجتمع معه عالم كثير من سائر الأمصار فسلك المضايق إلى بابك وكان كلما مر بمضيق ترك عليه من يحفظه فلما قارب من بلد بابك أشير عليه بالدخول من وجه ذكر له فقبل وعبى أصحابه وجعل على القلب محمد بن يوسف المعروف بأبى سعيد وعلى الميمنة السعدى بن أصرم وعلى الميسرة العباس بن الجبار ووقف محمد بن حميد الطوسى خلفهم فى جماعة ينظر اليهم ويأمرهم بسد خلل إن رآه وكان بابك يشرف عليهم من الجبل وقد كمن لهم الرجال تحت كل شجرة فلما تقدم أصحاب محمد وصعدوا فى الجبل بمقدار ثلثه خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم بمن معه فانهزم الناس فأمرهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومضوا على وجوههم والقتل يأخذ منهم ولم يبق مع محمد بن حميد من أصحابه غير واحد وسارا يطلبان الخلاص فرأى جماعة وقتالا فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته فقاتلهم أشد قتال فقاتلوه وضربوا فرسه بزراق فسقط الى الارض وأكبوا على محمد بن حميد فقتلوه وكان محمد بن حميد ممدوحا جوادا شجاعا ، فلما وصل قتله الى المأمون عظم ذلك عنده وذلك سنة أربع عشرة ومائتين . وحين بلغ أبا تمام نعيه غمس طرف ردائه فى مداد ثم ضرب به كتفيه وصدره وأنشد القصيدة التى أشار اليها أبو دلف

وإلى ذلك أشار ابن الزنجبى الكاتب المغربى من مرثيته فى ابن خلدون

لولا الحياء وأن أجيء بفعلة تقضى على بها سيوف ملام

وأكون متبعا لأشنع سنة قد سنها قبلى أبو تمام

للبست ثوب الثاكلات وكنت فى سود الوجوه كأنني من حام

ولأبى تمام فى ابن حميد غير هذه المرثية ولكنها أحسنها وهى :

مرثيته فى ابن حميد الطوسى

كذا فلْيجل الخطب وليْفدح الامر وليس لعين لم يفِض ماؤها عذر [1]

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح فى شغل عن السَّفَر السَّفْر [2]

سبقه مسلم بن الوليد إليه بقوله

نقَضتْ بك الأيام أحلاس المني واسترجعت نُزّاعَها الأمصار

وتبعه البحترى بقوله

خبرتنى ركب الركاب فلم يدع للركب وجه ترحل فأقاموا

ويقرب منه قول الرضى فى الصاحب

ياطالب المعروف حلّق نجمُه حُطّ الحُمول وعطِّل الأجمالا

وأقم على يأس فقد ذهب الذى كان الأنام على نداه عيالا

(١) رواية الديوان : فليس لعين - وهى عندى أحسن من الواو لأن التعليل أظهر من الحالية . ولام فليجل (الأخيرة) يصح أن تكسر وأن تفتح والكسر أجود لأنه هو الاصل

(٢) السفر بالسكون المسافرون جمع مسافر كصحب جمع صاحب

وما كان إلا مال من قلّ ماله وذُخرا لمن أمسى وليس له ذخر

وما كان يدرى مجتدى يسر كفه إذا ما استهلت أنه خُلِقَ العُسْر (١)

ألا فى سبيل الله من عُطلتْ له فجاج سبيل الله وانثغر الثغر (٢)

فتى كلما فاضت عيون قبيلة دما ضحكت عنه الاحاديث والذكر (٣)

فتى مات بين الطعن والضرب مِيتة تقوم مقام النصر إن فاته النصر (٤)

---

(١) فى الديوان جود كفه بدل يسر كفه . استهلت السحابة اشتدا نصباب مائها

(٢) سبيل الله معناه كل ما أمر به من خير واستعماله فى الجهاد أكثر وهو المراد بقوله فجاج سبيل الله . وتقول فعلت ذلك فى سبيل الله أى ابتغاء مرضاته والمعنى فى سبيل مرضاة الله مات هذا الذى عطلت له سبل الجهاد واتسع موضع الخوف من الاعداء على حدود البلاد وقد كان هذا الشجاع محكم الامر يضيق على الاعداء مراحهم ومغداهم

«٣» ضحكت الاحاديث والذكر أى كانت سببا فى السرور البالغ الحد الواصل الى أن يكون ضحكا ففى الكلام مجاز عقلى باسناد الضحك إلى سببه والطباق فى البيت بالغ حد الحسن

«٤» يذكر علماء النقد أن أبا تمام سرق معناه فى هذا البيت من قول عروة بن الورد

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

قالوا إن عروة جعل اجتهاده فى طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام جعل الموت فى الحرب الذى هو غاية اجتهاد المجتهد فى لقاء الأعداء قائما مقام النصر وكلا المعنيين واحد وإن اختلف اللفظ

وماماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفه
من الضرب واعتلت عليه القنا السمر (١)

وقد كان فوتُ الموت سهلا فرده
اليه الحفاظ المر والخلق الوعر (٢)

ونفس تعاف العار حتى كأنه
هو الكفر يوم الرّوع أو دونه الكفر (٣)

فأثبت فى مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت أخمصك الحشر (٤)

(١) استعار أبو تمام موت حد السيف لا نثلامه والوجه فيهما انعدام الاثر وبطلان العمل واعتلال القنا إما أن يكون معناه انها تجنت عليه الذنوب واتخذت ذلك ذريعة الى عصيانه والخلاف عليه وماذنبه عندها الا كثرة تكليفها الطعن لاريحها من ذلك. أو يكون معناه أصابتها العلة فلم تستطع العمن معه وتحقيق مطالب همته من الصمد للأعداء وهذا المعنى يناسب ماتقدمه من موت حد السيف ويكون معنى على فى قوله اعتلت عليه . ان علتها وقع ضررها عليه فلم يمكنها مطاوعته فى القتال

«٢» الحفاظ حماية الحقيقة وهى كل مايجب على المرء حمايته وجعل الحفاظ مرا لأنه إلايتم لا بتحمل الانسان مشقة فى سبيله تكون بمثابة الطعم المر . والخلق الوعر الشديد ولا يمدح الا فى جانب العداوة قال المازنى

تعاتبنى فيما ترى من شراستى
وشدة نفسى أم سعد وماتدرى

فقلت لها أن الكريم وإن حلا
ليوجد أحيانا أمر من الصبر

«٣» الروع : الخوف والمراد به هنا الحرب لأنها ظرف له

«٤» الاخمص مالا تمسه الارض من باطن الرجل

غدا غُدوة والحمد نسج ردائه　　فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر [١]

تردي ثياب الموت حمرا فما أتى　　لها الليل إلا وهى من سندس خضر [٢]

كأن بنى نَبْهان يوم وفاته　　نجوم سماء خرَّ من بينها البدر

يُعزَّون عن ثاوٍ تعزى به العلا　　ويبكى عليه الجود والبأسُ والشعر

أنَّى لهم صبر عليه وقد مضى

الى الموت حتى استُشْهدا هو والصبر [٣]

«١» الغدوة ما بين طلوع الفجر وشروق الشمس . فى قوله الحمد نسج ردائه تشبيه للحمد بالرداء لأنه شمله كما يشمل الثوب لابسه ثم كناية عن نسبة الحمد اليه لأنه يلزم من جعل الحمد متصلا به هذا الاتصال أن يكون صفة له والكناية هنا عن نسبة الحمد إليه . ومثل ذلك يقال فى أكفانه الاجر إن جعلت الاجر مبتدأ مؤخرا وإلا فالتشبيه مقلوب لقصد المبالغة

«٢» فى هذا البيت النوع البديعى المسمى بالتدبيج وهو نوع من الطباق تجتمع فيه ألوان بقصد الكناية أو التورية وهذا البيت مثال لتدبيج الكناية إذ أنه كنى بثياب الموت الحمر عن القتل والتلطخ بالدماء وبكونها خضرا عن دخول الجنة واستحقاق الثواب

«٣» أنى بمعنى كيف . استشهد الرجل بالبناء للمجهول مات مقاتلا فى سبيل الله . وليس قوله استشهدا هو والصبر خطأ بل هو جائز لأنه من مسائل الاضمار قبل الذكر لفظا ورتبة إذ الضمير فسر بالظاهر على حد قولهم اللهم صل عليه الرءوف الرحيم

فتى كان عَذْبَ الروح لا من غضاضة ولكنّ كبرا أن يكون به كبر (١)

فتى سلبته الخيل وهو حمى لها وبزّته نار الحرب وهو لها جمر

وقد كانت البيض المباتير في الوغى بواتر فهي الآن من بعده بُتْر (٢)

أمن بعد طَيّ الحادثات محمدا يكون لأثواب الندى أبدا نشر

إذا شجرات العُرْف جُذَّت أصولها ففي أي فرع يوجد الورق النَّضْر (٣)

« ١ » الغضاضة : الذل . والمعنى أنه كان رقيق الشمائل لين الجانب وليس ذلك منه هوانا وصغر شأن ولكنه ترفع منه عن أن يتهم بالكبر ورأيي من الوجهة النحوية أن لكن استعملت مشددة في موضع المخففة فجاءت دالة على الاستدراك غير عاملة وهذا مالم أعثر على جوازه في رأى أحد من النحويين وتفسير عطفها أن من غضاضة في موضع التميز فعطف عليها كبرا عطفا على المحل والمعنى كأنه قال هو عذب الروح لامن جهة الغضاضة والمذلة ولكن من جهة الكبر عن التهمة بالكبر . ولبعض الشراح في هذا المقام كلام مضمونه أن لكن عاملة وإن اسمها كبرا والخبر محذوف وتقديره وإن لم يشر إليه قائل هذا الرأي ولكن كبرا عن أن يقال به كبر جعله عذب الروح وقيل إن اسم لكن محذوف والخبر جملة الفعل الذى ناب عنه كبرا والتقدير ولكنه يتكبر كبرا عن أن يقال به كبر

(٢) يروى البيض البواتر جمع باتر بمعنى قاطع والبيض المباتير جمع مبتار : صيغة مبالغة من البتر ، والبيض المآثير جمع مأثور وهو السيف الذى شفرته حديد ذكر أو الذى عملته الجن أو الذى توارثه الناس لنفاسته . وبتر جمع أبتر وهو في الأصل المقطوع الذنب والمراد هنا قليل النفع

(٣) العرف : المعروف . جذت الشجرة قطعت . النضرة : الحسن أو الخضرة فالورق النضر أى الحسن أو الأخضر

لئن أُبغض الدهر الخئون لفقده لعهدى به ممن يُحبُّ له الدهر
لئن غدرت فى الروع أيامه به لما زالت الأيام شيمتها الغدر
لئن لبست فيه المصيبةَ طيء لما عريت منها تميم ولا بكر
كذلك ماتنفكُّ نفقد هالكا تشاركنا فى فقده البدو والحَضْر (١)
سقى الغيث غيثا وارت الارض شخصه وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر
وكيف احتمالى للسحاب صنيعة بأسقائها قبرا وفى لحده البحر

ومنها أخذ البحترى قوله:

« سقى الله قبرا لو يشاء ترابه إذا سقيت منه النجوم الهواطل»
« نأى ربه عنا وأعرض دونه على كرهنا عرضُ الثرى والجنادل»
« حيا الأرضِ ألقت فوقه الارض ثقلها
وهولُ الأعادى فوقه الترب هائل »

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

قال فى الوساطة قوله اشتهت من ألفاظه التى وضعها فى غير موضعها ومازال الناس يستكرهونها لأنه جعلها فى موضع ودت وأنت لا تقول أشتهى أنى قدرت وإنما تقول أود أنى قدوت (٢)

ثوى بالثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صَرْفَ الدهر نائلُه الغَمْر

(١) الحضر بالتحريك خلاف البدو وخفف هنا بالتسكين للشعر

(٢) الرأى عندى أنه لا استكراه فى هذه الكلمة لأن الشهوة لغة الحب والرغبة وهبها أشد الحب وأقوى الرغبة فهى مناسبة للمبالغة فى رغبة الرياض أن تصير قبراً للمرثى .

عليك سلام الله وقفا فأنني　　رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وكان الحسن بن وهب مفرطا فى محبة أبى تمام والتعصب له والذب عنه قال جعفر بن محمد بن قدامة : كتب الحسن بن وهب إلى أبى تمام وقد قدم من سفر جعلت فداك ووقاك (١) وأسعدنى الله بما أوفى(٢) علىّ من مقدمك وبلوغ الوطر كل الوطر من انضمام اليد عليك وإحاطة الملك لك، وأهلا وسهلا، وقرب الله دار قربك وحيا ركابا(٣) أدتك وسقى بلادا يلتقى ليلها ونهارها عليك وجعلك فى أحسن معاقله وأحفظ محارسه وأبعدها من الحوادث مراما .

وزار الحسن بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حميد الطوسى فبدأ أبو تمام فقال:

أعضك الله أبا نهشل

ثم قال للحسن بن وهب أجز فقال

بخدريم شادن أكحل

قال أجز ياأبا نهشل فقال

يطمع فى الوصل فأن رمته　　صار مع العيّوق فى منزل(٤)

وقال رجل للحسن بن وهب إن أبا تمام سرق من رجل يقال له مكنف من ولد زهير بن أبى سلمى وهو رجل من الجزيرة قصيدته التى يقول فيها

كأن بنى القعقاع يوم وفاته　　نجوم سماء خر من بينها البدر

(١) الفداء ممدود ويقصر فى السعة تقول جعلت فداءك أو فداك أما الوقاء فلا يقصر إلا فى الشعر ولعله استسيغ هنا لمكان السجع

(٢) أوفى على الشىء أشرف والمراد بما أشرف على ودنا منى من نعمة قدومك

(٣) الركاب الابل (اسم جنس) واحدتها راحلة

(٤) العيوق نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح فى شغل عن السَّفَر السَّفْر

فقال الحسن بن وهب هذا دعبل حكاه وأشاعه فى الناس وقد كذب وشعر مكنف عندى ثم أمر بأخراجه فأخرجت هذه القصيدة فقرأها الرجل فلم يجد فيها شيئا مما قال أبو تمام فى قصيدته . ثم دخل دعبل على الحسن بن وهب فقال ياأبا على بلغنى أنك قلت فى أبى تمام كيت وكيت فهبه سرق (١) هذه القصيدة كلها وقبلنا قولك أسرق شعره كله ؟ أتحسن أن تقول كما قال

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحّت كما مَحّت وشائع من بُرْد(٢)

وأنجدتمُ من بعد إتهام داركم فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد

فانخزل (٣) دعبل واستحيا فقال له الحسن بن وهب إن الندم توبة وهذا الرجل قد توفى ولعلك كنت تعاديه فى الدنيا حسدا على حظه منها وقد مات الآن وحسبك من ذكره (٤) فقال له أصدقك ياأبا على ما كان بينى وبينه شىء إلا أنى سألته أن ينزل لى عن شىء استحسنته من شعره فبخل به على وأنا الآن أمسك عن ذكره فضحك من قوله واعترافه بما اعترف

والبيتان اللذان قالهما الحسن بن وهب من أول قصيدة لأبى تمام قالها فى مديح أبى المغيث موسى معتذرا عما سيأتى وهى

(١) هبه سرق تعبير صحيح ويخطىء من يقول هب أنه سرق

(٢) شهد : حلت . أقوت الدار خلت . المغانى جمع مغنى وهو المسكن غنى به أهله أى أقاموا به . مح الاثر ذهب الوشائع أعلام الثوب وخطوطه . البرد الثوب المخطط . أنجد أتى نجدا . أتهم أتي تهامة

(٣) انخزل تراجع وفتر

(٤) خبر حسب محذوف أى وحسبك من ذكره ما كان

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحّت كما محّت وشائع من بُرْدْ

وأنجدتم من بعد إتهام داركم فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد

لعمرى لقد أبليتمُ جـدة البكا بكائى وجددتم علىّ بِلى الوجد (١)

وكم أحرزت منكم على قبح قدّها

صروف النوى من مرهف حسن القد (٢)

ومن زفرة تعطى الصبابةَ حقَّها

وتُورى زناد الشوق تحت الحشا الصلد (٣)

(١) ويروى البيت هكذا فى الديوان

لعمري لقد أخلقتم جدة البكا على وجددتم به خلق الوجد

والمعنى لايختلف فى الروايتين . أبلى الثوب أذهب جدته كأخلقه . الخلق البالى والمعنى لقد أكثرتم من البكاء حتى ذهبت جدته كالثوب يبليه استعماله كثيرا ومن كثرة البكاء تجدد ما كان قد بلى من الحب

(٢) القد القوام أو اعتداله . المرهف الخامص البطن . والمعنى أن البعاد استولى على كل حسن القد جميل فطوح به فى نواحى البلاد وحرم من لقائه أحبابه ، فعلت الحوادث ذلك بكل جميل مع قبحها وشناعة طلعتها . وأرى أن الطباق وغرام أبى تمام به هو الذى أباح له وصف الايام وصروف الدهر بقبح القد ليطابق بينه وبين حسن القد فى آخر البيت

(٣) الزناد الصلد الذى لا يورى أى أن صروف الفراق أحدثت زفرات تدل على مقدار الصبابة والشوق من المشتاق وهذه الزفرة من شدتها وحرارتها توقد النار فى الباطن ولو أنه قاس لايهتاج وبارد لا يورى له زناد

ومن جِيد غيداء التثنى كأنما ... أتتك بليتيها من الرشأ الفرد[١]

كأن عليها كل عقدٍ ملاحةً ... وحسناوإن أمستوأضحت بلاعقد

ومن نظرة بين السجوف عليلة ... ومحتضن شَخْتٍ ومُبْتَسم برد[٢]

ومن فاحم جعد ومن كفل نهد ... ومن قمر سعد ومن نائل ثَمْد

محاسن مازالت مساوٍ من النوى ... تغطى عليهاأومساوٍ من الصد[٣]

سأُجهد عزمى والمطايا فأننى ... أرى العفو لا يمتاح إلا من الجهد[٤]

إذ الجَدُّ لم يَجْدِدْ بنا أو نرى الغنى ... صراحا إذا ماصرح الجِدّ بالجَدّ[٥]

---

(١) رواية الديوان ومن كل غيداء . الغيد لين الأعطاف . الليت صفحة العنق . الرشأ ولد الظبي . والمعنى أن النوى أحرزت كل غيداء حسنة التثنى كأنما استعارت صفحتى عنقها من رشأ منفرد تظهر محاسنه للرائى أوهو لانفراده يكون مذعورا دائم التلفت فتبين محاسنه

(٢) المحتضن موضع الاحتضان أى الخصر . شخت: دقيق . برد : بارد

(٣) أى هذه محاسن مازالت تغطى عليها مساوىء من البعد أو الهجران فأنها بهما تستتر عنا فلا نراها

(٤) العفو المراد به الكثير أى من العطاء . ويمتاح يستعطى

(٥) الجد الاولى بالفتح أى الحظ . يجدد مضارع أجد بمعنى سلك الجدد وهو الارض الغليظة المستوية . « أو » بمعنى إلى . صراح : منكشف ظاهر . الجد التى قبل القافية مكسورة بمعنى الاجتهاد . الجد الاخيرة مفتوحة بمعنى الحظ ومعنى البيت مع ماقبله : سأجتهد وأحاول الوصول إلى المراد مادام الحظ لايسلك بى الطريق المستقيم وما أزال على هذا الاجتهاد حتى أرى الغنى صريحا وأحصل عليه حقا وذلك إنما يكون حين يصرح الاجتهاد عن الحظ أى يظهر

وكم مذهب سبط المناديح قد سعت إليك به الأيام عن أمل جعد(١)

ـمرين بنا زَهْوا يَخدْنَ وانما

يَبيت ويُضحى النجح فى كنف الوَخْد(٢)

قواصد بالسير الحثيث الى أبى الــ ـمغيث فما تنفك تُرْقل أو تُخْدى(٣)

الحظ من وراء الاجتهاد (كما يصرح اللبن عن الزبد) ويكون الاجتهاد سببا ظاهرا للحصول على المراد فأنه اذا لم يكن وراء الاجتهاد حظ يساعد فلا نفع فيه وأنت تري فى البيت غموضا جر إليه حب أبى تمام لعقد الجناس بين جد وجد ويجدد واستعمال ظرفين وهما إذا وإذا فى جملة واحدة وتعليق المعنى على تعليق كل منهما بكامة فى الجملة . ثم فيه ظاهرة أخرى وهى ضغط معنى كثير فى ألفاظ بيت واحد وهو فى الحقيقة يحتاج إلى بيتين أو ثلاثة حتى يؤدى فيها على الوجه الظاهر المألوف

(١) المناديح جمع مندوحة وهى الارض البعيدة الواسعة كالندحة . سبط مسترسل . جعد منقبض . يقول كم غنى واسع وصلت إليه على حين كان أملك فيه ضعيفا . وهذا البيت عندى من مستكره كلام أبى تمام لانه ألبس المعانى ألفاظا لا تناسبها فقد جعل الغنى سبطا والسبوطة وصف للشعر أصلا ثم جعل الامل جعدا والغريب أنه جعل السباطة وصفا للارض وهى إنما توصف بترامى الارجاء ، فكل هذا من تكلف أبى تمام ولو أن شيئا من الامل أو الغنى يوصف أصلا بوصفه الذى ذكره لقلنا إنه تكلفه فى الثانى لغرامه بالبديع ولكنه ارتجل التكلف فى جميع بيته وذلك منتهى التكلف

(٢) الزهو السير بعد الشرب ليلة أو ليلتين فهو على ذلك يكون مصحوبا بنشاط لأن الابل تكون ريا مستجمعة القوى فيكون بمعنى الوخد لأنه الاسراع والمعنى ظاهر

(٣) ترقل تسرع وكذلك تخدى

إلى مشرق الأخلاق للجود ماحوى ويحوى وما يُخفى من الامر أو يبدى

فتى لم تزل تفضى به طاعة الندى إلى العيشة العَسْراء والسُودَد الرغد

إذا وعد انهلت يداه فأهدتا لك النجح محمولا على كاهل الوعد

دَلُو حان تفتر المكارم عنهما كما الغيث مفتر عن البرق والرعد(١)

إليك ثغرنا مابنت فى ظهورها ظهور الثرى الرِّبعىّ من فَدَن نهد(٢)

سرت تحمل العتبي إلى العَتْب ، والرضا

إلى السخط ، والعذرَ المبين إلى الحقد(٣)

أموسى بن ابرهيم دعوةَ خامس به ظمأُ التثريب لاظمأُ الوِرْد (٤)

---

(١) الدلوحان : يداه وأصل الدلح أن يمشى الرجل وهو مثقل ثم استعير ذلك للغمامة فقيل غمامة دلوح إذا كانت مثقلة بالماء ثم وصفت اليدان بذلك تشبيها لها بالغمامة فى كثرة الفائدة

(٢) ثغر : أحدث شقا . الربعى نسبة إلى الربيع . الفدن القصر أو القنطرة النهد المرتفع . والمعنى قد أحدثنا ثغرة فيما بنته ظهور الثرى الربعى (أى نبات الربيع) فى ظهور هذه الابل من الاسنمة التى ارتفعت وعلت كالقصور أو القناطر أي انه أهزل بأدمان السير ظهور الابل التى بنتها ظهور الثرى (نباته)

(٣) و يروى إلى الحد وهو الغضب فيكون بمعنى الحقد . العتبى الارضاء والمعنى ظاهر

(٤) الخامس الذى يشرب كل خمسة أيام وذلك أن الابل الخوامس هى التى تشرب اليوم ثم ترعى ثلاثة أيام ثم تشرب فى الرابع فكأنها شربت فى يوم ثم شربت فى خامسه والمعنى أننى أجد فى جوفى حرارة كالتى يجدها الخامس الذى يشرب كل خمسة أيام وليست الحرارة من ظمأ الى الماء ولكنها حرارة من اللوم والعتاب المحض الذي وجه إلى . وكان قد اتهمه بأنه هجاه فأبو تمام يعتذر عن ذلك

جليدعلى عتب الخطوب إذا التوت ... وليس على عتب الأخلاء بالجلد
أتانى من الركبان ظن ظننته ... لففتُ له رأسى حياءً من المجد (١)
لقد نكب الغدرُ الوفاءَ بساحتى ... إذا وسرّحتُ الذم فى مسرح الحمد (٢)
وهتّكت بالقول الخنا حرمةَ العلا ... وأسلكت حر الشعر فى مسلك العبد
نسيتُ إذًا كم من يد لك شاكلت
يد القرب أعدت مستهامًا على البعد (٣)
ومن زمن ألبستنيه كأنه ... إذا ذكرت أيامه زمن الورد
وإنك أحكمتَ الذى بين فكرتى ... وبين القوافى من ذمام ومن عَقد (٤)

---

(١) أى بلغنى ماظننته فى من هجائك فاستحييت من مجدك أن أكون متهما بهجائه فكان من حيائى أن لففت رأسى وفى لف الرأس إغماض للعينين وستر للوجه حتى لا يزداد خجله برؤية هذا المهجو الذى لا يليق به إلا الثناء . وما أقبح هذه الكناية من أبى تمام فقد كان يكفى أن يقول كما يقول الناس أغضيت جفنى أو أطرقت حياء ولكنه يريد أن يكون غير الناس فجاء فى مثل هذا ضحكة الناس

(٢) يقول إذا كان ماظننته حقا فقد انتصر الغدر على الوفاء عندى ولا يكون ذلك إلا حين يكون لى أثر فى هذا التغلب أو أكون قد ساء تقديرى للأمور فجعلت الذم بدل المدح وهذا كله يلحق بى أكبر العيب

(٣) إذا كان منى ذلك فقد نسيت مالك على من فضل .وفضلك على كثير فكم من صنيعة لك هى فى الاحسان وعظيم الجدوى بمثابة صنيعة تقريب العاشق من حبيبه وهذه عند الولهان لا يعد لها شىء

(٤) أى أنك بجودك مكنتنى من أن أقول الشعر الجيد

وأصّلتَ شعرى فاعتلى رونق الضحى ... ولولاك لم يظهر زمانا من الغمد

وكيف وما أخللتُ بعدك بالحجا ... وأنت فلم تُخْلِل بمكرمة بعدى

أسربل هُجْر القول من لو هجوته ... إذا لهجانى عنه معروفه عندى (١)

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... معى وإذا مالمته لمته وحدى (٢)

ولو لم يزعنى عنك غيرك وازعٌ ... لأعدتنى بالحلم إن العلا تُعدى (٣)

أبى ذاك أنى لست أعرف دائما ... على سُودَدٍ حتى يدوم على العهد (٤)

وإنى رأيت الوشم فى خلق الفتى ... هو الوشم لا ما كان فى الشعر والجلد

---

(١) فى رواية أألبس وهى عندي خير من رواية الاصل لظهور الاستفهام فيها وهو خير من إضماره

(٢) يلاحظ بعض النقاد أنه كان الأولى أن يقول أبو تمام وإذا ماذمته ذمته وحدى من الذام وهو الذم ليكون الذم مقابل الحمد ولكن الحق أن أبا تمام لم يرد الذم ولا يصح أن يريده لأنه فى مقام الاعتذار وسل سخيمة شديدة عليه فى نفس هذا المعتذر إليه فهو يقول إذا مدحته مدحه كل الناس معى وإذا لمته لم يلمه أحد معى والفرق عظيم بين مقامي الذم واللوم

(٣) أى لو لم يكن لى راد عن هجائك إلا ما اشتملت عليه من خلق الحلم والصفح لكان ذلك كافيا لزجرى عن هجائك وأن هذا الخلق تام الظهور فيك وقد عاشرتك فكنت جديرا أن أتقيلك فيه وللعلا عدوى تنتقل إلى المعاشر فيتأثر بأخلاق معاشره

(٤) يقول أبي أن أهجوك أنك ملازم لصفات السودد لا تتكلفها بل هي طبع فيك ومن شأن الشريف أن يحفظ العهد ومادمت حافظا للعهد فأى شيء يحملني على الهجاء

أَرُدُّ يدى عن عرض حر ومنطق وأملؤها من لبدة الأُسد الورد

فأن يك جُرم عنّ أوتك هفوة على خطأ منى فعذرى على عمد

هجاء أبي المغيث

وكان أبو تمام هجاه بأشياء منها قوله:

فاض اللئام وغاضت الأحساب واجتُثّتِ العلياء والآداب [١]

أمويس لا تُفْنِ اعتذارك طالبا عفوى فما بعد العقاب عتاب [٢]

هب من له شيء يريد حجابه مابال لاشيء عليه حجاب [٣]

ما إن سمعت ولا أرانى سامعا أبدا بصحراء عليها باب

---

(١) فاض الماء طغى على وجه الارض ، غاض ابتلعته الارض . اجتث الشجرة اقتلعها من أصلها . والمعنى ظاهر

(٢) مويس تصغير ترخيم لموسى على اعتبار أصالة الميم وزيادة الالف والتصغير للتحقير كما يدل عليه المقام . والمعنى لا تكثر من الاعتذار حتى تأتى على جميع المعاذير فى الذنب الذى اقترفته وأسأت به إلى فأساءتك كانت بالغة جدا لا تحتمل الاعتذار والعقاب لاعتاب بعده لان موقع العقاب مصر على مافعل وإنما يعتذر من سها أو أخطأ

(٣) يقول إنما يحجب الشيء الذى يراد منعه عن الناس حتى لا تمتد أيديهم أو أعينهم إليه فأما الشيء المعدوم فكيف يحجب وهل يخشى على المعدوم أن يكون مطمع الطامعين وقوله لاشيء أراد به المعدوم وهى من ألفاظ المناطقة وأهل الفلسفة ويمكن تخريج استعمالها على وجه من العربية وهو أن تجعل لا اسما بمعنى غير صفة لمحذوف والتقدير شيء لاشيء كما يقال هو كلا شيء وإعراب شيء بعد لا الجر لانها مضاف إليه والمضاف «لا» أو تجعل لا حرفا مقحما بين المضاف والمضاف إليه والمضاف فى هذه الحالة كلمة بال

من كان مفقود الحياء فوجهه   من غير بواب له بواب[١]
مازال وسواسي لعقلي خادعا   حتى رجا مطرا وليس سحاب[٢]
ما كنت أدري (لادريتَ) بأنه   يجرى بأفنية البيوت سراب[٣]

وقوله

غاب الهجاء فآب فيك بديعه   فتَهَنَّ ياموسى قدوم الغائب[٤]
لا تُدهشني بالحجاب فأنني   فطن البديهة عالم بموارب[٥]

(١) أى من كان لاحياء عنده لايحتاج إلى بواب يحجب عنه الناس فأنه بوقاحة وجهه يستطيع أن يرد كل سائل ولا يمنعه من ذلك حياء إذهو فاقده

(٢) الوسواس حديث النفس والمراد هنا الأماني الكاذبة

(٣) السراب لايرى إلا فى الصحراء حين يشتد وهج الشمس فحين ذاك يتخيل الظمآن الماء يجرى على الافق سلسبيلا فيطمع فيه ويؤمل أن يصل إليه فيروى ظمأه وكل ماء يري فى غير هذه الحالة فهو ماء حقيقى ولكنك أيها المخادع أوهمتنى أنك كريم ممتلىء اليدين بالغني وإذا بك فقير لاتلوى على شيء فكأنك أريتني سرابا بين البيوت وهذا مالا يتصور ولكن شدة انخداعى جعلتنى أتصور ماء حيث لاماء

(٤) احتجب الهجاء عنك حينا ثم رجع إليك اليوم بديعا منقطع النظير فاهنأ بهذا القادم

(٥) فى رواية الديوان ندس ككتف أو عضد بمعنى فطن . الموارب الخاتل المخادع والمعنى لم أدهش حين جئتك فحجبتنى وامتنعت عن لقائى لأنى أعرف فيك أساليب الخديعة والخلاص من الزوار . فيلاحظ أن لافى لاتدهشني نافية لاناهية والفعل بعدها قد أكد على قلة وكأنه قال لم تدهشنى بلجوئك إلى الاحتجاب حين قصدتك ...

لا تكلفن وأرض وجهك صخرة ... فى غير منفعة مؤونة حاجب [١]
ما كنت أول آخر فى قدرة ... أثرى فصغر قدر حق واجب [٢]
خذ من غدى الجانى بجزيك ضعف ما ... أعطيتنى فى صدر أمسى الذاهب

وقوله

أى رأى وأى عقل صحيح ... لم يخونك سانحى وبريحى
حلق الله لحية لك لو تحـــلق لم يدر ما غلاء المسوح [٣]
وذراها فى الريح إن كنت ترجو ... سير شعرى فى نعتها بالريح [٤]

---

(١) المعنى فى البيت ظاهر وهو أنه ينصح له بألا يكلف نفسه نفقة الحاجب من أكل وكسوة وأجر وهو فى غنى عن ذلك لأن وجهه كالصخرة صلابة واحتمالا . والذى يلاحظ على أبى تمام أنه استعمل تكلف من كان الثلاثى ومعناه أولع بالشىء وهو يريد تحمل المشقة وإنما الذى يدل عليها هو تكلف المضعف العين

(٢) آخر : ضد الأول والمراد المتأخر : والمعنى لست أول من يتخلف فى القدرة على المكارم،أصاب الغنى فاستهان بالحقوق الواجبة . ومن معانى الآخر الغائب ويراد به هنا الغريب الشأن لأن أمره يغيب عن الأذهان . والمعنى لست أول غريب الشأن فى أمر القدرة الألهية فكم خلق الله مثلك ممن لا يؤدى الحقوق الواجبة عليه . وغرام أبى تمام بالجمع بين الاول والآخر هو الذى أوقعنا فى هذا التكلف فى إظهار المعنى الذى يريده

(٣) الرواية فى جميع المصادر خلق بالخاء ولكننى أراها مصحفة عن حلق لما سيظهر لك فى شرح البيت التالى

(٤) ذرت الريح الشىء فرقته فى الهواء . والمعنى أنه يدعو على لحيته بأن تتطاير فى الجو إذا كان يطمع أن يقول أبو تمام شعرا فى وصفها بلا مقابل

وقوله

سار فى التيه عقل من ظن أنى ... بالأمانى أسير قبل مديحى

أمويس كيف رأيت نصب حبائلى ... أو ليس ختلى فوق ختل الخاتل (١)

أعملت فيك قصائدى ووسائلى ... فحرمتنى فلبئس أجر العامل (٢)

هذا جزائى إذ أدنس جاهلا ... بك همتى وكذا جزاء الجاهل (٣)

لافرّج الرحمن عنى إننى ... أرتعت ظنى فى رياض الباطل

ماخلّفت حواء أحمق لحية ... من سائل يرجو الغنى من سائل

وذلك لحقارة شأنه فى نظره كأنه يقول له أننى إضن بالهجاء عليك وإن كان فى ذلك تحقير لشأنك فأنى لا تتعلق همتى بذلك لصغر شأنك فى نظرى فلو كنت عظيما لحاولت هدم مجدك بالهجاء ولكنك كالذباب نجاه لؤمه من الذم. ويروى فى مدحكم بدل فى نعتها والمعنى عليه أقرب تصورا لأنه يقول له لا ترج أن أمدحكم بلا مقابل وفاعل ذرا فى أول البيت هو الله والجملة دعائية معطوفة على جملة حلق الله فى البيت السابق والتكلف ظاهر فى استعمال كلمة بالريح بمعنى بلا شىء ليجانس بينها وبين فى الريح فى أول البيت. ويصح أن يكون أراد أنه يضن عليه أن يمدحه بمشابهة الريح كرما وقوة والعرب تشبه بالريح لأنها تسوق السحاب ولأن قوتها تأتى على كل شىء. وعلى هذا الفهم يخف الثقل فى الجناس لان كلمة الريح تكون مجتلبة لمعنى شريف لا لمجرد خدمة اللفظ

(١) يقول إننى قد أحكمت الأمر فى خديعة هذا البخيل ومع ذلك لم أحل منه بطائل

(٢) فى الديوان ورسائلى ورواية الاصل هنا خير منها لانه لم يكتب إليه رسائل وإنما قال شعرا والتمس وسائل للحصول على الجائزة فلم يحصل على شىء

(٣) جاهلا حال من فاعل أدنس. والمعنى ظاهر

ذاك الذى أحصى الأمور وعدها طمعا ليَنْتُج سَقْبة من حائل(١)
أحرزتُ من جدواك أكثر مُحْرَز فى ظاهر وأقله من حاصل (٢)
وكذاك من قصد اللئام بعاجل فى المدح سَوّدَ وجهه فى الآجل

وقوله

أمويس قل لى أين أنت من الورى لا أنت معلوم ولا مجهول
لو كنت مجهولا جعلتك معلما أو كنت معلوما لغالك غول [٣]
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح فيك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

والبيتان الأخيران ينسبان لغير أبى تمام

ولقد بلغ أبا المغيث موسى شىء من هذه الأهاجى فاعتذر إليه أبو تمام بالقافية الدالية المتقدمة. وكان أبو تمام مدحه بمدائح كثيرة منها قوله من قصيدة

الآن جردت المدائح وانتهى فيض القريض إلى عُباب الوادى(٤)
وتبجّست للجود من نفحاته قُلُب يكدن يقلن هل من صاد.(٥)

---

(١) يقال نتج الرجل الناقة أي أولدها . السقبة الانثى من أولاد الناقة ساعة ولادتها . ناقة حائل لم تلقح سنة أو سنتين أوسنين

(٢) لعله يريد بهذا الكثير الذى ناله هو ما لقيه من اللقاء الحسن غير المثمر والمواعيد الخلابة

(٣) يريد بجعله معلوما أن يشهره فى شعره

(٤) جردت المدائح أى أخلصتها لك أو من جرد السيف إذا شهره وأخرجه من غمده والمراد بفيض القريض ما انسال عليه من معانيه وقوافيه وعباب الوادى كناية عن الممدوح . والعباب معظم الماء وكثرته

(٥) التبجس : التفجر . نفحات : عطايا . قلب جمع قليب وهى البئر

أضحت عطاناً مياهه وعراصه ... وقفاً على الرواد والوراد [١]

عُذْنا بموسى من زمان أنشرت ... سطواته فرعون ذا الأوتاد [٢]

جبل من المعروف معروفٌ به ... إنكار عادية الزمان العادى [٣]

ما لامرئٍ أسر القضاء رجاءه ... إلا عطاؤك أو رجاؤك فادى

ما للخطوب طغت علىّ كأنها ... جهلت بأن نداك بالمرصاد

ولقد تراءتني بأمنع جُنّة ... لما برزتُ لها وأنت عَتادى [٤]

---

(١) رواية الديوان أضحت معاطن ماهه وهى عندى خير لأنى لم أجد عطانا جمعا لعطن أو معطن وهو مبرك الأبل حول الحوض

(٢) يقول اعتصمنا بموسى الممدوح من زمن أعاد فينا سيرة فرعون ذي الأوتاد الذى اشتهر بجبروته حتى كان ينصب أربعة أوتاد يشد إليها يدى ورجلى الرجل ليعذبه . ويجب أن تلاحظ ماراعاه أبو تمام من مراعاة النظير بين موسى وفرعون وإلا فالجبابرة كثيرون كان يصح التمثيل بأحدهم لولا ما نعرف من غرام أبي تمام بالمحسن

(٣) المعروف الأولى الأحسان والثانية بمعنى المعلوم ضد المجهول . وبه أى عنه والباء تأتى بمعنى عن كقوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) أى عن عذاب

(٤) يقول إذ كان مقدرا على امرىء الحرمان وعدم تحقق الرجاء فليس له إلا أن يقصدك فأنك تفك أسر رجائه وتغير ما كتب له فى لوح القدر . وبين أسر وفاد طباق لتضادهما باللزوم إذ الفداء يستلزم الاطلاق وهو ضد الأسر ويصح اعتبار أن بينهما مراعاة نظير اذا لم ينظر إلى هذا الناحية

(٥) الجنة الوقاية. العتاد : العدة

مازلت أُعلم أن شِلْوى ضائع … حتى جعلتك موئلى ومَعادى (١)

سل مخبرات الشعر عنى هل رأت … فى قَدْح نار الشعر مثل زنادى (٢)

لم تَبق حَلْبة منطق إلا وقد … سبقت سوابقَها اليك جيادى

أبقين فى أعناق جودك جوهرا … أبقى من الأطواق فى الأجياد

وقوله من أخرى وكتب بها إليه

أقشيبَ ربعهم أراك دريسا … وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا (٣)

ولئن حُبِسْتَ على البلى لقد اغتدى … دمعى عليك إلى الممات حبيسا (٤)

قدما كأن أُميم كانوا ساكنا … لك والعماليق الأُلَى وجَديسا (٥)

أميم أمة قديمة وكذلك العماليق وجديس يقول قدم عمر هذا الربع فتغير تغيرا شديدا حتى كأنه من ديار هذه الأمم الذاهبة

---

(١) الشلو : الجسد . الموئل : الحصن . المعاد : اسم مكان من عاد بمعنى المكان الذى أعود إليه فهو بمعنى الموئل والمثابة

(٢) قدح الزناد إيراء ناره والمعنى أن شعره خير من شعر غيره

(٣) القشيب . الجديد . الدريس : الدارس . الرسيس ابتداء الحب أو الحمى . يقول إنك أيها المنزل قد أخلقت جدتك وليس لزائرك من قرى إلا حرقة الشوق ودبيب الحب

(٤) يقول لكونك قد صرت وقفا على مؤثرات البلى من الرياح والأمطار وقفت دمعي عليك حتى أموت

(٥) يروى البيت هكذا

فكأن طسما قبل كانوا جيرة … لك والعماليق الأُلى وجديسا

وأرى رسومك موحشات بعدما قد كنت مألوف المحل أنيسا
وبلاقعا حتى كأن قَطينها حلفوا يمينا أخلقتك غَموسا (١)
أترى الفراق يظن أنى ذاهل عنه وقد لمست يداه لميسا (٢)
رُود أصابتها النوى من خُرَّد كانت بدور دُجُنَّة وشموسا
بيض يُدرْن عيونهن الى الصبي فكأنهن بها يُدرن كؤوسا (٣)

يقول إذا نظرن فأدرن عيونهن إلى الصبي واللهو سحرن وخلبن العقول فكأن عيونهن كؤوس خمر

وكأنما أهدى شقائقه إلى وجناتهن ضحى أبو قابوسا

أبو قابوس النعمان بن المنذر و كان رأى شقائق النعمان فأعجب بها وقال احموا هذه ويقال للدم النعمان

---

(١) أى أن محلك أيها الربع صار بلقعا كأن أهلك حلفوا يمينا كاذبة متعمدين الكذب فيها وأبو تمام يشير إلى قولهم : الايمان الكاذبة تترك الديار بلاقع . واليمين الغموس هى التى يتعمد حالفها الكذب وسميت غموسا لأنها تغمسه فى النار

(٢) لميس كأمير علم جنس للمرأة ولبيس كزبير للرجل كأسامة علم للأسد وثعالة للثعلب وهكذا والمعنى لأنسى للفراق هذه الاساءة وهى كونه اجترأ على جنس المرأة الممثل فى محبوبتى

(٣) الرود المرأة الناعمة الملمس . الخريد أو الخريدة البكر لم تمس أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت والجمع خرائد وخرد ككتب، وخرد كركع نادرا لأن فعيلة لا تجمع على فعل . وقوله فى خرد أى معهن

قد أوتيتْ من كل شيء بهجة وددًا وحسنافى الصبى مغموسا [١]
لولا حداثتها وأنى لاأرى عرشا لها لظننتها بِلْقيسا
إيها دِمَشْقُ فقدحويتِ مكارما بأبى المغيث وسوددًا قُدْموسا [٢]
وأرى الزمان غدا عليك بوجهه جذلان بسّاما وكان عبوسا
قدبوركتْ تلك البطون وقدست تلك الظهور بقربه تقديسا [٣]

ويروى بتقديم الظهور . يقول ظهور أرضك مباركة كثيرة الخير وبطونها متقدسة متطهرة من كل دناءة ولؤم (ويحتمل أن يريد بالظهور جمع ظهر ، الرجل وبالبطون جمع بطن ، المرأة يعنى أن أهل هذه المحلة قوم طاهرون)

فصنيعة تُسدى وخطب يُعْتَلَى وعظيمة تُكفى وجُرْح يُوسَى
الآن أمستْ للنفاق وأصبحت عُورا عيون كنّ قبلك شوسا [٤]

---

(١) الددا اللعب أى أنها أوتيت فى كل شىء وأوتيت مرحا ولعبا وحسنا قد غمس فى غرارة الصبى وتدفق رغباته وفتنته بالحياة

(٢) قدموس : قديم . إيها عجبا

(٣) البطون والظهور للارض ومعنى مباركة البطون كثرة الخصب ورخاء العيش وتقديس الظهور أنها محمية ممتنعة على الاعداء . وكل ذلك لأن هذا الممدوح يليها فهو يزيد فى خيراتها بحسن تدبيره ويمن نقيبته وكذلك يذود عنها المغيرين وهذا أتم مايكون فى الوالى . يلاحظ أن فى شرح المصنف لهذا البيت كثيرا من الخلط

(٤) الاشوس أو الشوساء من ينظر بمؤخر عينه كبرا . يقول إن النفاق فى أيامك قد عورت عينه بعد أن كان ينظر نظرة المتكبر المتغطرس كناية عن ذهاب دولة النفاق فى أيامه

وتركت تلك الأرض فصلا سَجْسجا

من بعد ما كادت تكون وطيسا [١]

لم يشْقَ قوم قد طلعت عليهم   بدرا يَشُقُّ الظلمة الحِنديسا

ويروى لم يشعروا حتى طلعت عليهم

ما فى النجوم سوى تعِلَّة باطل   قدمت وأسس أفكها تأسيسا [٢]

إن الملوك هم كواكبنا التى   تخفى وتَطْلُع أسعدا ونحوسا

فتن ٌجَلَوْتَ ظلامها من بعد ما   مدوا عيونا نحوها ورءوسا

حرب يكون الجيش بعض صبوحها

ويكون فضلُ غَبوقها الكُرْدُوسا [٣]

غُرْم امرئ من روحه فيها إذا   ذو السلم أُغْرِم مطعما ولبوسا

كم بين قوم إنما إنفاقهم   مال وقومٍ ينفقون نفوسا

سار ابن ابرهيم موسى سيرة   سكَن الزمانُ لها وكان شَموسا

---

(١) اليوم السجسج الذى بين الحرارة والبرودة . الوطيس : تنور النار . والمراد بالفصل أحد فصول السنة الاربعة أي صيرت الأرض فى حسن الحال والرضا عنها كأنها الفصل المرضى من فصول السنة ويروي ظلا وهو حسن أيضا

(٢) يقول إن علم النجوم باطل لاحقيقة له ولكن المتخرصين به جعلوا له منذ العهود القديمة أسسا بنوه عليها ثم يقول فى البيت الذى بعده : ما السعد ولا النحس الا بيد الملوك فهم يؤثرون ما يعتقد أنه من فعل النجوم خطأ

(٣) يقول إنها حرب عظيمة جدا تأتى على الجيوش العظيمة وتذهب بالارواح الكثيرة فهى تتناول فى صباحها جيشا يكون صبوحا لها وشرب فى مسائها كتيبة تكون غبوقا

فأقرّ واسطة الشآم وأنشرتْ ... يمناه جودا لم يزل مرموسا[١]

فكأنهمْ بالعجل ضلوا حِقْبة ... وكأن موسى إذا أتاهم موسى[٢]

أعطِ الرِّياسة من يديك فلم تزل ... من قبل أن تُدعى الرئيس رئيسا[٣]

---

(١) أنشر كنشر . مرموس . مدفون

(٢) يشير إلى عبادة قوم موسى عليه السلام للعجل حين غاب عنهم فلما رجع إليهم ردهم عن ضلالهم . وفى البيت جناس بين كلمتى موسى لأن الأولى للممدوح والثانية لنبي بنى اسرائيل عليه السلام

(٣) يرى التبريزى رأيين يصح فهمهما من البيت أحدهما أنه يقول للممدوح إن الرياسة محتاجة إليك فتفضل عليها بالعطية كما تعطى غيرها من الناس. والثاني أنه يقول أعط الرياسة للناس أى ليصيروا رؤساء كما تهب المال قال والفرق بين المعنيين أن الرياسة فى الأول موهوب لها كما يوهب للناس وفى الثانى موهوبة لغيرها . ولست أفهم المعنى الأول إذ الناس يعطون المال لينتفعوا به فما هو عطاء الرياسة وهى أمر معنوى لا ينتفع بالمال . وأرى أن المعنى الثانى صالح للقصد لأنه يدل على أن رياسة الممدوح عظيمة واسعة المدى تقبل أن تتفرع عنها رياسات وتدخل تحتها إمارات . وهنالك معنى آخر عرض لى وأرجحه على هذا المعنى وهو أنه يقول له أعط الرياسة من قدرتك وأعنها بعظمتك فأن الرياسات تنتفع بك لما تفيدها به من جاهك كما قال الحطيئة فى عمر رضى الله عنه

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بها الأثر

وإطلاق اليد وإرادة معنى القدرة مجاز مشهور . ويساعد على هذا المعنى أو يدل على أن الشاعر قصده . قوله فلم تزل من قبل أن تدعى الرئيس رئيسا أى أنك لم تشرف بالرياسة وإنما هى التى شرفت بك وانتفعت بولايتك

إنا بعثنا الشعر نحوك مفردا فأذا أذنت لنا بعثنا العيسا (١)

ومكث أبو تمام مدة ينتظر معروف أبى المغيث موسى بن ابرهيم فلم يدرك منه رسولا ولم يبلغ مأمولا فقال يمدحه ويستبطيه من قصيدة

لله دَرٌّ أبى المغيث إذا رحىً للحرب دارت ماأعز وأشرفا

يُتَعَرَّفُ المعروفُ فى لحظاته بأزاء صرْف الدهر حيث تصرفا

ماإن يبالى ماتقدم فى العلا ماكان من أمواله متخلفا

عكفت يداه على النوال فأصبحت آمالنا وقفا عليه عُكَّفا

كم وقفة لك فى الندى مشهورة تركت جبال المال قاعا صفصفا

يامتلف الدنيا أَفِدْ شكرى تُفَد شكرا ينسى مُتْلفا ماأتلفا (٢)

كم من شماتة حاسد إن أنت لم تخلف رجاء المرتجى أن تخلفا (٣)

(١) المعنى حضرنا بأشخاصنا راكبين العيس وهى جمع عيساء أو أعيس وهو الجمل يخالط بياضه شقرة

(٢) أفد : أمر من أفاد بمعنى نفع . تفد : مضارع من أفاد مبني للمعلوم بمعنى تستفد أو مبنى للمجهول بمعنى يفيدك غيرك

(٣) المعنى أن حسادك يتمنون أن تقبض يدك عن السائلين وتمنع رفدك عن المعتفين ، فأن فى ذلك وسيلة لهم إلى ذمك بالبخل وتكذيب ماعرف عنك من الجود وكأنه يقول له إن حسادك يبحثون عن زلة لك فلا يجدون فلم يبق لهم إلا تمنى هجرك لعادة الكرم ليتخذوا ذلك ذريعة إلى ذمك وفى هذا القول من أبى تمام إغراء للممدوح بالعطاء وتوريط له فى خطة الكرم لأنه أراه أن حساده كثيرون وأنهم وقفوا له بالمرصاد يبحثون عن نقيصة يذيعونها عنه فلا

لاتنس تسعة أشهر أنضيتها ... دَأَبًا وأَنْضَتْنِي إليك وَنَيِّفا
بقصائد لم يرو بحرُك وِرْدها ... ولو الصفا وردتْ لفجرت الصفا(١)
لله أى وسيلة فى أول ... أقوى ولكنْ آخِرا ما أضعفا(٢)
إنى أخاف وأَرتجى عقباك أَنْ ... تُدْعَى المَطُول وأن أُسَمَّى الملحفا(٣)
هبت رياحك لى جنوبا سهوة ... حتى إذا أورقت عادت حرجفا
قد كان أصغرُ همتى مستغرقا ... كرمَ الربيع فصرت أرضى الصَّيِّفا(٤)

يجدون فتعلقت أمانيهم بأن يبخل ، ولا شك أن من عرف أن النقص لا يدخل عليه إلا من باب واحد اجتهد فى سده وفى هذا تحقيق رجاء أبى تمام بحصوله على عطائه

(١) الورد القوم يردون الماء كالواردة . الصفا اسم جنس جمعى لصفاة وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت . والمعنى ان هذه القصائد وردت بحرك فبخل عليها بالماء ولو أنها وردت حجارة صلدة لفجرت فيها الماء . يريد أن شعره يحمل الممدوح على العطاء إلا إذا كان شديد البخل كأبي المغيث

(٢) المعنى أعجب لوسيلتى إليك فهى قوية جدا فى أولها إذ هى شعر يستنزل العصم وتتفجر له الحجارة الصم ولكنه إذا صار إليك ضعف شأنه وقل تأثيره وفى أول أى فى أول أمرها

(٣) المطول المماطل . الملحف الملح فى السؤال

(٤) الصيف مطر الصيف . والمعنى أنه يبالغ فى همته مبالغة شديدة فيقول إن أصغر أحوال همتى تستصغر كرم الربيع وما فيه من خير كثير وقد ضعف رجائى وتوالت خيبة أملى حتى صرت اقنع بمطر الصيف أى بما يكون عنه من خير قليل . وأرى أنه لو جعل بدل كرم الربيع مطر الربيع لتمت المقابلة بينه وبين الصيف

ماعذر من كان النوال مطيعه   والطبع منه أن يراه تكلفا (١)

ويروى

ماعذر من كان النوال طبيعة   من راحتيه أن يجود تكلفا

إن أنت لم تُفْضل ولم تر أننى   أهل له فأقلُّها أن تنصفا (٢)

أسرفتَ فى منعى وعادتك التى   ملكتْ طباعك أن تجود فتسرفا

اللهُ جارُكَ أن تحول وأن يهى   ماسلَّفَ التأميل فيك وخلّفا (٣)

لاتصرفن نداك عمن لم يَدَعْ   للقول فيك إلى سواك تصرفا

ثقّف قُنىّ الجود تلق قصائدا   لاقت أوابدهن فيك مُثقَّفا (٤)

---

(١) المعنى لاعذر لمن كان قادرا على العطاء بما خول من كثرة المال ولكن طبعه يأبى أن يجود ويرى فعله تكلفا لأن سجيته البخل

(٢) الافضال الجود . والمعنى إذا لم يكن من شأنك الكرم ولم ترأنى أهل له فلا أقل من أن تعطينى مايكون ثمنا للشعر وأجرا للتعب فى قصدك وبذل الوجه فى سؤالك وهو يشير إلى المعنى الذى قصده ابن الرومى فيما بعد فقال

إن كنت عن جهل حقى غير معتذر   أو كنت عن رد شعرى غير منقلب

فأعطنى ثمن الطرس الذى كتبت   فيه القصيدة أو كفارة الكذب

«٣» سلف الرجل الشىء قدمه فهو بمعنى خلفه . الجار هنا بمعنى المجير والحامي . كانه يقول حماك الله من أن تتحول عن عادتك وأن يضعف الامل فيك وينهدم ما بناه من الرجاء

(٤) قنى جمع قناة وتثقيف القناة تقويمها وتشذيب كعوبها والمعنى اجعل جودك صالحا لمكافأة المادحين لك كما تجعل القناة بتثقيفها صالحة للطعن بها فحين ذاك تجد منى قصائد باقية على الأبد أو شرودا فى كل مكان فتبقى حيلة لك .

أفن التظنن بالتيقن إنه لم يفنَ ماأبقى الثناء المضعفا
لاترض ذاك فتُسخطن أياديا هزتك إلا أن تصيبك مرهفا [١]
كم ماجد سمح ألظّ بجوده مَطْل فأصبح وجه نائله قفا [٢]
لم آل فيك تعسفا وتعجرفا وتألفا وتلطفا وتظرفا [٣]
وأراك تدفع حرمتي فاعلني ثَقُلْتُ غير مؤنّب فأخففا [٤]

(١) معنى هذا البيت والذى قبله: أزل الشك فى كرمك بالعطاءالمحقق الذى يصبح معه جودك يقينا واعلم أنك لم تفقد مالا أخلد لك الثناء المضاعف ، ولا ترض البخل فتسخط كل من حاول منك العطاء حين رجافيك أن يجد مهندا ماضيا فوجدك كهاما كليلا . والاشارة بذاك عائدة على التظنن الذى كنى به عن البخل وكأن فى الشطر الثانى من البيت الثانى نقصا فتقدير الكلام فيه فتسخطن أياديا هزتك وهى لا ترضاك إلا أن تصيبك مرهفا ويصح أن نجعل له مخرجا بأن نقدر الاستثناء مفرغا والأصل فتسخطن أياديا فى جميع الحالات إلا حالة تصادفك فيها مرهفا وشرط التفريغ فى الاستثناء (وهو النفى) متحقق هنا لأن معنى السخط عدم الرضا ونظير هذا قوله تعالى (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) أى لا يرضى

(٢) ألظ به لازمه

(٣) التعسف السير على غير هدى . التعجرف الكبر والمعنى فى البيت جربت معك جميع الأحوال

(٤) أنب الرجل السائل رده أقبح رد والمعنى فى البيت رأيتك ترد حتى ولعل هذا الرد منك كان بسبب إلحافى فى السؤال بغير داع من قبح المقابلة فكأنى عجلت بالالحاف قبل أن أرى قبح الرد فعاقبتنى بالمنع . فهل إذا خففت عدت إلى الكرم ؟ وهذا منه ربما كان تهكما وربما كان استدرارا للعطاء

وسار أبو تمام إلى مصر قاصدا عياش بن لهيعة الحضرمي ومدحه بأشياء منها

رأيت لعياش خلائق لم تكن لتكمل إلا في الأديب المهذب
له كرم لو كان للماء لم يَغِضْ وفي البرق ما شام امرؤ برق خُلَّب[١]
أخو أزمات بذله بذلُ محسن إلينا ولكن عُذْرُه عُذْرُ مذنب[٢]
إذا أمَّه العافون ألفوا حياضه مِلاءً وألفوا روضه غير مجدب[٣]
إذا قال أهلا مرحبا نَبَعت لهم مياه الندى من تحت أهلٍ ومرحب[٤]
يهولك أن تلقاه صدرا لمحفل ونحرا لأعداء وقلبا لموكب[٥]
همام كنصل السيف كيف هززته وجدت المنايا منه في كل مَضرِب
تركتُ حطاما مَنْكِبَ الدهر إذ نوى زحامي لما أن جعلتك منكبي[٦]

(١) يقال برق خلب بالاضافة أى برق سحاب خلب «خال من الماء»
(٢) الازمات الشدائد أى أنه يقوم فيها مقاما محمودا
(٣) ملاء جمع ملآن أو ملأى كظماء وعطاش ورواء
(٤) نبع الماء «كنصر ومنع وضرب» ظهر
(٥) المعنى إذا رأيته وهو يتصدر المحافل وينحر الاعداء ويتوسط الجيوش هالك منظره فى كل هذه المظاهر . ونصب صدرا وقلبا على الظرفية أى فى صدر المحفل وفى قلب الموكب أوهما حالان . على المبالغة كأنه جعله نفس الصدر ونفس القلب أما نحرا فنصبها على الحالية والمصدر مراد به اسم الفاعل على سبيل المبالغة واعتبار الكلمات الثلاثة أحوالا هو المناسب لنسق الكلام
(٦) الحطام كل ما انكسر من اليبيس المنكب كموعد رأس الكتف. والمعنى قد استقويت بك لما جعلتك عمادي فتغلبت على الدهر وحطمت منكبه حين نوى مزاحمتي

وماضِيق أقطار البلاد أضافنى إليك ولكن مذهبي فيك مذهبي (١)
وأنت بمصر غايتى وقرابتى بها وبنو أبيك فيها بنو أبى (٢)

وقال يستبطيه من قصيدة

الفطر والأضحى قد انسلخا ولى أمل ببابك صائم لم يفطر
عام ولم يُنْتَج نداك وإنما تَتَوَقَّع الحبلى لتسعة أشهر (٣)
قصر ببذلك عمر مطلك تحو لى حمدا يعمر عمر سبعة أنسر (٤)

---

(١) يقول لم أقصدك لضيق الدنيا فى وجهى وكساد بضاعتى عند غيرك ولكننى قد عولت على إلا أقصد إلا الكريم وقد رأيتك تجمع صفات الكرم فوجهت اليك ركابي ولو طلبت العطاء من كثيرين لأعطونى ولكننى لا أجد فى عطائهم شرفا كالذى أجده فى عطائك

«٢» لا تظن أن فى البيت انكسارا كما يتبادر من قراءته فأن الذى فيه أن مفاعيلن المتوسطة فى الشطر الأول وردت تامة ونظيرتها فى الثانى مقبوضة أى صارت مفاعلن

«٣» يقال نتجت الناقة بالبناء للمجهول ونتجها أهلها أى ولدت عندهم . وتتوقع الحبلى بالبناء للمجهول أى يتوقع وضعها ويصح أن يقرأ بالبناء للفاعل أى تتوقع هى الوضع

«٤» المعنى أعطنى ما وعدت ولا تطول المسافة بالمطل فأنك إن أعطيتنى تحصل على حمد يدوم عمر سبعة أنسر أى عمرا كعمر لقمان الذى أجاب الله دعاءه فى أن يعيش عمر سبعة أنسر فكان يأتي بالنسر يوم ولادته فما يزال يتعهده حتى يموت فيؤتى له بنسر ولد ليومه وهكذا حتى تم عمر السبعة وكان آخرها لبد فقيل فى المثل: أخنى عليها الذي أخنى على لبد

شر الأوائل والأواخر ذمةٌ لم تُصطنع وصنيعة لم تُشكر (١)

وقال يمدحه ويعاتبه من قصيدة أولها « وثناياك إنها إغريض » (٢)

لن يهزّ التصريحُ للمجد والسُو دَد من لم يهزّه التعريض (٣)

كل يوم نوع يقفيه نوع وعروض تتلوه فيك عروض (٤)

وقواف قد ضج منها لِما استُعْمل فيها المرفوع والمخفوض (٥)

«١» الذمة العهد . والاصطناع المراعاة والاحسان يقول شر شيء عرف في القديم والحديث هو العهد الذى لا يراعى والاحسان الذي لا يشكر

«٢» البيت

وثناياك إنها إغريض ولآل توم وبرق وميض

الأغريض الطلع وكل أبيض طري وقبل البرد واللآلى جمع لؤلؤة والتوم اسم جنس جمعى لتومة وهى اللؤلؤة العظيمة والوميض اللمعان وهو هنا اللامع . يقسم بثنايا المحبوب التى هى كالبرد أو الطلع أو اللآلىء العظيمة أو البرق اللامع

«٣» التعريض جعل الكلام دالا بفحواه لا بمنطوقه وهو ضد التصريح الذى تدل فيه الألفاظ دلالة أصلية . يقول إن الذى لا يهزه إلى المجد التلويح والاشارة لا ينفع فيه التصريح

«٤» قفاه بالتشديد جاء على أثره والعروض هنا القصيدة كما تطلق القافية وتراد أيضا أو العروض الوزن الشعرى والمراد أنه قال فيه من كل وزن ومن كل معنى ولم يفد ذلك

«٥» يقول وقد قلت فيك شعرا كثيرا ورد بعضه مرفوعا وبعضه مخفوضا حتى ضجت الألفاظ من كثرة ما استعملت وليس المراد أنه جاء بالمرفوع والمخفوض فى قصيدة واحدة فأن ذلك عيب فى الشعر يسمى الاقواء ولكن المراد أنه أكثر من الشعر فكان منه المرفوع والمخفوض

أعياشُ ارع أولا ترْعَ حقى ‌ ‌ ‌ وصل أو لا تَصِلْ أبدا وسيلى (١)
أراكَ (ومن أراكَ الغَيَّ رشدا) ‌ ‌ ‌ ستلبس حُلَّتى قال وقيل (٢)
رجاء حل من عَرَصات قلبي ‌ ‌ ‌ محل البخل من قلب البخيل (٣)
فأجدى موقفى بنداك جدوى ‌ ‌ ‌ وُقوفِ الصب فى الطلل المُحيل (٤)
وأعكفتُ المنى فى ذات صدرى ‌ ‌ ‌ عكوف الدمع فى الخد الأسيل (٥)

---

(١) ارع : احفظ . الوسيل جمع وسيلة بمعنى القربة

(٢) الواو فى ومن أراك للقسم . يقول له أنا واثق أنك ستلبس حلى ذم «لأن القال والقيل والقالة خواص بالبشر والقول خاص بالخير » وأنا أقسم على ذلك بمن جعلك ترى الضلال هداية وهو الله سبحانه وتعالى

(٣) العرصات جمع عرصة وهى ما اتسع أمام الدار « الفناء » يقول حل الرجاء فى قلبي محلا كريها بغيضا ممقوتا منى كما يمقت الناس محل البخل عند البخيل . وما أقبح عرصات القلب من أبى تمام اذ هى استعارة غير مألوفة ولكنه شديد الغرام بغير المألوف من اللفظ والمعنى . وانا وان احتلت فى ايجاد وجه شبه بين محل الرجاء من قلبه ومحل البخيل من قلب البخيل إلا أني غير مرتاح له إذ المألوف أن الوجه يكون واحدا حقا فى الطرفين ولكنه هنا مختلف فهو فى الرجاء كره منه وفى البخل كره من غير البخيل الذى حل فى قلبه البخل

(٤) يقول قد نفع موقفى فى التماس عطائك مثل النفع الذى يعود على الصب حين يقف بدار المحبوبة التى تركتها منذ حول أوالتى تغيرت واستحالت أحوالها لقدم العهد عليها . والكلام هنا خارج مخرج التهكم إذ لا نفع للمحب من هذا الوقوف بل إن له منه اللوعة والحسرة

(٥) المعنى جعلت الاماني تقيم فى صدري إقامة مؤلمة كاقامة الدموع على الخد كلها حسرة وتفجع

وكنتُ أعزَّ عزاً من قنوعٍ تعرَّضه صُفوح من مَلول

فصرتُ أذلَّ من معنى دقيق به فقر إلى فهم جليل (١)

فما أدرى عماى عن ارتيادى دهانى أم عماك عن الجميل

متى طابت جَنًى وزكت فروع إذا كانت خبيثاتِ الأصول (٢)

نَدَبتُك للجزيل وأنت لغو ظلمتُك لستَ من أهل الجزيل

كلا أبويك من يَمَن ولكن كلا أبوى نوالك من سَلُول (٣)

رويدك إن جهلك سوف يُجْلى لك الظلماء عن خِزْىٍ طويل

وأقلل إنّ كيدك حين تَصْلى بنيرانى أقلُّ من القليل

مرارات المقام عليك تعفو فتذهب من حلاوات الرحيل

سأطعن عالما أنْ ليس برء لسُقمى كالوسيج وكالذميل

وقال فيه

---

(١) يقول كنت أعز من القنوع الزاهد الذى صادف إعراضا من حبيب لا رغبة له فى الوصال ثم انقلبت عزتى هذه إلى ذلة فصرت أذل من المعنى إذا أعوزه اللفظ فلم يظهر معناه وبقى أسيرا فى قيوده

(٢) فاعل طابت ضمير يعود على فروع فالأسلوب من باب التنازع والاستفهام إنكارى والمعنى لا يمكن أن تزكو الفروع ويطيب جناها إذا كانت أصولها خبيثة

(٣) يقول إن نسبك حقا من اليمن ولكن شمائلك لا تنتمى إلى كرام العرب بل هى منسوبة إلى لئامها فهى راجعة فى خبثها الى سلول التي يقول فيها الشاعر

وإنا لقوم لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

عياشُ يابن اللؤم والتصريد　　وسلالةَ التضييق والتنكيد (١)

لَيُسوِّدَنَّ بِقاعَ وجهك منطق　　أَضعافَ ماسوَّدْتَ وجه قصيدى (٢)

وليفضحنّك فى المحافل كلها　　صدرى كما فضحت يداك وُرُودى (٣)

ما كان يخبرني القياس بطائل　　عنكم ولكن عشت بالتقليد (٤)

فطرحت فى طمعى يدا أخرجتها　　من طاعة التوفيق والتسديد [٥]

ما كلُّ من شاء استمرت بالندى　　يده ولا استوطا فراش الجود

وقال فيه

عياش زُفَّ اليك جَهد جاهد　　واحتل ساحتك البلاء الراكد (٦)

مااللؤم لؤم إن عداك لبابه　　وعدوْته ولهيعة لك والد (٧)

---

(١) التصريد : التقليل . التنكيد بمعنى التضيق

(٢) بقاع جمع بقعة بمعنى القطعة

(٣) المعنى لأفضحنك بالمعاني التى يجيش بها صدرى كما أن يديك أقبضتا عنى حين ورودى ففضحتانى بالخيبة

(٤) القياس إعطاء شىء حكم آخر لوجود مشابهة بينهما. والتقليد إلغاء النظر والأخذ بآراء الغير من غير نقد لها. يقول لو أنى قست غائب أمورك بشاهدها لحكمت بأنك لست بجواد وأن تأميلك ليس وراءه نفع لما أرى من علامات بخلك وأمارات لؤمك ولكنى ألغيت عقلى وسمعت كلام الناس الواهمين فى الحكم عليك بأنك كريم معطاء

(٥) المعنى أنى تركت التوفيق والسداد إلى الطمع الذى يعقب الخيبة . والبيت متكلف الاستعارة

(٦) دعاء عليه بأن يصير إليه الشقاء والبلاء

(٧) يقول كل لؤم فى غيرك فهو ليس بلؤم مادام أبوك لهيعة

أَلِفَ الهجاءَ فما يبالى عرضه أهجاه أُلْف أم هجاه واحد[١]

سمُجت بك الدنيا فما لك حامد وسمجتَ بالدنيا فما لك حاسد

فلأَشهرَنَّ عليك شُنْع أوابد يُحسبن أسيافا وهن قصائد[٢]

فيها لأعناق اللئام جوامع تبقى وأعناقِ الكرام قلائد

وقال فيه بعد موته

فيمن يشُن الشعرُ غاراته بعدك أو أمثالَه السائره[٣]

قد كانت الدنيا شفت لوعتى منك ولكن عُذْتَ بالآخره[٤]

ياأسد الموت تخلَّصته من بين لَحيي أسد القاصره[٥]

أجارَكَ المكروه من مثله فاقرةٌ نجَّتك من فاقره[٦]

---

(١) التفت من الخطاب إلى الغيبة فهو يتحدث عن عياش الذى كان يخاطبه فى البيت السابق والمعنى ظاهر

(٢) شنع جمع شنعاء والشناعة الفظاعة . أوابد جمع آبدة وهى هنا القافية الشاردة الذاهبة فى كل مكان . والمعنى ظاهر

(٣) يقال شن عليه الغارة أى صبها من كل مكان . الغارة اسم مصدر بمعنى الاغارة (الهجوم بالخيل)

(٤) يقول حين كنت حيا قلت فيك من الهجاء ماشفى نفسى ولكنك الآن تحصنت بالموت فأنا أكف عنك

(٥) القاصرة موضع يمر به السائر اذا سار من مكة يقصد مصر ويذكر أصحاب السير أن عتبة بن أبى لهب سافر إلى مصر فأكله أسد بالقاصرة

(٦) الفاقرة الداهية . والمعنى أن الموت نجاه من الهجاء فهو داهية نجته من داهية

ذم مصر

وقال يفتخر ويذم سيره إلى مصر بعد مفارقتها

تصدّتْ وحبل البين مستحصِدٌ شزر　　وقد سهّل التوديعُ ما وعّر الهجر

أى عرضت على من أحكمت أمر السفر وصار حبله مستحصدا أى شديد الفتل والشزر الفتل إلى جهة (١)

بكته بما أبكته أيامَ صدرُها　　خلىٌّ وما يخلو له من هوى صدر

يقول بكت هذه الجارية أبا تمام بأعراضه عنها وترك إصغائه إليها وبذلك أبكته هى زمان كان صدرها خليا من الهموم وكان أبو تمام لا يخلو له من هوى صدر فهو الآن كالخلى الصدر

وقالت أتنسى البدر قلت تجلدا　　إذا الشمس لم تغرب فلا طلع البدر

أى قالت لمن لم يصغ إليها أتنسى البدر تريد نفسها فقال تجلدا لا سلوة إذا طلع لى من صحة رأيى ونفاذ عزمى ما هو كالشمس فلا طلع البدر أى لا حاجة إليه مع الشمس

فأبدت جمانا من دموع نظامها　　على النحر إلا أن صانعها الشَّفْر

ويروى أن صائغه الشفر . يقول بكت فأبدت من دموعها مثل الجمان المتناثر نظامها على النحر أى ينصب الدمع لكثرته على النحر فينتظم فيه ويجتمع إلا أن الذى صاغه شفر العين أى ليس بجمان على الحقيقة

---

(١) فى القاموس المحيط شزر الحبل فتله عن اليسار أو فتل من خارج ورده إلى بطنه . من تمام معنى البيت أن التوديع جعلها تلقاه وتخاطبه وتكاشفه الحب وهذا ما لم يتيسر حين كانت تهجره قبل الوداع

وما الدمع ثانى عزمتى ولو انها سقى خدّها من كل عين لها نهر

اى لاينثنى عزمى عن السفر ببكائها ولو جرى من كل عين لها نهر من الدمع على خدها

جمعتُ شَعاع الرأى ثم وسمته بحزم له من كل مُظْلمة فَجْر

وصارعت عن مصر الرجاء ولم يكن ليصرع عزمى غيرُ ماصرعت مصر

شعاع الرأى متفرقه . والسمة العلامة. يقول لما عزمت على السفر وقع رجائى على مصر فصارعت رجائى اي دافعته عنها فغلبنى الرجاء حتى صرع عزمى ولم يكن ليصرع عزمي شيء إلا مصر فأنها صرعته وذلك أنه سار من الشام إليها يريد عياش بن لهيعة المقدم ذكره وكان صاحب خراجها فمدحه فلم ينل منه مايريده فندم على رحيله وشكا ذلك فى شعره

فطحطحت سداسدّ يأجوج دونه من الهم لم يُفرَغ على زُبْرِهِ قِطْر (١)

بِذَعبَلَةٍ ألوى بوافر نحضها فتى وافر الأخلاق ليس له وفر (٢)

فكم مَهْمَهٍ قفر تعسَّفْت متنه على متنها والبر من آله بحر (٣)

(١) طحطح : كسر . الزبر بضمتين جمع زبرة بالضم وهى قطعة الحديد وخفف لفظ الجمع هنا بالتسكين للشعر . القطر بالكسر النحاس الذائب.وقوله من الهم صفة لسد بعد صفة (سد يأجوج دونه) . والمعنى أنه تغلب على عزم دونه سد يأجوج فى الشدة

(٢) الذعبلة الناقة الشديدة . ألوى الدهر بالشيء ذهب به وأفناه . النحض اللحم. الفتى الوافر الاخلاق يريد به نفسه . الوفر الغنى (٣) الآل : السراب

وما القفر بالبيد القَواء بل التى نبت بى وفيها ساكنوها هى القفر (١)

ويروى تعسفت متنها على متنه . والبيد القواء الخالية

وَمَن قامرَ الأيامَ عن ثمراتها فأحجج به أن تنجلى ولها القَمر (٢)

فأن كان ذنبي أن أَحسَنَ مطلبي أساء ففى سوء القضاء لى العذر

يقول قد أحسنت السعى وأجملت فى الطلب فأفضانى حسن مطلبي إلى الأساءة والحرمان فأن عد علىّ هذا ذنبا فعذرى منه سوء القدر

قضاءُ الذى مازال فى يده الغنى ثنى غرب آمالى وفى يدى الفقر

يقول قضاء الله الغنى صرف قوة آمالى وغربها ولا شىء فى يدى منها إلا الخيبة والفقر

رضيت وهل أرضى إذا كان مسخطى

من الأمر مافيه رضى من له الأمر (٣)

---

(١) القواء من الارض الذى لاشىء فيه . يعرض بمصر فيقول إنها أولى بوصف القواء من الصحراء

(٢) قامر راهن والقمر الغلب . الحج الغلبة بالحجة واحجج به أى ما أغلب حجته أى ما أحقه .

(٣) علق الآمدى فى «الموازنة» تعليقا طويلا على هذا البيت يريد به ان يخطىء أبا تمام. وملخص كلامه ان الفعل فى هل أرضى يجب أن يكون منفيا حتى يستقيم المعنى فكان يجب أن يقول وكيف لا أرضى . وأرى أنه لاحق له فى دعواه . فأن معنى الرضا هو القبول المترتب على الاختيار فأبو تمام يقول رضيت بما قسم لى ثم كأنه أدرك أن التعبير بالرضا فى مثل هذا المقام على غير وجهه فقال وهل أرضى أى وهل أعد راضيا مختارا إذا كان الذى أغضبنى فقبلته أمرا جاء به القدر الذى لامرد له ويكون الاستفهام فى هل أرضى للتهكم مثلا

يقول رضيت بما قدر الله عليّ من الخيبة والفقر وهل رضاى لما أسخطنى من الأمر إلا على رغم منى وتسليم للقدر إذ كان ذلك الأمر المسخط أرضى الله عز وجل ، الذى له الأمر كله

وأشجيت أيامى بصبر جَلَوْنَ لى عواقبه والصبر مثل اسمه صبر

يقول لما تلقتنى الأيام فى مصر بالمكروه تلقيتها بالصبر وأشجيتها بذلك وأرغمتها وحلت لى عواقب ذلك الصبر أى بلغت بصبرى الذى أردته وإن كان الصبر شديدا كالصبر واسمه كاسمه

أبى لىَ نَجْرُ الغوث أن أرأَم التى أُسبُّ بها والنجر يشبهه النجر

يقول أبى لى أصلى الكريم أن أرضى بالدنية وأقبل الخصلة التى أسب بها وهل يجرى الأصل الكريم إلا على سنن الأصل الكريم الذى يشبهه

وهل خاب مَن جِذْماه فى جذم طيء عَدِيُّ العَدِيِّين العَمَلَّسُ أو عمرو

النجر والجذم الأصل والعملس الواسع الخلق وهو لقب لعدى ابن حزم والغوث قبيلة طى

لنا غُرَر زيدية أُدَدِيَّة إذا نجمت ذلت لها الأنجم الزُّهر

لنا جوهر لو خالط الأرض أصبحت وبُطنانُها منه وظُهرانُها تبر[1]

جَديلة والغوث اللذان إليهما صغت أذن للمجد ليس بها وَقْر[2]

---

(١) البطنان جمع بطن وكذلك الظهران

(٢) جديلة امرأة من حمير وهى بنت سبيع ولم تلد أحدا من بطون الغوث فلذلك أفردها منهم وإنما أولادها من خارجة بن سعد بن قطرة بن طى. صغا صغوا مال . الوقر ثقل فى الأذن عن السمع أو هو الصمم نفسه

مقاماتنا وقف على الحلم والحجا وأمردُنا عِضٌّ وأشيبنا حبر

العض الداهية . والحبر العالم . يقول مقاماتنا قد وقفت على الحلم والعقل دون الخفة والجهل فالأمرد فينا عض داهية والأشيب حبر عالم بالأمور

ألنَّا الأكف بالعطاء فجاوزت مدى اللين إلا أن أعراضنا صخر

يقول استعملنا الأكف فى العطاء ودربناها على اللين حتى جاوزت غاية اللين إلا أن أعراضنا محمية لاتبتذل فهى كالصخر فى قوتها وشدتها

كأن عطايانا يناسبن من أتى ولا نسب يدنيه منا ولا صهر

لنا الجود فى قحطان والبأس والندى هل المجد إلا الجود والبأس والشعر

فالبأس منسوب لزيد الخيل والجود لحاتم وابن سعدى والشعر لامرىء القيس وهم من قحطان وهى من طى . وفيه نقد فليتأمل(١)

إذا زينة الدنيا من المال أعرَضتْ فأزين منها عندنا الحمد والشكر(٢)

وُكور اليتامى فى السنين فمن نبا بفرخ له وَكر فنحن له وكر(٣)

أبى قدرُنا فى الجود إلا نباهة فليس لمال عندنا أبدا قدر

---

(١) لعله أراد بالنقد أن قوله «لنا الجود فى قحطان» يشعر بأن قحطان من طى كما فسره بعد ذلك فى شرحه . وليس ذلك الفهم بلازم من لفظه فقد يكون مراده ان جود قحطان كلها محصور فينا ومنسوب إلينا فكأنه قال الجود الذى فى قحطان كلها هو لنا لا لغيرنا من قبائل قحطان

(٢) يقول اذا أعرض عنا المال وهو زينة الدنيا فى نظر الناس فأننا نرى أن زينة الحمد المستفاد بأتلاف المال وتوزيعه بين المحتاجين خير من زينة المال المجموع عند أهله

(٣) يقول نحن الوكور التى تلجأ اليها اليتامى كالافراخ ضعفا وحاجة للمعونة وكل فرخ لايجد له وكرا فنحن وكره

ليبجَحْ بجود مَن أراد فأنه عوانٌ لهذا الناس وهو لنا بِكر (١)

جرى حاتم فى حلْبة منه لو جرى بها القَطر شأوا قيل أيهما القطر (٢)

فتى ذَخر الدنيا أناسٌ ولم يزل لها داحرا فانظر لمن بقى الدخر (٣)

الداحر المبعد للشيء الدافع له أى دحر المال بالبدل

فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى فليس لحى غيرنا ذلك الفخر

جمعنا العُلا بالجود بعد افتراقها الينا كما الأيام يجمعها الشهر (٤)

بنجدتنا ألقت بنجد بعاعها سحابُ المنايا وهى مظلمة كُدْر (٥)

بكل كَمِيٍّ نحرُه غَرَضُ القنا إذا اضطمر الأحشاء وانتفخ السَّحر (٦)

---

(١) بجح الرجل بالشيء كفرح وزنا ومعنى · العوان من النساء التى تزوجت البكر التى لم يسبق لها زواج . يقول ان جودنا لم يفترعه أحد ولم يصل اليه بعد محاول فأما جود الناس فهو مسبوق بمثله دأني نظيره

(٢) الحلبة الجماعة من الخيل تجرى فى الرهان · الشأو الغاية والمعنى ظاهر

(٣) فى رواية ولم يزل لها باذلا والذى يعرف مذهب ابى تمام يوقن انه لم ينطق إلا بالرواية التى أثبتها المؤلف فى الاصل لأن داحرا تصحيف ذاخر وهذا اليق بمذهب أبي تمام

(٤) العلا : الرفعة والشرف وهى لفظ مؤنث كما ترى فى استعمالها

(٥) البعاع من السحاب ثقله وهو خاص به . السحاب واحده سحابة يجوز تذكيره وتأنيثه والضمير فى وهى مظلمة راجع إلى السحاب على أنه مؤنث لأنه جمع

(٦) الغرض من السهم مرماه الذي يوجه إليه . القنا واحده قناة . الاضطمار الضمور ويقال للجبان انتفخ سحره والسحر الرئة

فأعجبْ بمن يُهدى إلى الموت نحره ... وأعجبُ منه كيف يبقى له نحر

يشيّعه أبناء موت إلى الوغى ... يشيعهم صبر يشيعه نصر

كُماةٌ إذا ظل الكماة بمعرك ... وأرماحهم حمر وألوانهم صفر

رأيت لهم بشرا على أوجه لهم ... أبى بأسهم ألا يكون لها بشر [١]

بخيل لزيد الخيل فيها فوارس ... إذا نطقوا فى مجاس خرِس الدهر

أى يشيعه أبناء موت بخيل فيهم زيد الخيل اذا نخروا فى مشهد خرس الدهر ولم يعارضهم

علي كل طِرْف يحسِر الطَرْف سابح ... وسابحة لكن سباحتها الحُضْر

الطرف الفرس [٢] والحضر الجرى أى لايسبح فى الماء

طوى بطنها الإسآدُ حتى لو انه ... بدا لك ما شككت فى أنه ظهر [٣]

ضُبَيْبِيَّةٌ ما إن تحدث نفسها ... بما خَلْفها مادام قُدَّامها وِتر

ضبيبية منسوب الى الضبيب وهو فرس مشهور [٤]

---

(١) الواو فى قوله فى البيت السابق وأرماحهم حمر للحال من الكماة الواقعة اسما لظل . ورأيت فى أول البيت جواب اذا فى الذى قبله

«٢» والطرف بالفتح العين ويقال حسر البصر كتعب وزنا ومعنى وحسر النظر بصرى كضرب أتعبه

«٣» الإسآد سير الليل . وفى البيت مبالغة ظاهرة ولكن الذى حسنها كونها خيالا والخيال يقبل فيه مالا يقبل فى الحقيقة

«٤» كان لرجل من طى وكان مع بعض ملوك الفرس فى حرب فهزم ذلك الملك وقصر فرسه فحمله الطائى على الضبيب فعرف له الملك ذلك وأقطعه مواضع بالسواد . يقول فى معنى البيت إن هذه الفرس مادام أمامها ثأر فهى لاتحدث نفسها بالعودة إلى ماوراءها من وطن وولد

فآن ذمّتِ الاعداءُ سوءَ صباحها
فليس يؤدى شكرها الذئب والنسر (١)

بها عرفتْ أقدارَها بعد جهلها
بأقدارها قيسُ بن غيلان والفِزْر (٢)

وتغلب لاقت غالبا كل غالب
وبَكر فألفت حربنا بازلا بَكر (٣)

وأنت خبير كيف أبقت أسودنا
بني أسد إن كان ينفعك الخُبْر (٤)

وقسمتنا الضيزى بنجد وأرضها
لنا خُطْوة فى عرضها ولهم فِتر

مسارح يضل الشعر فى طُرْق وصفها
فما يهتدى إلا لأصغرها الشعر

---

(١) يقول إذا ساء صباحها فى نظر الاعداء لأنها تفجؤهم على غير انتظار فأنها تسر الوحوش لأنها تنصر أصحابها فيقتلون أعداءهم فتشبع هذه النسور وهذا المعنى كثير فى كلام الشعراء وسيفيض المصنف فى تناول الشعراء لهذا المعنى فيأتى على أكثر ماقيل فيه

«٢» الفزر لقب سعد بن زيد مناة وافى الموسم بمعزي فأنهبها وقال من أخذ منها واحدة فهى له ولا يؤخذ منها فزر وهو الاثنان فأكثر ومنه قيل فى المثل لا آتيك حتى تجتمع معزى الفزر

«٣» يقول لما حاربنا تغلب لقيت منا من يغلب كل غالب ويهزم كل منصور وكذلك بكر وجدت حربنا شديدة . البازل من الإبل الجمل أو الناقة فى السنة التاسعة وكلمة كل مفعول لغالب لا توكيد لها . والواو فى وبكر عوض عن أما ولذلك وقعت الفاء فى خبرها وبكر فى القافية فاعل ألفت والاظهار هنا فى موضع الاضمار لنكتة بلاغية وهى تسجيل الهزيمة والعار عليها حتى لايستطاع إنكارها .

(٤) كيف أبقت اى على حال أبقتهم من الضعف والانهزام. القسمة الضيزى الجائرة واضافة قسمة إلى نا من أضافة المصدر لفاعله اى أننا قسمنا قسمة ظلم ظلمنا فيها الناس ولا يكون ذلك الا للقوى الغالب

ادعاء أن الطير من جملة الجيش

والمعنى الذى فى قوله فليس يؤدى شكرها الذئب والنسر مشهور وأول من اخترعه الأفوه حيث قال

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثِقة أن سَتُمار (١)

وقال حميد بن ثور الهلالى يصف ذئبا

إذا ماغدا يوما رأيت غيابة من الطير ينظرن الذى هو صانع

وقال مروان بن أبى الجنوب (٢) فى المعتصم

(١) مار الرجل عياله يميرهم جاءهم بالميرة أى الطعام

(٢) هو ابن مروان بن أبي حفصة وكان يلقب بمروان الأصغر وكان آخر من بقى من آل أبى حفصة ممن يعد فى الشعراء المجيدين وبقى بعده متوج وكان ساقطا بارد الشعر . قال أبو الفرج صاحب الاغانى قال أبو هفان : شعر آل أبي حفصة بمنزلة الماء الحار : ابتداؤه فى نهاية الحرارة ، ثم تلين حرارته ، ثم يفتر ، ثم يبرد وهكذا كانت أشعارهم إلا أن ذلك الماء لما انتهى إلى متوج جمد

ومن حديث مروان الأصغر هذا قال دخلت على المتوكل فمدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة وأنشدته

سقى الله نجدا والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأى والبعد

نظرت إلى نجد وبغداد دونها لعلى أرى نجدا وهيهات من نجد

ونجد بها قوم هواهم زيارتى ولا شىء أحلى من زيارتهم عندى

قال فلما فرغت منها أمرلى بمائة وعشرين ألف درهم وخمسين ثوبا وثلاثة من الظهر (فرس وبغلة وحمار) ولم أبرح حتي قلت قصيدتي التي أشكره فيها

لاتشبع الطير إلا فى وقائعه · فأينما سار سارت خلفه زُمَرا
عوارفا أنه فى كل معترك لايغْمد السيفَ حتى يكثر الجزَرا

وقال بكر بن النَّطاح

وترى السباع من الجوا رح فوق عسكرنا جوانح
ثقة بأنا لانزا ل نَميرُ ساغبها الذبائح

وقال ابن جهور

ترى جوارح طير الجو فوقهم بين الأسنة والرايات تختفق

وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبي

يُطَمِّع الطيرَ فيهم طول أكلهمِ حتى تكادَ على أحيائهم تقع

وكذلك ورد قوله

له عسكرا خيلٍ وطير إذا رمى بها عسكرًا لم تبق إلا جماجمه
أجلتها من كل طاغٍ ثيابُه وموطئها من كل باغٍ ملاغمه [1]
فقد مل ضوءُ الصبح مما تغيره وملَّ سوادُ الليل مما تزاحمه [2]

تخير رب الناس للناس جعفرا وملكه أمره العباد تخيرا
فلما صرت إلى هذا البيت
فأمسك ندى كفيك عنى ولا تزد فقد كدت أن أطغى وأن أتكبرا
قال لى لا والله لاأمسك حتى أغرقك بجودى ..

(١) الأجلة جمع جلال وهو مايجعل على ظهر الدابة والضمير للخيل فى البيت السابق والملاغم ماحول الفم أى أنه يسلب ثياب كل طاغ من الملوك فيتخذ منها أجلة لخيله ويوطىء حوافرها وجه كل باغ منهم

(٢) ما فى قوله مما تغيره مصدرية والتقدير من إغارتك فيه فيكون قدحذف الجار ونصب الضمير بعده وهو شاذ · ويصح إن يكون الفعل من الغيرة والمعنى

سحاب من العِقْبان يزحف تحتها

سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه (١)

واعترض على البيت الأخير أبو سعيد العميدى حيث قال لم يسمع بأن السحابة تسقى مافوقها وجوابه ظاهر(٢)

وقال النابغة

إذا ماغزا بالجيش حلّق فوقه   عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد أيقنّ أن قبيلَهُ   إذا ماالتقى الجمعان أولُ غالب

وقال أبو نواس

يتوخى الطير غُدوته   ثقةً باللحم من جَزَره

وقال مسلم بن الوليد

قدعوّد الطير عاداتٍ وثقن به   فهن يتبعنَه فى كل مرتحَل

وقال أيضا وقد أغرب

أشْرَبتَ أرواح العدا وقلوبها   خوفا فأنفسها إليك تطير

أن الصبح يغار من لمعان سيوفك الذى يغلب ضوءه وكذلك الليل يغار من سواد غبارك الذى يزيد عليه

«١» اراد بسحاب الثانية الجيش . وقد عامل سحابا الاولى معاملة المؤنث مراعاة لكونها جمعا وعامل الثانية معاملة المذكر مراعاة لشبهها بلفظ المفرد والمعنى ان العقبان التى هى كالسحاب تحتها جيش متكاثف أيضا كالسحاب فأذا طلبت العقبان السقيا مكنتها سيوف هذا الجيش

«٢» لعل ظهور الجواب ان الماء لايصعد الى اعلى ولكنه يسقط بطبعه على الارض فتنزل اليه هذه العقبان (والمراد بالماء هنا دماء القتلى)

لو حاكمْتك فطالبْتك بذَحلها شهدت عليك ثعالب ونسور

وكذلك فعل أبو الطيب فانه لما انتهى الأمر إليه وسلك هذه الطريق التى سلكها من تقدمه، خرج فيها إلى غير المقصد الذى قصدوه فأغرب وأبدع(١) فما قال

يفدّى أتمّ الطير عمرا سلاَحه نسورُ الملا أحداثها والقشاعم

وماضرّها خلق بغير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم(٢)

وقال فى موضع آخر

وذى لَجَب لاذو الجناح أمامه بناجٍ ولا الوحشُ المثار بسالم

تمرّ عليه الشمس وهى ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم(٣)

إذا ضوءها لاقى من الطير فُرجة تدوّر فوق البَيض مثل الدراهم

وقال أبو عامر بن أبى مروان بن شهيد الأندلسى

وتدرى سباع الطير أن كماتَه إذا لقيت صِيد الكماة سباع

---

(١) أبدع : أتي بالبدع أى الغريب

(٢) يقول إن نسور الصحراء وهى أطول الطير عمرا تقول جميعا صغيرها وكبيرها لسلاحه فديتك . وقد كفاها المؤونة حتى لو أنها خلقت بغير مخالب لاستغنت بسيوفه فى الحصول على طعامها

(٣) ذو اللجب الجيش . يقول إن هذا الجيش لكثرة رماته لا يسلم من سهامهم طائر يمر أمامهم ولا وحش يسنح بجانبهم وقد حلقت فوق الجيش النسور حتى حجبت ضوء الشمس فإذا رأوها أو نفذ إليهم شعاعها فإنما يكون من خلل ريش هذه النسور

تطير جياعا فوقه وتردها ظُباه الى الأوكار وهى شباع (١)

وقال أبو فراس الحمدانى

وأظمأ حتى يرتوى البيض والقنا وأسغب حتى يشبع الذيب والنَّسر

وقال أبو بكر العطار فغرّب هذا المعنى بعد الابتذال

تظل سباع الطير عاكفة بهم على جثث قد سلّ أنفسها الذعر

وقد عوضتْهم من قبور حواصلا فيامن رأى ميْتا يطير به قبر

وقال أبو تمام أيضا فى هذا المعنى

وقد ظُلِّلَتْ عِقبانُ أعلامه ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

عود الى حديث أبى تمام

وقال أبو تمام وهو بمصر يصف قومه ويفتخر بهم ويذم الدهر ويرثى الشعر

ألا صنع البين الذى هو صانع فأن تك مجزاعا فما البين جازع (٢)

يقول لنفسه ألا صنع البين بأحبتك الذى من عادته أن يصنعه من التفريق بين الأحبة وإخلاء الديار من الجيرة فأن تجزع من فعل البين فهو لايجزع لجزعك ولايشفق عليك فالصبر أولى بك

«١» الصيد جمع أصيد وهو المائل العنق كبرا . الظبى كهدى جمع ظبة وهى واد السيف يقول إن سباع الطير تعلم ان شجعان هذا الجيش كالسباع شدة وافتراسا حين تلاقى شجعان الجيوش الاخرى . وان هذه الطير تطير فوق الجيش وهى جياع ثم تعود إلى أوكارها وقد شبعت من فعل سيوف هؤلاء الشجعان

(٢) الذى مفعول به لصنع

هو الربع من أسماء والعام أربع ... له بلوى خبت فهل أنت رابع[1]

الربع المنزل واللوى ملتوى الرمل ومشرفه وهناك تكون المنازل لصلابته. وخبت موضع بعينه يقول : الذى نظرت إليه هو الربع من ربوع أسماء بلوى خبت وقد أتى عليه عام رابع من وقت خلوه فهل أنت رابع عليه أى معرج تسائله وتقضى ذمامه

ألا إن صدرى من عزائى بلاقع ... عشية شاقتنى الديار البلاقع

البلاقع الخالية. يقول : لما نظرت الى الديار وهى بلاقع شوقتنى وذكرتنى فخلا صدرى من الصبر خلو الديار من الاحبة

كأن السحاب الغر غيّبن تحتها ... حبيبا فما تَرقا لهن مدامع

يقول إن السحاب لزمت هذه الديار بالأمطار فكأنها دفنت بها حبيبا لها فهى تبكى عليه أبدا لا ترقأ مدامعها ولا ينقطع دمعها وجعل السحاب غرا بالبروق

رُبًا شفعت ريح الصبا لرياضها ... إلى الغيث حتى جادها وهو هامع

الربا ما أشرف من الأرض وأحسن ماتكون الروضة فى الربوة يقول تلك ربا جلبت إليها الصبا السحاب فكأنها شفعت للرياض إلى الغيث فشفعها حتى أمطرت جودا

---

(١) انظر إلى أبى تمام كيف جانس بين الربع وأربع ورابع . وأرى أن هذه المحاولة منه حسنة لولا موضع أربع فأنها مجتلبة من أجل الجناس وإلا فالعام الخامس أو السادس مثلا أدخل فى بلى الدار من الرابع وما كان أحسن البيت لو قنع أبو تمام بربع ورابع إذا لعددنا بيته من حسناته

فنشر الضحى غدوًا لهن مضاحك وجنب الندى ليلا لهن مضاجع

يقول هذه الرياض تغدى بأحسن الغدا لأن الضحى نشر عليها نور شمسه فكأنه مضاحك لها والليل يأتى بالندى فيجعل جنبه مضاجعا لها

كساك من الأنوار أصفر فاقع وأبيض نصَّاع وأحمر ساطع [1]

لئن كان أمسى شمل وحشك جامعٌ لقد كان لى شمل بأنسك جامع

يخاطب الديار ، يقول لئن كنت الآن خالية من الأنس مجتمعة شمل الوحش لقد كان لى بالأنس شمل جامع بأنسك إذ كانوا مقيمين فيك

أسىء على الدهر انثناء فقد قضى علىّ بجورٍ صرفه المتتابع

أيرضخنا رضخ النوى وهو مصمت ويأكلنا أكل الدبا وهو جائع

الرضخ دق الشيء وكسره . والمصمت الصلب ، والدبا الجراد

وإنى إذا ألقى بربعى رحله لأذعره فى سربه وهو راتع

يقول اذا نزل بى الدهر يلقى من صبرى على نوائبه مايذعره فى سربه وهو راتع أى مقيم فى مرعاه آمن ، وسربه جماعته

أبو منزل الهم الذى لو بغى القرى لدى حاتم لم يقره وهو طائع

يقول اذا نزل بى هم قريته الصبر وصبرت على مشقته ولو نزل على حاتم مع كرمه لما قراه الا على رغم منه . وقوله أبو منزل الهم أى أنا الذى ينزل به الهم فيقريه . يقال فلان أبو منزلى وأبو مثواى وفلانة أم منزلى وأم مثواى أى التى أنزل بها وأثوى عندها

---

(١) هذا البيت فى الاصل هكذا

كساك من الأنوار أبيض ناصع وأصفر فاقع وأحمر ساطع

وهو مكسور لذلك أثبتنا رواية الديوان

إذا شرعتْ فيه الليالى بنكبة ... تمزقن عنه وهو فى الصبر شارع

وإن قَدِمت يوما عليه رزية ... تلقى شَباهَا وهو بالصبر دارع

شرعت فى الشىء دخلت فيه . وإن قدمت أى إن ألمت به مصيبة تلقى حدها وقد تدرع بالصبر

له همم ماإن تزال سيوفها ... قواطع لو كانت لهن مقاطع

يقول هممه ماضية كالسيوف وقواطع لو وجدت مساعدة من الزمان ومايختبر به قطعها

ألاإن نفس الشعر ماتت وإن يكن ... عداها حمام الموت فهى تنازع

سأبكى القوافى بالقوافى فأنها ... عليها ولم تَظْلِمْ بذاك جوازع

أراعى مُضلات المروءة مهمل؟ ... وحافظ أيام المكارم ضائع

يقول منكرا لتضييع الشعر أيهمل الشعر ويضيع وهو راع لما ضل من المروءة ضابط لها حافظ لأيام المكارم وأصولها

وعاوٍ عوى والمجد بينى وبينه ... له حاجز دونى وركن مدافع

تَرَقَّتْ مُناه طَود عز لو ارتقت ... به الريح فترا لانثنت وهى ظالع

يقول رب متعرض لهجائى وهو فى دناءته كالكلب ترقت مناه الى شرفى . وهو جبل لو أن الريح ترتقى منه مقدار فتر لأعياها ولانثنت عنه وقد ظلعت (١) فكيف يرومه هذا اللئيم . وهذا تعريض ببعض الشعراء كان أغراه عياش بن لهيعة الحضرمى بهجاء أبى تمام وقد أشار الى ذلك فى كلمته التى أولها

---

(١) ظلع كمنع غمز فى مشيته (عرج)

«ذل السؤال شجى فى الحلق معترض» (١) يقول فى أثنائها

«أَظُنُّ عندكَ أقواماوأحسبهم لم يأتلوا فىّ ماأعدواومار كضوا (٢)

يرمونني بعيون حشوُها شرر نواطقٍ عن قلوب حشوهامرض

لولا صيانة عرضي وانتظار غد والكظم حتّمَ علىّ الدهرَ مفترَض

لمافككتُ رقابَ الشعر عن فكرى ولا رقابَهمُ إلا وهم حُيُضُ (٣)

تُ يرمى نباهاتى بخاملةٍ من كلّه لنبالى كلّها غرض»

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم وسمى منهم وهو كهل ويافع

يقول المجد لآبائه أوله وآخره وعرف اسمه فيهم وهو كهل ويافع شاب (٤)

---

(١) وتمام المطلع «من دونه شرق من تحته جرض»

(٢) ركض الراكب الفرس احثها للعدو وأعداها أيضا جعلها تعدو فالفعلان هنا متعديان حذف المفعول فيهما لعدم تعلق الغرض به . ائتلى وألا بمعنى قصر ولم يأل أولم يأتل بمعنى لم يقصر . ومافى ماأعدواومار كضوا مصدرية ظرفية أى أنهم لم يقصروا مدة إعدائهم وركضهم أفراسهم أو مصدرية فقط ويكون المصدر تمييزا . ويقال إن أبا تمام يعرض بابن الأعرابي أحد جلساء الأمير وكان حنقا عليه

(٣) فك الرقبة إطلاق الأسر والمعنى فى مافككت رقاب الشعر عن فكرى أي ماأطلقت الشعر صادرا عن تفكيرى أى ماقلت الشعر . وقوله وهم حيض أى سائلة دماء حيضهم اى نساء فى الضعف والاستكانة أو أننى أعلوهم بسيفى فلا أنزع عنهم إلا وقد سالت دماؤهم من الجروح كما تسيل دماء الحائض وتكون كلمة حيض جمعا لحائض على غير قياس لأن الجمع القياسى حوائض وحيض كركع . والمعنى أنه يقول فيهم شعرا يصيرهم بهذه المثابة وعلى وجه من الوجوه التى ذكرناها

(٤) لعل فى الكلام نقصا وأصله أى شاب وشيخ

سما بِيَ أوس فى السماء وحاتم وزيد القنا والأثرمان ورافع

أوس بن لام بن حارثة الطائى وحاتم الطائى وزيد الخيل وأضافه الى القنا لأنه صاحب حروب ، واياس بن قبيصة الطائى ، وحارثة جدا أوس وهو الذى نزل به امرؤ القيس

وكان إياس ما إياس وعارف وحارثة أو فى الورى والأصامع

نجوم طواليع جبال فوارع غيوث هواميع سيول دوافع (١)

يقول هم فى العلو والشهرة والاهتداء بهم كالنجوم وفى الجلالة والوقار كالجبال وفى الجود كالغيوث والسيول

مضوا وكأن المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

فأيُّ يد فى الجو مُدَّتْ فلم تكن لها راحة من جودهم وأصابع

همُ استودعوا المعروف محفوظ مالنا فضاع وماضاعت لدينا الودائع

يقول لما ذهبوا أوصونا بالمعروف واستودعوه محفوظ مالنا وليس يحفظ المعروف إلا تضييع المال فضاع ولم يضع المعروف لدينا

بَها ليل لو عاينت فيض أكفهم لأيقنت أن الرزق فى الأرض واسع

إذا خفقت بالبذل أرواح جودهم حداها الندي واستنشقتها المطامع

رياح كريح العنبر الغض فى الرضى ولكنها يوم اللقاء زعازع (٢)

«١» وردت كلمتا طواليع وهو اميع فى الأصل طوالع وهوامع فصححناها من الديوان لأن البيت كان مكسورا على رواية الأصل

(٢) خفقت الريح تحركت . أرواح . جمع ريح . الزعازع جمع زعزع وهى الريح التى تزعزع الأشياء وتحركها بعنف

يقول أخلاقهم إذا رضوا طيبة الريح بمنزلة العنبر الغض الطرى ولكنها يوم الحروب تزعزع ماصرت به

إذا طيء لم تطو منشور بأسها فأنف الذى يهدى لها السخط جادع[1]

يقول اذا لم ترض طيء ولم تقبض بأسها وشدتها فقد ذل من تعرض لأسخاطها واصبح مجدوع الأنف . وانما قال جادع على معنى ذى جدع كما قيل عيشة راضية أى ذات رضا

هى السم ماينفك فى كل بلدة تسيل به أرماحهم وهو ناقع

أصارت لهم أرض العدو قطائعا نفوسٌ بحد المرهفات قطائع

قوله هى السم أى طيء للعدو سم لأنها تهلكه والقطائع مااقتطعه المسلمون من أرض العدو والقطائع المقطوعة . يقول اقتطعوا أرض العدو

بكل فتى ماشاب من رَوْع وقعة ولكنه قد شبن منه الوقائع[2]

---

(١) فى الأصل جاذع بالذال ولامعنى له هنا لأن المراد معنى مقطوع والجدع بالدال القطع لذلك غيرناها فى البيت وفى شرح المصنف

وقد أراد أبو تمام أن يجانس بين طيء وتطوى فدل ذلك على أن طيء مأخوذة من الطى وقد ذكروا أن طيئا أبا القبيلة انما سمى كذلك لأنه أول من طوى المناهل أى يبنى حائطها لئلا تنهار وكان اسمه جلهمة ، ثم تكون الهمزة التى فى طيء منقلبة عن ياء لأنه لما اجتمع ثلاث ياآت استثقل ذلك . وقيل أن طيئا سمى بذلك من وطيء الأرض بمعنى مشى عليها

(٢) يصح جعل هذا البيت مثلا لضعف التأليف لأن أبا تمام أخرج قوله شبن منه الوقائع مخرج لغة ضعيفة وهى التى تلحق بالفعل علامة التثنية أو الجمع مع وجود الفاعل اسما ظاهرا

أى لا يرتاع للوقائع فتشيبه ولكن الوقائع ترتاع منه فيشبن من أجله

إذا ماأغاروا فاحتوَوا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

فتعطى الذى تعطيهم البيض والقنا أكفٌّ لإرث المكرمات موانع[1]

هم قوّموا دَرْء الشآم وأيقظوا بنجد عيون الحرب وهى هواجع

الدرء الاعوجاج . يقول بطى استقام أهل الشام ولم يعوجوا عن الطاعة وبهم قامت الحرب من منامها وكانت ساكنة

يمدون بالبيض القواطع أيديا وهن سواء والسيوف قواطع

إذا أسروا لم يأسِر البغى عفوهم ولم يُمسِ عانٍ فيهم وهو كانع

يقول فيهم صفح وعفو اذا قدروا فأن أسروا أسيرا لم يمنعهم البغى والظلم من العفو عنه والأسير فيهم مسرح غير مغلول والكانع المغلول .

إذا أطلقوا عنه جوامع غله تيقن أن المنّ أيضا جوامع

يقول اذا منوا على الأسير خلوا عنه الأغلال علم أن ذلك المن غل فى عنقه لأن النعمة غل فى عنق المنعم عليه

إذا صارعوا عن مفخر قام دونهم وخلفهم بالجِد جَدٌّ مصارع

يقول اجتمع لهم مع العقل جد سعيد وحظ فأن صارعهم مفتخر عن مفخر أعانهم جدهم عليه فقام مصارعا خلفهم وأمامهم

علوا بجنوب مُوجَدات كأنها جنوب فيول مالهن مضاجع

(١) أى تصونون أرث المكرمات أن يعتدى علية فتبطل المكرمات . فهم يصونونه بالبذل وإتلاف المال

موجدات قويه (١) أى يدأبون فى طلب المكارم ولا ينامون

كشفت قناع الشعر عن حر وجهه　　وطيرته عن وكره وهو واقع

بغر يراها من يراها بسمعه　　ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاسع (٢)

يود ودادا أن أعضاء جسمه　　إذا أنشدت شوقا اليها مسامع

وقال فى هذا الشأن من قصيدة أخرى

كم ذقت فى الدهر من عسر ومن يسر

ومن بني الدهر من رأس ومن ذنب (٣)

أغضى اذا صرفه لم يغض أعينه　　عني وأرضى اذا مالج فى الغضب (٤)

وإن نكبت بجد من حزونته　　سهلته فكأنى منه فى لعب (٥)

مقصرا خطوات اللبث فى عذلى　　علمى بأنى ماقصرت فى الطلب (٦)

---

(١) يقال آجده أى قواه وبناء موجد أى محكم وناقة أجد كعنق موثقة الخلق متصلة فقار الظهر خاص بالاناث

(٢) بغر أى بقصائد غر واضحة

(٣) أى جربت لين الدهر وشدته وكرام الناس ولئامهم

(٤) أى أنه كان يصابر الدهر فيرضى اذا غضب الدهر عليه ويغض بصره إذا حدق فيه الدهر

(٥) الجد ضد الهزل والمعنى فى قوله بجد من حزونته أى بشيء شديد من مصائب الدهر

(٦) فى الاصل خطوات الليث بالياء ولامعنى لها وانما هى اللبث بالباء والمعنى اننى فعلت ما اقدر عليه وأبليت عذرا حتى إذا حاولت لوم نفسى لاأستطيع أن أطيل هذا اللوم لظهور عذرى

باى وَخْد قلاصٍ واجتياب فَلاً إدراكُ رزق اذا مالج فى الهرب (١)
ماذا على اذا مالم يزُل وَتَرى فى الرمى إن زُلْن أغراضى فلم أصب (٢)
إذا عنيت بشأو خلت أنى قد أدركته أدركتنى حرفة الأُدب (٣)
بغربة كاغتراب الجود إن برقت بأوبة وَدَقَتْ بالخلف والكذب (٤)

«١» الوخد الاسراع . القلاص جمع قلوص وهى الناقة الشابة المطيقة للسير

(٢) الوتر ما يعترض فى القوس وعنه ينطلق السهم ، الاغراض جمع غرض وهو هنا الهدف . والمعنى ظاهر

والبيت مثال لضعف التأليف لجريه على اللغة الضعيفة فى اثبات علامة التثنية والجمع مع ظهور الفاعل

«٣» حرفة الادب . قال الخليل: حرفة الادب آفة الادباء . وقيل حرفة الادب حرقة وقال ابن بسام فى رثاء ابن المعتز

لله درك من ملك بمضيعة ناهيك فى العقل والآداب والحسب
مافيه لو ولا ليت فتنقصه وإنما أدركته حرفة الأدب

وقال ابن الساعاتي

عفت القريض فلا أسمو له أبدا حتى لقد عفت أن أرويه فى الكتب
هجرت نظمى له لامن مهانته لكنها خيفة من حرفة الأدب

وقال ابن قلانس

لاأقتضيك لتقديم وعدت به من عادة الغيث أن يأتى بلاطلب
جاهك عنى غير نائمة وإنما أنا أخشى حرفة الادب

«٤» الجود المطر الغزير . الودق نزول المطر يقول اغترب كما يغترب السحاب المملوء بالمطر (ولا شك ان السحاب يسير بالريح مسافات بعيدة) فأذا قرت أوبتي رجعت بخيبة وكذب من الذى وعدنى

وخيبةٍ نبعت من غيبة شَعثت ... بأنحُسٍ طلعت فى كل مضطرب

ما آب من آب لم يظفر بحاجته ... ولم يغب طالب للنجح لم يخب(١)

بُعداً لمن لم يقل بُعداً لفائدة ... تقربت لم يقربّها ذوو الأدب

مدائح أبى تمام فى خالد بن يزيد

ولأبى تمام عدة مدائح فى خالد بن يزيد بن مَزيدبن زائدة بن مطر بن شُرَيك بن قيس بن شَراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيبانى منها القصيدة التى أولها

لقد أخذتْ من دار ماوية الحِقْب ... أنُحْل المغانى للبلى هى أم نَهْب(٢)

وعهدى بها إذ ناقضُ العهدِ بدرُها ... مراحُ الهوى فيها ومسرحه الخِصْب(٣)

---

(١) لا يستحق اسم الأوبة إلا كل من ظفر بحاجته ولا يعد غائبا من سيحقق طلبه وينال أمنيته

(٢) الحقب بالضم المدة الطويلة قيل ثلاثون سنة وقيل ثمانون وقيل لاحد لها والحقب بالكسر أصله حقب كعنب خفف بتسكين العين وهو جمع حقبة كقطعه . النحل بالضم الشيء المنحول أى المعطى والاضافة فى قوله نحل المغاني بيانية أى النحل التى هى المغانى . النهب بالفتح الشيء المنهوب أى المأخوذ بغير رضا صاحبه (الغنيمة) . والمعنى أن الايام أخذت من دار ماوية وفعلت بها الأفاعيل فهل هذه الدار قدمت للبلى على سبيل العطية أم هو انتهبها انتهابا وأخذها استلابا

(٣) بدر مبتدأ مؤخر وناقض خبر واضافته من اضافة اسم الفاعل لمفعوله ومراح مبتدأ ثان بعد عهدي الذى هو مبتدأ أول وخبر الثانى الجار والمجرور

الحقب السنين وقوله أنحل أى أهبة وقوله اذ ناقض العهد أى اذا كانت ماوية الناقضة العهد بدر تلك الدار

مضوا وهمُ أوتاد نجد وأرضها ... يُرَون عظاما كلما عَظُم الخطب

وما كان بين الهَضْب فرق وبينهم ... سوى أنهم زالوا ولم تزل الهَضْب [1]

لهم نسب كالفجر مافيه مسلك ... خفِيٌّ ولا وادٍ عَنودٌ ولا شِعْبُ

فياوَشَل الدنيا بشيبان لا تَغِضْ ... ويا كوكب الدنيا بشيبان لا تَخْب [2]

فما دبَّ إلا فى بيوتهم الندى ... ولم تَرْبُ الا فى حجورهم الحرب

أولاك بنو الأحساب لولا فعالهم ... درجن فلم يوجد لمكرمة عَقْب [3]

لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد ... وحيد من الأشباه ليس له صحب [4]

وكلمة مسرحه معطوفة على مراح وتقدير البيت عهدى بها مراح الهوى ومسرحه الخصب فيها إذ بدر هذه الدار هو ناقض عهد المودة . وقد ظهر المعنى

«١» الهضب بالفتح اسم جنس جمعى لهضبة اما جمعها فهضب كعنب وهضاب

«٢» الباء بشيبان للمقابلة مثل قولك اشتريته بألف أى أن شيبان هى الوشل الباقى من كرم الدنيا كأنه قال ياوشل الدنيا المصور فى صورة شيبان ابق حتى يكون بقاؤك رحمة للناس الخ

(٣) ألاك مقصور أولئك . درج القوم انقرضوا . العقب بالفتح الولد كالعقب ككتف

(٤) ذوقار ماء قريب من البصرة وكان بين العرب والفرس فيه قتال وكان سببه ان كسرى استقدم إليه النعمان بن المنذر وغدر به وقد كان مع كسرى يحارب الى جنبه إياس بن قبيصة واليه على الحيرة فانتصرت العرب وكانت قد تضامت

به علمت صُهْب الأعاجم أنه　　به أعربت عن ذات أنفسها العُرب[1]

هو المشهد الفضل الذى ما بجابه　　لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صلب

أقول لأهل الثغر قد رُئب الثأى　　وأُسبغت النعماء والتأم الشعب

الثأى الفساد والرؤبة ما أصلح به[2]

فسيحوا بأطراف الفضاء وأربعوا　　قنا خالد من غير درب لكم درب[3]

وتآزرت وكان رئيس بنى شيبان هانئ بن قبيصة الذى اودعه النعمان سلاحه وابنته هندا وله فى يوم من أيام هذه الحرب خطبته المشهورة : يامعشر بكر هالك معذور خير من ناج فرور الخ

(١) يقال للاعاجم صهب السبال والصهبة حمرة أو شقرة فى الشعر والسبال جمع سبلة كورقة وهى ما على الشارب من الشعر أو طرفه وقد كناهم العرب بهذا لامتيازهم بهذا اللون فى شعرهم غالبا وأعربت عن ذات أنفسها أى أوضحت وبينت حقيقتها

(٢) حقا ان الرؤبة ما أصلح به الشىء ولكن كان الأولى أن يقول الرأب الاصلاح

(٣) يقول للعرب بعد انتصاركم على الفرس اذهبوا حيثما شئتم من أطراف الارض فأنتم آمنون وأربعوا مواشيكم أى مرعي فلا يستطيع أحد منعكم فأن قنا خالد طريق لكم إلى كل ما تريدون إذا انسدت المسالك والمراد أن رماح خالد الممدوح تسهل لهم كل صعب وتعبد كل وعر وأنا أعد هذا من أرقى أمثلة التخلص التى يتوجها أبو تمام بقوله

تقول فى قومس قومى وقد أخذت　　منا السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا　　فقلت كلا ولكن مطلع الجود

فتى عنده خير الثواب وشره ومنه الإباء الملح والكرم العذب

أشمُّ شُرَيْكىٌّ يسير أمامه مسيرة شهر فى صوائفه الرُّعب[١]

الأشم المرتفع الأنف وهو مثل فى العزة وشريكى منسوب الى شريك أحد أجداد خالد والصوائف الكتائب التى تغزو فى الصيف

ولما رأى توفيل راياتك التى اذا ما اتلأبت لا تقاومها الصلب[٢]

توفيل ملك الروم والصلب جمع صليب

تولّى ولم يَألُ الردى فى اتباعه كأن الردى فى قصده هائم صب[٣]

كأن بلاد الروم عُمَّتْ بصيحة فصمت حشاها أو رغا وسطها السَّقْب

يريد لما عقروا ناقة صالح عليه السلام ورغا السقب ، أهلكوا

غدا خائفا يستنجد الكتب مُذْعِنًا اليك فلا رُسْل ثنتك ولا كتب

مضى مدبرا شطر الدَّبور ونفسه على نفسه من سوء ظن بها إلب[٤]

جفا الشرقَ حتى ظن من كان جاهلا بدين النصارى أن قبلته الغرب

---

(١) فى البيت مبالغة شديدة جدا فهو يقول ان الرعب منه يتقدمه بشهر إذا سار بجيوشه . والصوائف جمع صائفة وهى غزوة الروم لأنهم كانوا يغزون صيفا لمكان البرد والثلج

(٢) اتلأبت تتابعت هزائمها

(٣) ألا يألو قصر . تولى ذهب والمراد هنا انهزم

(٤) الدبور الريح التى تهب جنوبا ، يقال هم ألب عليه بالكسر والفتح أى مجتمعون على ظلمه يقول : إنه من سوء الظن ومما ملكه من الخوف ظن ان نفسه تترصد لنفسه لتوقعه فى المهلكة

رددتَ أديم الغزو أملس بعدما غدا ولياليه وأيامه جُرب [١]
بكل فتىً ضربٍ يعرض للقنا مُحيّا مُحلّى حليه الطعن والضرب [٢]
جُعلتَ نظام المكرمات فلم تدر رحا سُودَدٍ إلا وأنت لها قطب
اذا افتخرت يوما ربيعة أقبلت مُجَنّبتَيْ مجد وأنت لها قلب [٣]
يجف الثرى منها وتُرْبُك لين وينبو بها ماء الغمام وما تنبو
بجودك تبيض الخطوب وإن دجت وترجع عن ألوانها الحِجج الشُّهْب [٤]

---

(١) الروايات الأخرى الغزو وهنا كانت العز ولكن الأولى هي المناسبة فلذلك عددنا رواية الأصل مصحفة عنها. يقول إنك أعدت للغزو جميل منظره بعد أن كان قد شوه فصار كالأجرب

(٢) يقول التبريزى أن الأشبه بصناعة الطائى أن تنون كلمة فتى أى فتكون ضرب وصفالها والضرب هو الخفيف اللحم الناهض فى الامور ويصح أن تكون على الاضافة كما يقال فتى حرب ونحن نوافق التبريزى وإن لم يشرح وجه ماقال ، لأن جعل الكلام على الوصف أقوى فى الجرس لوجود تنوينين بدل تنوين واحد ثم هو من جهة أخرى يجعل لكلمة ضرب معنى غير معناها القريب المتداول وهو الضرب بالسيف وأبو تمام مغرم بالاغراب مولع بالشدة فى قوله ولعل هذا التعليل هو الذى كان يضمره التبريزى رحمه الله

(٣) يقول ان ربيعة كلها اذا جاءت للمفاخره على هيئة جيش كنت أنت قلبه يريد أنه أولى بالفخر من غيره لان قلب الجيش يكون فيه كبشه وصناديده

(٤) الحجج جمع حجة وهى السنة . الشهب جمع شهباء وهى البيضاء يشوبها سواد . ويروى فى الوانها وعن ألوانها . والمعنى إن الخطوب اذا أظلمت وحار فيها الناس كشف ظلامها بجوده فتصبح بيضاء ناصعة البياض وينقلب بياض السنين المجدبة الى خضرة كأن جوده غيث نبت به الكلأ فعم الناس خيره هذا

هو المركب المدنى الى كل سُودَد وعلياء إلا أنه المركب الصعب[١]

وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل فسار اليهاوفى صحبته أبو الشمقمق فلما دخلها تشبث لواؤه فى سقف باب المدينة فاندق فتطير خالد من ذلك فأنشده أبو الشمقمق ارتجالا

ماكان يندق اللواء لريبة تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح أضعف متنَه صغرُ الولاية فاستقل الموصلا[٢]

فبلغ ذلك المأمون فكتب إليه قد زدنا فى ولايتك ديار ربيعة كلها لكون رمحك استقل الموصل

موت خالد بن يزيد

ولما انتقض أمر أرمينية فى أيام الواثق جهز اليها خالد فى جيش فاعتل فى الطريق ومات فى سنة ثلاثين ومائتين ورثاه أبو تمام بعدة قصائد منها

على رواية عن ألوانها. أما على رواية فى ألوانها . فالمعنى هو هو ويكون نظير قولك رجع فلان فى هبته أى عدل عنها فهذه الحجج البيض من الجدب ترجع فى هذا البياض أى تعدل عنه الى الخضرة أو السواد وروى شطر البيت هكذا (وتسود من إدراره الحجج الشهب) والمراد كثرة النبات وغلبة الخصب حتى تصير الخضرة حوة (قريبة من السواد)

(١) يريد بالضمير (فى قوله هو المركب) المجد أى أن المجد يصل بك الى كل شرف ولكنه مركب صعب لايحتمله إلا كل جلد مغرم بالوصول الى غايته

(٢) فى حاشية النسخة الاصلية مايأتى :
منه أخذ المتنبي قوله فى سقوط الخيمة

وما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل

ماتت ربيعة لا بل ماتت العرب ... وحل بالمكرمات الويل والحرَب

لم يوحش الله دنياه وساكنها ... من خالد وله فى خلقه أَرَب (١)

أضحت سماء مَعَدٍّ بعد خالدها ... محجوبة الشمس حتى تنشر الكتب (٢)

أنعى الى الجود والمعروف ربَّهما ... ماراح للجود والمعروف مكتسب

اليوم مات يزيدٌ حق ميتته ... واليوم حل بحيٍّ قومك السَّلَب

قد كان غايةَ ماتخشى وتحذره ... من الحوادث أن تغتالك النُّوب

واليوم أنفسُنا للدهر آمنةٌ ... أَنْ ليس بعدك خطب منه يُرتقب

يامُوتِم الجود دون الناس كلهم ... هيهات بعدك لايحنو عليه أب (٣)

ماحل رزؤك الا بالرجاء فما ... فى الأرض بعدك للراجين مطَّلب (٤)

فاذهب عليك سلام الله من ملك ... مابعد مَهْلِكهِ رَغْب ولا رَهَبُ (٥)

وقال فيه من أخرى

---

(١) الارب : الحاجة والمعنى أن الله حين قبض إليه خالدا كان قد أراد بالدنيا شرا ولم تعد موضع عنايته ورحمته

(٢) حتى تنشر الكتب أى حتى تقوم القيامة فيأخذ كل كتابه بيمينه

(٣) أيتمه صيره يتيما واسم الفاعل موتم كمكرم

(٤) أى ان موتك لم تقع المصيبة فيه الا على الرجاء والراجين والجود ومنتظريه فليس بعدك فى الدنيا رجل يقصد

(٥) الرغب بالفتح وبالضم الرغبة والرهب بالضم والفتح والتحريك الرهبة

أَأللهُ إنى خالد بعد خالد وناس سراج الملك نجم المحامد(١)
ألا غَرْبُ دمع ناصرلى على الأسى ألا حرشعرفى الغليل مساعدى(٢)
فلم تَكْرُمِ العينان إن لم تسامحا ولا طاب فرع الشِّعر إن لم يساعد(٣)
لتبك القوافى شجوَها بعد خالد بكاء مَضلات السماح نواشد(٤)

(١) ننقل لك ماقاله التبريزى رحمه الله فى تعليقه على هذا البيت قال: يجوز نصب اسم الله سبحانه وهو أجود الوجهين ، ويجوز خفضه ونصبه على إضمار فعل ، وخفضه على تقدير حرف القسم اه ولم أفهم من هذا الكلام شيئا وحاولت تقدير الفعل الذى يقول عنه فلم أوفق إليه . ولم أجد المعنى يستقيم على القسم الذى يخرج عليه مع الخفض أما أنا فأقول الهمزة الاولى للنداء والثانية همزة أل قطعت وذلك جائز فى نداء لفظ الجلالة تقول يأألله فى بعض الوجوه . ويكون الكلام على تقدير استفهام مراد به التعجب أو التحزن والمعنى ياالله هل أبقى بعد موت خالد فأنساه وقد كان سراج الملك . ويجوز ان تكون الهمزة الاولى للاستفهام والثانية للنداء وتكون همزة ال فى لفظ الجلالة قد حذفت وهذا بعض الوجوه فى ندائه ويكون المعنى كالسابق تماما غير ان الاستفهام هنا يكون ظاهرا لا مقدارا . وعلى كل تقدير من هذين يكون لفظ الجلالة مبنيا على الضم لانه علم مفرد

(٢) الغرب عرق فى العين يسقى لاينقطع أو هو الدمع او مسيله. الحر من كل شىء خياره . الغليل حرارة الجوف.

(٣) لا تعد العينان كريمتين ان لم يكن منهما مسامحة وتساهل فى امر الدمع وكذلك لا يكون الشعر طيب الاصل اذا لم يساعد

(٤) يقال بكت شجوها فتكون كلمة شجو مفعولا مطلقا لبكى لانها فى معنى مصدره كأنه قيل بكت بكاءها وبكاء فى الشطر الثانى بدل مطابق لشجو لانه مرادف له . أضل البعير فقده . ونشده كنصر طلبه بعد ضلاله . والمعنى ظاهر

لكانت عَذارِيها إذا هى أبرزت ۝ لدى خالدمثل العذارىالنواهد[١]

تقلص ظل العُرف عن كل بلدة ۝ وأطفىء فى الدنيا سراج القصائد

فياخير مرحول اليه وراحل ۝ وياخير موفود اليه ووافد

وياماجدا أوفى به الموت نذره ۝ فأشعر رَوْعا كل أروع ماجد[٢]

غدًا يمنع المعروفُ بعدكَ دَرَّه ۝ وتَغْدِر غدران الأكف الجلامد[٣]

لأَبْرحتَ ياعام المصائب بعدما ۝ دعاك بنو الآمال عام الفوائد[٤]

لقد نهش الدهرُ القبائلَ بعده ۝ جميعا بناب يقطُر السم حارد[٥]

فجلل قحطا آلَ قحطان وانثنت ۝ نزار بمنزور من العيش جامد[٦]

---

(١) العذارى مقصور والعذاري منقوص جمع عذراء وهى البكر والمراد بها هنا القصائد التى كان يمدحه بها

(٢) كأن الموت نذر ليفجعن كل الناس فى أنفسهم وأحبائهم فلما وفى بنذره فى خالد كان لموته خوف حل فى قلب كل شجاع ماجد

(٣) الدر اللبن . الغدران جمع غدير وهو مستنقع الماء.والمعنى ظاهر ولكن اللفظ متكلف اذ من أجل الجناس أباح لنفسه أن يجعل للاكف الجلامد غدرانا تغدر. والواقع انه لاتكون جلامد حتى يمتنع كونها غدرانا ولكن الجناس هو الذى جعل ذلك جائزا فى نظره

(٤) يقال أبرح فلان رجلا وأبرح فارسا اذا تعجبت من رجولته وفروسته يقول عجبا لك ياعام المصائب وقد سماك الناس كذلك بعد أن كنت تسمى عام الفوائد

(٥) الحارد الغاضب (٦) العرنين ما بين العينين من الانف . والمارن طرف الانف اللين يقول لقد انتزع منا رجل كان عرنينا أومارنا بين الناس أى فى أعلى منزلة بينهم إذ العرنين والمارن اعلى مافى الوجه وهو فى الراس وهى أشرف أعضاء الانسان

على أى درنين غَلِبْنَا ومارن ... وأيةُ كفٍ فارقتنا وساعد
فياوحشة الدنيا وكانت أنيسة ... ووحدة من فيها لمصرع واحد
مضت خيلاء الخيل وانصرف الردى ... بأنفَس نفس من مَعَدٍّ ووالد
فكم غال ذاك الترب لى ولمعشرى ... وللناس طُراً من طريف وتالد (١)
أشيبانُ لاذاك الهلال بطالع ... علينا ولا ذاك الغمام بعائد
أشيبانُ لاجَدّى ولاجَدٌّ مُرتَجٍ ... ولا جَدّ شيء يوم ولّى بصاعد
أشيبانُ عمت نارُها من مصيبة ... فما يُشتَكى وَجْدٌ إلى غير واجد
لئن أقرحت عيني صديق وصاحب ... لقد زعزعت ركني عدو وحاسد
لئن هى أهدت للأقارب ترحة ... لقد جللت تربا خدود الأباعد
فما جانب الدنيا بسهل ولاالضحى ... بطلق ولا ماء الحياة ببارد

يزيد بن مَزيد الشيبانى

وكان أبو خالد يزيد بن مزيد من الأمراء المشهورين والشجعان المذكورين ولما خرج فى خلافة الرشيد ، الوليد بن طريف الشيبانى وحشد جموعا كثيرة أرسل اليه هرون الرشيد ، أبا خالد يزيد من مزيد الشيبانى فجعل يحايله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا إنه يراعيه لأجل الرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر مايكون من أمره . فوجه إليه الرشيد كتابا يقول فيه لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به

(١) لى ولمعشر متعلقان بطريف أو بمحذوف حال منه

ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك إليه . فلقي الوليد واصطفت الخيلان وتزاحف الناس فلما نشبت الحرب ناداه يزيد ياوليد ماحاجتك إلى التستر بالرجال ابرز إلى فبرز الوليد وبرز إليه يزيد ووقف العسكران وتطاردا ساعة من النهار فأمكنت يزيد فيه الفرصة فضرب رجله فسقط فاحتز وارأسه. ولما قتل الوليد بن طريف لبست أخته فارعة بنت طريف عدة وبها حملت على جيش يزيد فقال دعوها ثم خرج فضرب بالرمح فرسها وقال اعزبي غضب الله عليك فانصرفت وكانت تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر ورثته بقصيدة أجادت فيها منها

فياشجر الخابور مالك مورقا　　　كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لايحب الزاد إلا من التقى　　　ولا المال إلا من قنا وسيوف

حليف الندى ماعاش يرضى به الندى　　　فأن مات لايرضى الندى بحليف

عليك سلام الله وقفا فأنني　　　أرى الموت وقّاعا بكل شريف(١)

ولما انصرف يزيد إلى باب الرشيد قدمه ورفع مرتبته وقال له يايزيد ما أكثر أمراء المؤمنين في قومك فقال نعم إلا أن منابرهم الجذوع

قال أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة مسلم بن الوليد الانصارى . قال يزيد ابن مزيد أرسل إلى الرشيد يوما في وقت لايرسل فيه الى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لأمر إن رآه فلما رآني ضحك وقال من القائل

---

(١) لايقال عليك السلام الا في تحية الموتى . ذكروا أن أبا مكعب قال اتيت رسول الله فأنشدته

يقول ابو مكعب صادقا　　　عليك السلام أبا القاسم

فقال يا أبا مكعب عليك السلام تحية الموتى

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة   لا يأمن الدهرَ أن يُدْعَى على عجل

فقلت لا أعرفه ياأمير المؤمنين فقال سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله

ومدحه (يزيد) أبو الفضل منصور بن سلمة بقصيدة منها

لو لم يكن لبني شيبان من حسب   سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

ماأعرفَ الناسَ أن الجود مدفعة   للذم لكنه يأتى على النشب

ولما توفى يزيد بن مزيد قال فيه مسلم بن الوليد قصيدة منها

نفضت بك الأحلاسُ آمال الغنى   واسترجعت زوّارَها الأمصارُ

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة   أثني عليها السهلُ والأوعار

وذكر المرزبانى فى كتاب معجم الشعراء أن عمير بن عامر مولى يزيد هو القائل .

نعم الفتى فَجعت به إخوانَه   يومَ البَقيع حوادثُ الأيام

سهل الفِناء إذا حللت ببابه   طلق اليدين مؤدب الخدام

وإذا رأيت صديقه وشقيقه   لم تدر أيهما ذوو الأرحام

وأورد أبو تمام فى الحماسة لأبي منصور النمرى فى يزيد

أبا خالد ما كان أدهى مصيبة   أصابت مَعداً يوم أصبحت ثاويا

لعمرى لئن سرّ الأعادى فأظهروا   شماتا لقد مروا بربعك خاليا

فأن تك أفنته الليالى وأوشكت   فأن له ذكرا سيُفني اللياليا

ورثاه محمد بن عبد الله بن أيوب التيمي بقصيدة منها

فأن يَهلِك يزيد فكل حي فريس للمنية أو طريد
لقد عزّى ربيعةَ أن يوما عليها مثل يومك لايعود

ومثل البيت الأخير قول المطيع بن إياس يرثى يحيى بن زياد الحارثى

فاذهب بما شئت إذ ذهبت به مابعد يحيى فى الرزء من ألم

وقول أبى نواس فى الأمين

وكنت عليه أَحذرُ الموتَ وحده فلم يبق لى شىء عليه أحاذر

وقول ابرهيم الصولى يرثى ابنه

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وكور هذا المعنى أبو تمام فى القصيدة التى مرت فى رثاء خالدمعالأجادة. وكان معن بن زائدة وهو عم يزيد يقدمه على أولاده فعاتبته أمرأته فى ذلك وقالت لم تقدم يزيد ابن أخيك وتؤخر بينك ولوقدمتهم لتقدموا ولورفعتهم لارتفعوا فقال لها سأريك ماتبسطين به عذرى (١) . ياغلام اذهب فادع حسانا وزائدة وعبدالله وفلانا وفلانا حتى أتى على جميع ولده فلم يلبثوا أن جاءوا فى الغلائل (٢) المطيبة والنعال السندية وذلك بعد هدأة (٣) من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال ياغلام ادع يزيد فلم يلبث أن دخل عجلا وعليه سلاحه فوضع رمحه بباب المجلس ثم دخل فقال معن ماهذه الهيئة ياأبا الزبير فقال جاءنى رسول الأمير فسبق إلى وهمى أنه يريدنى لمهم فلبست سلاحى وقلت إن كان الأمر

(١) بسط العذر قبله
(٢) الغلائل جمع غلالة وهى الثوب الرقيق
(٣) أى حين هدأ الليل أو هو من أول الليل إلى ثلثه

كذلك مضيت ولم أعرج وإن كان غير ذلك فنزع هذه الآلة عنى أيسر شىء فقال معن انصرفوا فى حفظ الله فلما خرجوا قالت له زوجته قد تبين لى عذرك وإلى هذه الحال أشار مسلم فى البيت الذى أنشده الرشيد ليزيد

معن بن زائدة

وكان معن بن زائدة جوادا شجاعا جزل العطاء كثير المعروف ممدوحا مقصودا وكان مروان بن أبى حفصة مخصوصا به وأكثر مدائحه فيه فمن قصيدة له فيه

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لهم فى بطن خفّان أشبل (١)
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهمُ بين السِّماكين منزل (٢)
بهاليلُ فى الأسلام سادوا ولم يكن كأولهم فى الجاهلية أول (٣)
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا
أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا فى النائبات وأجملوا

وكان معن بن زائدة فى أيام بنى أمية متنقلا فى الولايات منقطعا إلى أبى خالد يزيد بن أبى المثنّى عمر بن هُبيرة الفزارى أمير العراقين من جانب

---

(١) بطن خفان موضع مشهور بآساده

(٢) يمنعون الجار أى يحفظونه . السماكان نجمان يسمى أحدهما السماك الأعزل والآخر السماك الرامح وسبب التسمية ان للرامح شعاعا ممتدا كأنه رمح قد أمسك به وقد ذكرها ابو العلاء المعرى فقال

سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل

(٣) بها ليل جمع بهول بضم الباء وهو السيد الجامع لكل خير

مروان الحمار آخر ملوك بنى أمية وخرج قحطبة بن شبيب أحد دعاة بنى العباس لما ظهر أمرهم بخراسان وقصد محاربة يزيد بن عمر بن هبيرة وجرت بينهما حروب يطول شرحها . وحاصل الأمر أن معن بن زائدة ضرب قحطبة بن شبيب بالسيف على رأسه فوقع فى الماء فغرق وقام ولده الحسن بن قحطبة مقامه على الجيوش الخراسانية ثم استظهر الحسن بن قحطبة على يزيد بن عمر بن هبيرة فهزمه ولحق بمدينة واسط فتحصن بها فعند ذلك وجه السفاح أخاه أبا جعفر المنصور لحرب ابن هبيرة بواسط وجرت السُّفَر بينهما فى أمر الصلح فأعطاه الأمان و كتب به كتابا وأنفذه المنصور إلى السفاح فأمر بأمضائه وكان السفاح لا يقطع أمرا دون أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة وكان لأبى مسلم عين على السفاح يكتب إليه بأخباره فكتب أبو مسلم إلى السفاح : إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد، لا والله لا تصلح طريق فيها ابن هبيرة . وألح السفاح على المنصور يأمره بقتله وهو يراجعه فكتب إليه والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك ثم يقتله فازمع على قتله . وبعث المنصور من ختم بيوت الأموال ثم بعث إلى وجوه من مع ابن هبيرة فحضروا فقتلهم المنصور وقتل ابن هبيرة وهو ساجد وقتل ابنه وكاتبه ومن كان معه وبعث المنصور برأسه إلى السفاح قال بعض الخراسانيين لبعض أصحاب ابن هبيرة لما حمل رأسه ما أكبر رأس صاحبكم فقال له الرجل : أمانكم له كان أكبر

يوم الهاشمية

وكان معن بن زائدة غائبا وقت قتل ابن هبيرة فاستتر خوفا من المنصور ولم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور ووثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة و كان معن متواريا

بالقرب منهم فخرج متنكرا معتما ملثما وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور قال له من أنت فكشف لثامه وقال أنا طلبتك ياأمير المؤمنين معن بن زائدة فأمنه وأكرمه وجعله من خواصه ودخل معن على المنصور فى بعض الأيام فلما نظر إليه قال يامعن تعطى مروان ابن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زيدت به   شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا ياأمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله فى هذه القصيدة

مازلت يوم الهاشمية معلنا   بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه   من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يامعن . وقال له يوما يامعن ماأكثر وقوع الناس فى قومك فقال ياأمير المؤمنين

إن العرانين تلقاها محسدة   ولا ترى للئام الناس حسادا

عود الى أخبار معن

ودخل على معن بعض الفصحاء يوما فقال له : إنى أستشفع إليك بقدرك وأستعين عليك بفضلك فأن رأيت أن تضعنى من كرمك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل وإن لم أكرم نفسى عن مسألتك فأكرم وجهى عن ردك .

وولى سجستان فى آخر أمره وكان فى داره صناع يعملون له شغلا ودخل بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم ولما قتل رثاه الشعراء بأحسن المراثى

مراثى الشعراء فى معن

فمن لامية مروان بن أبى حفصة المشهورة قوله

مضى لسبيله معن وأبقى   مكارم لن تبيد ولن تُنالا
كأن الشمس يوم أصيب معن   من الأظلام ملبسة جلالا [1]
فأن يعلُ البلاد له خشوع   فقد كانت تطول به اختيالا
أصاب الموتُ يوم أصاب معنا   من الأحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهمو لمعن   إلى أن زار حفرته عِيالا
ولم يك طالب للعُرْف ينوى   إلى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل   ويسبق فيضُ نائله السؤالا
فليت الشامتين به فَدَوه   وليت العمر مُدَّله فطالا

قال ابن المعتز فى طبقات الشعراء : دخل مروان بن أبى حفصة على جعفر البرمكى فقال له أنشدنى مرثيتك فى معن فلما أنشدها جعل جعفر يرسل دموعه على خديه ثم قال له هل أثابك عليها أحد من ولده قال لا فقال لو كان معن حيا وسمعها كم كان يثيبك قال اربعمائة دينار . قال جعفر فأنا أظن أنه كان لا يرضى لك بذلك قد أمرنا لك عن معن بالضعف مما ظننت فاقبض من الخازن ذلك قبل أن تنصرف

وذكر أبو تمام فى الحماسة أبياتا لحسين بن مطير الأسدى يرثى بها معن بن زائدة وهى :

---

(١) الجلال من الامتعة البسط والاكسية ونحوها جمع جل بالكسر والمراد أن الشمس غطيت بشىء كثيف فلم يظهر ضوءها

ألما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادى مَرْبعاثم مَرْبعا[1]

فياقبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مُتْرعا

وياقبر معن أنت أول حفرة

من الأرض خطت للمكارم مضجعا[2]

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا[3]

فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا[4]

عود الى أخبار أبى تمام

وقال يمدح خالد بن يزيد من قصيدة أولها

طلل الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئى بذاك شهيدا[5]

---

(١) الغوادي جمع غادية وهى السحابة تنشأ غدوة . المربع المكان يقيم فيه القوم زمن الربيع والمعنى أنه يدعو لقبره بأن يسقيه السحاب جزءا جزءا ويصح أن تكون مربع اسم زمان بمعنى الربيع فيكون الدعاء بالسقيا عاما فعاما

(٢) رواية حماسة أبي تمام للسماحه بدل للمكارم

(٣) بلى حرف جواب تختص بالنفى وتفيد إبطاله سواء أكان مجردا من الاستفهام مثل قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن أم مقرونا بالاستفهام مثل اليس زيد بقائم فتقول لى اى هو قائم . وهى هنا مسبوقة بنفى مقدر لان الاستفهام فى قوله كيف واريت جوده مراد به النفى إذ المعنى إنك لم توار جوده بلى قد وسعت الجود وهو ميت

(٤) الجدع القطع والاجدع المقطوع كالابتر بمعنى المبتور

(٥) عفا الاثر : زال . يقول أيها الطلل الذى كان اقوم مجتمعين لقد امحى أثرك وأنت مرضي الامر مشكور لما احسنت الينا سابقا باجتماع الشمل ولما

أذكرتنا الملك المضلَّل في الهوى والأعشيين وطرفة ولبيدا (١)

الملك المضلل امرؤ القيس ويروى وجرولا ولبيدا

حلوا بها عقدا لنسيب ونمنموا من وشيه نُتَفا لها وقصيدا (٢)

ويروى رجزا بها وقصيدا ويروى حللا لها وقصيدا

راحت غواني الحي عنك غوانيا يلبسنَ نأيا تارة وصدودا

حملت لأهلك الراحلين من حب وقاسيت من أسى انتهى بك الى هذا البلى ، وإن رزئي بهم أيضا لعظيم يدل عليه ما أصابك من تضعضع الحال مع كونك جمادا لا تؤثر فيه هذه الامور النفسية .

هذا هو المعنى الذي يؤديه لفظ أبي تمام في يسر وإسجاح. ولكن الآمدي رحمة الله عليه أقام القيامة على هذا البيت مخطئا أبا تمام متعسفا في الفهم. وإنا لنكتفي بنقل ما يمس المعنى من تعليقه وأنت الحكم بينه وبين أبي تمام قال : أراد وكفى بأنه مضى حميدا شاهدا على أني رزئت . وكان وجه الكلام أن يقول وكفى برزئي شاهدا على أنه مضى حميدا لأن حمد أمر الطلل قد مضى وليس بشاهد ولا معلوم ورزؤه بما ظهر من تفجعه شاهد معلوم ، فلأن يكون الحاضر شاهدا على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهدا على الحاضر فأن قيل انما اراد ان يستشهد على عظيم رزئه عند من لا يعلمه قيل فمن لا يعلم قدر مرزئته التي بعضها ظاهر عليه كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهدا على هذا . . . .

(١) الاعشيان هما أعشى قيس بن ثعلبة ... بن بكر بن وائل، وأعشى باهلة وهو من قيس بن عيلان

(٢) الضمير في بها راجع الى مواقف الحب في بيت قبل هذا أسقطه المصنف وهو قوله :

أمواقف الفتيان تطوي لم تزر شوقا ولم تندب لهن صعيدا

من كل سابغة الشباب إذا بدت   تركت عميد القريتين عميدا [١]

عميد القريتين عروة بن مسعود وهما ومكة والمدينة

أزرين بالمُرْد الغطارف بُدَّنا   غيدا أَلِفْتُهم زمانا غيدا [٢]

أحلى الرجال من النساء مواقعا   من كان أشبههم بهن خدودا

---

(١) عميد الاولى بمعنى رئيس والثانية بمعنى ذاهب القلب من الحب ولا يريد ابو تمام رجلا بعينه فى قوله عميد القريتين انما هو يشير الى الآية الشريفة وهى قوله عزوجل «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» وقد شاع هذا الاستعمال حتى قالوا فى صدر الاسلام . ليس فلان بعميد القريتين أى ليس رئيسا . اما القرآن الكريم فقيل أنه قد عنى بعظيم القريتين حبيب بن عمرو أو عروة بن مسعود الثقفيين أو الوليد بن المغيرة المخزومي والقريتان هما مكة والطائف (لا المدينة كما ذكره المصنف بالأصل)

(٢) المرد جمع أمرد وليس للمرأة وصف منه .الغطريف هنا الشاب والجمع غطارف .لدن جمع لادنة (وإن كان المفرد غير مستعمل) بمعنى ناعمة

يقول إن هذه الجميلات تزرى بالشبان المرد وهن غير مائلات الاعناق رشاقة وظرفا وقد عهدتهم كذلك زمنا طويلا : هذا هو التفسير الذي تهدى إليه الألفاظ فى حدودها اللغوية ولكنى لا أرتاح إليه لأنه لم يؤلف أن يقال ان المرأة الجميلة تزرى بالرجل الجميل فهذا شأن معروف وليس للمرأة فى قياسها الى الرجل فضل كبير

وإنما الشرح المناسب أن يقال ان مردا جمع مرداء وغطارف جمع غطريفة وإن لم يرد ذلك فى اللغة فيكون خروجا من أبى تمام على حدودها ثم يكون المعنى إن هذه الجميلات إذا قسن إلى غيرهن من الجميلات كن خيرا وعلى ذلك يسلم المعنى من الاحالة أو التهافت ويقع أبو تمام فى الخروج على اللغة . وذلك عندي أيسر الأمرين

فاطلب هدوءا فى التقلقل واستثر   بالعيس من تحت السهاد هجودا (١)
من كل معطية على عَلَل السرى   وخدا يبيت النوم منه شريدا (٢)
طلبت ربيع ربيعة المُهْمِى لها   فتفيأت ظلاً لها ممدودا (٣)
بكريها علويها صعبيها الـحصنى   الصنديدا
ذهليها مطريها مُرِّيّها   يمنى يديها خالد بن يزيدا (٤)
نسب كأن عليه من شمس الضحى   نورا ومن فلق الصباح عمودا
شرف على أولى الزمان وإنما   خلق المناسب ما يكون جديدا [٥]
لو لم تكن من نبعة نجدية   علوية لظننت عودك عودا (٦)

---

(١) أى أجعل التعب اليوم سببا للراحة فيما بعد واستخرج من تحت السهاد نوما وهذا المعنى قد كرره فى قوله

ولكنني لم أحو وفرا مجمعا   ففزت به الا بشمل مبدد
ولم تعطنى الأيام نوما مسكنا   ألذ به إلا بنوم مشرد

(٢) العلل الشرب بعد الشرب والمراد بعلل السرى ما يتجدد منه آنا فآنا . والوخد السرعة

(٣) الممهى المحسن . والمعنى أن الأبل سارت قاصدة رجلا كريما من ربيعة هو كالربيع للناس فاختارت ظله الممدود متفيأ لها

(٤) فى هذا البيت والذى قبله نسب الممدوح وهو هكذا من بنى مطر بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة « الحصن » بن عكاكة بن صعب بن على بن بكر بن وائل

(٥) أي ان الشرف كان حاصلا على الايام الأولى من الزمان ولا شرف الا ما كان قديما أما الشرف الجديد فهو خلق بال لا خير فيه

(٦) العود الأولى الأصل وفرع النسب والثانية الذى يتبخر به يقول لولا

مطر أبوك أبو أهلة وائل ملأ البسيطة عدة وعديدا

زُهرٌ إذا طلعت على حجب الكلا نَحُست وإن غابت تكون سعودا (١)

ما إن ترى الاحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنايا سودا

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغىً ومُبدِى غارة ومُعيدا

يَقرى مرجّيه مُشاشة ماله وشبا الأسنة شفرةً وحديدا (٢)

أيقنت أن من السماح شجاعة تندى وأن من الشجاعة جودا (٣)

أنى أعرف أنك رجل منسوب الى آباء لكنت أظن حين أذكر عود نسبك أنه العود الذى يتطيب به يعنى أن نسبه اذا ذكر فاحت له رائحة طيبة هى أثر الثناء والمحامد المعروفة لآبائه والجناس ظاهر بين عود وعود

(١) أى هم كالنجوم الزهر فاذا طلعوا على كلا الناس أى فى الحرب والطعن وبقر البطون كانوا نحسا أى شؤما وان غابوا عن هؤلاء الاعداء فهذا سعد لهؤلاء الاعداء : والبيت فى مكانه من القصيد وصف للأسنة التى يستعملها هؤلاء فى الحرب ولكن المصنف لما جاء به فى جملة وصف القوم صح ان يكون تفسيره كما قلنا

(٢) يقري يطعم المرجى طالب المعروف . المشاشة العظم الذى يمكن مضغه يقول أنه يطعم المجتدى ماله حتى أنه ليمتش العظم . وهى مبالغة فى تمكين المستفيد من الاستفادة

(٣) يقول اذا رأيته فى الحرب رأيت شجاعة يتمثل فيها الجود كل التمثل ذلك لأنه يجود بنفسه غير متق خطرا ولا متخانف عن طعن أو ضرب يقع عليه كما أنك اذا وجدته فى مقام الجود رأيت من جودا يمثل الشجاعة كل تمثيل فهو يجود حتى لا يبقى على شىء غير خائف الفقر ولا ضنين بنفيس فلشجاعته أثر فى كرمه ولكرمه أثر فى شجاعته . وقد نظر المتنبي الى هذا المعنى حين قال

هو الشجاع بعد البخل من جبن وهو الكريم بعد الجبن من بخل

وإذا سَرَّحت الطرف حول قبابه ... لم تلق الا نعمة وحسودا

ومتى حللت به أنالك جُهْدَه ... ووجدت بعد الجُهْد فيه مزيدا[1]

متوقد منه الزمان وربما ... كان الزمان بآخرين بليدا

أبقى يزيد ومَزْيد وأبوهما ... وأبوك ركنك فى الفخار شديدا

سلفوا يرون الذكر عَقْبا صالحا ... ومضوا يعدون الثناء خلودا[2]

إن القوافى والمساعى لم تزل ... مثل النظام اذا أصاب فريدا[3]

هى جوهر نثر فأن ألفته ... بالشعر صار قلائدا وعقودا

فى كل معترك وكل إقامة ... يأخذن منه ذمة وعهودا

فاذا القصائد لم تكن عُقُلا لها ... لم ترض منه مشهدا مشهودا[4]

يقول اذا لم تكن المساعى مقيدة بالشعر معقولة به تفرقت ونسيت ولم يرض مشهدها . ويروى لم تكن خفراءها

من أجل ذلك كانت العرب الألى ... يَدْعون هذا سُؤْدَدا منشودا

وتَنِدُّ عندهم العلا الا علا ... جعلت لها مِرَرُ القصيد قيودا[5]

(١) الجهد بالضم أو الفتح الطاقة اما بالفتح فقط فهو المشقة

(٢) العقب ككعب الولد وككتب أيضا

(٣) النظام السلك ينظم فيه الدر . الفريد من معانيه الدر اذا نظم وفصل بغيره

(٤) العقل جمع عقال وهو للبعير ما شد به وظيفه مع ذراعه لئلا ينهض

(٥) المرر جمع مرة وهى الحبل المفتول

عتب ابن ابى دؤاد على أبى تمام واعتذاره

وبلغ القاضى احمد بن ابى دؤاد أن أبا تمام قال فى أبى سعيد محمد بن يوسف الغزوانى الصامتى الطائى صاحب حميد الطوسى

هذا ابن يوسف مايُبقى ومايَذَر	تزحزحى عن طريق العز يامضر
وآل عدنان فى أَرَضِيهم بقر (١)	هو الهِزبر الذى فى الغاب مسكنه
ما سلّه جاءت الأيام تعتذر	له حسام من الرأى الأصيل إذا
ماض: صياقلُه الأطراق والفِكَر (٢)	عضب المضارب إما نكبة طرقت
كما يضىء لأهل الظلمة القمر	وإنما يمنٌ نور تضىء لكم
بين الصفا وحطيمى زمزم السور [٣]	لولا سيوف بنى قحطان ماقرئت
من الأنام ولاحجوا ولااعتمروا (٤)	ولا أُحِلّ حلالُ الله فى بلد

فقال يمدحه ويعتذر إليه ويتنصل من ذلك بدالية منها

ورَوْض حاضر منه وبادى (٥)	سقى عهد الحمى سيلُ العهاد

(١) ارض من بين جموعها ارضون بفتح الراء وقد تسكن كما هنا

(٢) عضب المضارب اى قاطع بحده . اما اصلها إن ادغمت فيهاما. الصياقل جمع صيقل وهو شحاذ السيوف وجلاؤها والمراد أن تفكيره وإطراقه فى تدبير الأمور يشحذ رأيه ويجعله ماضيا لامعا

(٣) يشير بذلك إلى مساعدة الانصار لرسول الله ونصرته على كفار العرب واهل المدينة من بنى قحطان

(٤) أي لم يكن من الناس إحلال للحلال ولا حج ولا عمرة

(٥) العهد المنزل او الزمن الذى عهد فيه شىء . والعهاد جمع عهد وهو ايضا المطر الذى يتعهد الأرض مرة بعد اخرى. يدعو لمنزل المحبوبة اوللزمن الذى كانا مجتمعين فيه بالسقيا المتوالية حتى يصبح الحاضر والبادى من حماه روضا متفتح الأنوار

نُزحت به رَكِيّ العين إنى رأيت الدمع من خير العتاد (١)
فياحسن الرسوم وماتمشى اليها الدهر فى صور البعاد
وإذ طير الحوادث فى رباها سواكن وهى غنّاء المَراد

أى ماكان أحسن الرسوم اذ الدهر غير ماش اليها بالفراق ولا متصور لها فى صور البعد ، وإذ كانت الحوادث ساكنة عنها سكون الطير الواقع فى الربا . أوالروضة الكاملة الحسن. والمراد مجال القوم فى أفنية الديار

بزُهر والُحذاق وآل برد وَرَتْ فى كل صالحة زنادى (٢)
وإن يك من بني أُدَدٍ جناحى فأن أثيث ريشى من إياد (٣)
غدوت بهم أَمَدَّ ذوِىَّ طولا وأكثر من ورائى ماء واد (٤)

(١) الركى جمع ركية وهى البئر . يقول أنفدت ماء عينى فى ربع المحبوبة ولا عده خير من الدمع

(٢) هذه قبائل من اياد . وحذاقة هم رهط أبي دؤاد وإنما حذف منها أبو تمام التاء لأنه لاحظ أن يقال فى النسب إليها حذاقى ثم يجمع على حذاق كما يقال فى جمع زنجى زنج وروم رومي . هذا مايقوله التبريزى فى تعليل حذف التاء وهو لايخلى أبا تمام من عهده ذلك لأن تمثيل التبريزى بزنجى وزنج إنما كان لأن الأصل الوارد هو زنج فلما احتاجوا للدلالة على الواحد قالوا زنجى وهنا لما كان الاصل حذاقة قالوا حذاقى ولزم حذف التاء لأنها لاتجامع ياء النسب فأذا حذفت الياء وجب عود التاء كما كانت . وقوله ورت زنادي أى اتقدت فيها النار يقال وري الزند كوعد يرى وريا ورية كوعد وعدة

(٣) أثيث : كثير عظيم

(٤) فى هذا البيت وقفتان لعلماء النحو إحداهما أنه أضاف ذا إلى الضمير وهى إنما تضاف الى الاسم الظاهر غالبا تقول هو ذو فضل وقليلا قالوا إنما يعرف الفضل من الناس ذووه . الثانية أن أكثر مضافة الى من والشرط فى

هُمُ عُظمى الأثافيِّ من نزار وأهل الهَضْب منها والنجاد (١)
مَعرَّس كل معضلة وخطب ومنبِت كل مكرمة وآد (٢)
اذا حَدَثُ القبائل ساجلوهم فأنهمُ بنو الدهر التلاد (٣)
تفرَّج منهم الغمرات بيضٌ جلاد تحت قسطلة الجلاد (٤)
وحشو حوادث الأيام منهم معاقل مُطْرَد وبنو طِراد (٥)

هذه الاضافة أن يكون موصوف أفعل بعضا من المضاف اليه تقول فلان أفضل الناس ولاشك أن فلانا واحد من الناس ولذلك منعوا قولهم فلان أفضل أخوته لأنه ليس من أخوته اذ أخوته غيره وقالوا فى هذا المقام فلان أفضل بنى أبيه على أن متأخرى النحويين أجازوا ذلك توسعا أى أفضل الاخوة الذين هو منهم . ولذلك امتنع ابن جنى من أضافة أكثر فى البيت الى من لأنه ليس ممن وراءه بل هو أمامهم وفصل منهم . والمعنى فى البيت ظاهر

(١) الأثافى مشددة وهو الكثير وتروي مخففة وعظمى الأثافى هى التى يقال لها ثالثة الأثافى وهى الجبل . والهضب جمع هضبة بالفتح . يقول هم جبل نزار أى الملجأ لها والحصن ويكنى بسكناهم الهضاب والنجاد عن الكرم لأن الكريم لايتوارى ويحب أن يظهر

(٢) الآد القوة

(٣) المحدث : الجديد الناشىء . التالد والتلد والتلاد من المال ماولد عند صاحبه

(٤) الغمرات الشدائد . القسطلة الغبار . الجلاد القتال

(٥) أطردت الرجل بمعنى طردته فالمطرد المنفى . والطراد والمطاردة فى القتال وهى حمل الفريق على الآخر وتناوب ذلك ويقال هم بنو طراد كما يقال أبناء حرب أى يزاولونها كثيرا . ومعنى البيت أنه يتوسط النوائب من هؤلاء القوم رجال هم ملجأ المطرودين وهم أبناء الحروب

لهم جَهْلُ السباع اذا المنايا　　تمشت فى القنا وحلومُ عاد[1]
لقد أُنستْ مساوىَ كل دهر　　محاسنُ أحمدَ بنِ أبى دؤاد
متى تحلل به تحلل جنابا　　رضيعا للسوارى والغوادى[2]
ترشح نعمة الأيام فيه　　وتقسم منه أرزاق العباد[3]
وما اشتبهت طريق المجد الا　　هداك لقِبلة المعروف هاد[4]
وما سافرتُ فى الآفاق الا　　ومن جدواك راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والأمانى　　وان قلقتْ ركابى فى البلاد
مَعاد البعث معروف ولكن　　ندى كفيك فى الدنيا معادى[5]
أتانى عاير الأنباء تسرى　　عقاربه بداهية نآد[6]

(١) يضرب بعاد المثل فى الحلم قال زهير

واذا وزنت بنى أبيه بمعشر　　فى الحلم قلت بقية من عاد

(٢) المراد بقوله رضيعا للسواري والغوادى انه خصب لأنه اذا رضع ماء السحب السارية والغادية فهو لا بد معشب

(٣) الترشيح التربية وحسن القيام على الشيء

(٤) يقول اذا لم تعرف طريق المجد فاعلم أنها هى المعروف لاغير

(٥) اما ان تجعل معادا مصدرا ميميا وتكون اضافته الى البعث بيانية لأن المعاد إذ ذاك هو البعث. واما ان تجعله اسم زمان أى زمن البعث معروف وأنه سيجيء بعد فناء الدنيا فأما معادى انا فهو زمن تناول عطائك . وقد أساء أبو تمام إذ أشعر كلامه أن معاد الناس ليس معادا له كما ان اساءته تكون اكثر لو فسرنا المعاد بالجنة « وهى أحدى معانيه » فيكون ابو تمام قد فضل خير الممدوح وعطاءه على مافى الجنة من نعيم

(٦) نآد شديدة وعاير الأنباء من قولهم فرس عاير « بالياء » أى ذاهب فى الارض . العقارب الشدائد

نآد أى شديد . والعاير الخبر لايدرى أصله

نثا خبرا كأن القلب أمسى ... يُجَرُّ به على شوك القتاد (١)

كأن الشمس جللها كسوف ... أو استترت برِجْل من جراد (٢)

بأنى نلت من مضر وخبت ... اليك شكيتى خَبَّ الجواد (٣)

ومار بع القطيعة لى بربع ... ولا نادى الأذى منى بناد

وأين يجور عن قصد لسانى ... وقلبي رائح برضاك غاد

ومما كانت الحكماء قالت ... لسان المرء من خدم الفؤاد

وقدمًا كنت معسول الأمانى ... ومأدوم القوافى بالسَّداد (٤)

لقد جازيت بالاحسان سوءا ... اذًا وصبغت عُرْفك بالسواد (٥)

---

(١) يقال نثا الرجل الخبر أى أشاعه . وفاعل نثا فى البيت هو عاير الأنباء

(٢) الرجل من الجراد : الجماعة منه

(٣) الشكية مايشتكى منه وليست مناسبة هنا لمقام الكلام . ويقال شكاه بكذا أى اتهمه فالشكية التهمة وهذا المعنى أنسب المعاني للمقام . خب الفرس أسرع .

(٥) العرف المعروف وصبغه بالسواد كناية عن تشويه وجهه إذ كان الحسن عند العرب أبيض أغر . العير الابل تحمل الميرة . يقول فى البيت والذى قبله إذا كنت قد فعلت ماعانبتنى عليه أكون قد سودت وجه معروفك وجلبت للؤم من معدنه حتى أنخت الكفر للنعمة فى دار مجاهدتها واستبدلت بواجب حفظها السعى فى تضييعها . ويصح أن يكون المعنى إننى اذا فعلت ذلك كنت كلئيم من المسلمين دل أهل الشرك على ثغورهم حتى أناخت بها ، وهذا المعنى وان أعترض عليه بأن من فعل ذلك من المسلمين لا يكفي فيه وصفه باللؤم ولكن أبا تمام قد أراده بدليل قوله بعده وكيف وعتب يوم الغخ ويوم الفساد كان بين طيىء فى الزمن الاول

وسرت أسوق عير اللؤم حتى　　أنخت الكفر فى دار الجا
وكيف وعتب يوم منك فذ　　أشد على من حرب الفساد
وليست رغوتى من فوق مذق　　ولا جمرى كمين فى الرماد (١)
وكان الشكر للكرماء خصلا　　وميدانا كميدان الجياد
عليه عقّدت عُوَذى ولاحت　　مواسمه على شيمى وعادى (٢)
وغيرى يأكل المعروف سحتا　　وتشحب عنده بيض الأيادى (٣).
تثبت أن قولا كان زورا　　أتى النعمان قبلك عن زياد (٤)

---

(١) المذق اللبن الممزوج بالماء والرغوة مايعلوه من فقاقيع جوفاء يملؤها الهواء وهذا مثل ضربه أبو تمام يقول ليس مايظهر مني عن نفاق بمخادعة كالرغوة لاتصرح عن لبن خالص وكالجمر يكمن تحت التراب فيظن فى ظاهر التراب سلامة فأذا هو محرق وإذا واطئه مصاب بأذى النار

(٢) يقال تخاصلوا بمعنى تراهنوا وأحرز خصله وأصاب خصله غاب. العوذ جمع عوذه وهى التميمة تعلق للصبي أو غيره من جواد كريم. المواسم جمع ميسم وهو العلامة يوسم بها الشيء. يقول فى البيت والذى قبله ان الشكر كان رهانا وكان له ميدان كميدان حلبة السباق وكنت أنا المجلى فيه حتى لقد علقت على العوذ نفيا للعين عنى ووسمت بالسمات التي تعلم بها الجياد الفائزة يعنى أنه لايقصر فى الشكر وإسدائه لمسدى المعروف وقد أحسن إليه ابو دؤاد فكيف تنسب إليه الاساءة وإنكار الجميل

(٣) السحت مالا بركة فيه ولذلك سمى المحرم من المكاسب سحتا لعدم بقائه وسوء عاقبته والشحوب تغير اللون والهزال. والمعنى ظاهر

(٤) زياد هو النابغة الذبيانى وحديثه مع النعمان مشهور وسيفصله المصنف فى نهاية هذه القصيدة

وأرَّث بين حى بنيْ جِلاح   سنا حرب وحى بنى مَصاد (١)
وغادر فى صدورِ الدهر قتلى   بنى بدر على ذات الأصاد (٢)
فما قِدْحاك للبارى وليست   متون صفاك من نُهَزِ المُرادى (٣)

(١) أرث النار حركها لتتقد ويستعار الفعل للحرب على تشبيه الحرب بالنار لأذاها ·وبنو جلاح من كلب بن وبرة هم رهط النابغة وبنو مصاد من بنى عليم بن جناب ويرجعون أيضا الى كلب بن وبرة يريد أن الزور كما فعل مافعل بين النابغة والنعمان كذلك فرق بين بنى الأب الواحد وهم بنو الجلاح وبنو مصاد

(٢) ذات الأصاد الموضع الذى أجرى فيه داحس والغبراء ولطم فيه داحس . أما الموضع الذى قتل فيه حذيفة وأخوه حمل بن بدر فهو جفر الهباءة ولعله كان قريبا من ذات الأصاد حتى جعل أبو تمام القتل به أو يكون ذكر ذات الأصاد لأن الشر كان قد بدأ منها

(٣) فما قدحاك للبارى يريد لاتترك قد حيك لبار يقومهما فقد لا يحسن ماتحسنه أنت فيهما . أى قوم أمرك بنفسك . ويجوز أن يكون أراد أن مثالك لايتناول الناس أموره بالنقد كما يقال فلان مغرى بفلان ينحت أثلته أى يعيبه وينتقصه . والمعنى الثانى عندى اليق بالمقام فكأنه يقول له ليست فيك عيوب يتناولها الناس فكيف أكون قد عبتك وبقية البيت يتناسب مع هذا المعنى لأن معناه ليست صخورك بالصخور الضعيفة التى تتأثر بالرمى فينتهز المرامي ضعفها ولين جانبها للتأثير فيها فكأنه يقول إن شؤونك ليست بمتناول الناس بل هى أعظم من أن تكون موضوع نقدهم فهي كالصخور الكبيرة لاينال منها الرامى بل هى صلدة تنبو عنها الحجاره الصغيرة التى يحاول بها صدعها. والمرداة الحجر ويقال فى المثل كل ضب معه مرداته يراد كل ضب يكون عند بيته الحجر الذى يرمي به بيته فينهدم

ولو كشّفتنى لبلوت خِرقا   يصافى الأكرمين ولا يصادى (١)
جدير أن يُكرّ الطَرْف شَزْرا   الى بعض الموارد وهو صاد (٢)
اليك بعثتُ أبكار المعانى   يليها سائق عَجِلٌ وحادى
يذللها بذكرك قِرْن فكر   اذا حَرَنت فتَسْلِس فى القياد

ويروى يهيجها بذكرك اى يحركها فكر هولك كالقرى

تنصل ربها من غير جرم   اليك سوى النصيحة والوداد
ومن يأذن الى الواشين تُسْلَق   مسامعه بألسنة حداد (٣)
أيسلُبنى ثراء المال ربى   وأَطلب ذاك من كفٍ جماد
زعمت اذاً بأن العلم أمسى   له رب سوى ابن أبى دؤاد

النابغة الذبيانى

قوله (أبى تمام)

تثبت أن قولا كان زورا   أتى النعمان قبلك عن زياد

زياد هو النابغة الذبيانى وسمى بالنابغة لقوله «فقد نبغت لكم منا شؤون وكان من خواص النعمان بن المنذر وندمائه وأهل أنسه وأخبر النعمان أن النابغة رأى زوجته المتجردة مرة فسقط نصيفها فاستترت بيدها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها فقال كلمته التى منها

---

(١) الخرق السخى أو الظريف. صاداه عارضه وتصدى له . والمعنى ظاهر

(٢) كر الرجل طرفه نظر . الشزر النظر بمؤخر العين وهو نظر الغضبان الموارد . أماكن الماء . الصادى العطشان . يقول إنى لا أرد كل ماء وإنما أتخير المياه وأترك بعضها وأنا محتاج الى الورود لأن مثلها لا يرضينى

(٣) هو من قوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد والسلق باللسان الايذاء به

سقط النَّصيف ولم ترد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد

نظرت إليك بحاجة لم تقضها   نظر السقيم إلى وجوه العُوَّد

فامتلأ النعمان غضبا وأوعد النابغة وتهدده فهرب منه وشخص الى ملوك غسان بالشام وقيل هرب من سجن النعمان وقيل سبب غضب النعمان أنه أمر النابغة بوصف المتجردة فى شعره فقال الدالية ووصف بطنها وروادفها وشيئا لا يسمى فلحق المنخل بن عبيد بن عامر الشكرى غيرة وقال للنعمان لا يستطيع أن يقول هذا الشعر الا من جرب فوقر ذلك فى نفس النعمان وبلغ النابغة فهرب وكان المنخل من أجمل العرب وكان يرمى بالمتجردة زوجة النعمان وتزعم العرب أن ابنى النعمان منها كانا من المنخل وكان النعمان دميما أبرش (١) قبيح المنظر : قال أبو نواس رأيت النابغة الذبيانى فى منامى فقلت له بماذا حبسك النعمان فقال ببيت قلته وستره النعمان عن الناس قلت بقولك « سقط النصيف ولم ترد إسقاطه » البيت قال أوهذا مستور قلت فبقولك

وإذا لمست لمست أجثم جاثما   متحيزا بمكانه ملء اليد

فقال اللهم غفرا . قلت فبماذا قال بقولى

فلكت أعلاها وأسفلها معا   وأخذتها قسرا وقلت لها اقعدى

قال أبو نواس فحدثت بهذا الحديث اليزيدى فألحق البيت بقصيدة النابغة الذبيانى ولم يكن قبل فيها

ولم يزل النابغة يعتذر من ذلك حتى رضى عنه النعمان. واعتذاراته يضرب بها المثل

---

(١) الأبرش هو الأبرص وكان جذيمة الأبرش ملكا وكان أبرص فهابت العرب أن تقوله فقالت الأبرص . والبرش بالتحريك اختلاف اللون

عود الى أبى تمام

قوله (فى القصيدة التى يعتذر فيها الى أبى دؤاد) وأرث بين حيى جلاح البيت . جلاح ومصاد حيان من اليمن كانت بينهما حروب . قوله وغادر فى صدور الدهر قتلى .. البيت يريد به حرب داحس والغبراء بين بنى بدر الفزاريين وبين قيس بن زهير

لما أنشد أبو تمام هذه القصيدة لابن ابى دؤاد ولم يقبل عذره عمل القصيدة الآتية التى أولها « أرأيت أى سوالف وخدود » يعتذر إليه أيضا ويستشفع بخالد بن يزيد المتقدم ذكره وحرص على أن يسمعها منه وكتب إليه أمامها هذه الابيات

أأحمد إن الحاسدين شهود ... وإن مَصاب المزن حيث تريد [1]

فلا تبعدن منى قريبا فطالما ... طلبت فلم تبعد وأنت بعيد [2]

أصِخ تستمع حُر القوافى فأنها ... كواكب الا أنهن سعود [3]

ولا تمكن الإخلاق منها فأنما ... يلذ لباس البرد وهو جديد [4]

فلما سمع الأبيات استدعاه فأنشده

---

(١) صاب المطر الارض وقع عليها فالمصاب اسم مكان أى موقع المطر . يقول ياأحمد إن حسادى حاضرون فهم يشمتون بى اذا أسأت إلى وأنت قادر على الاحسان الى فيقع مطر الخير حيث شئت من المواضع فأحسن إلى ولا تشمت بي الاعداء

(٢) أنت بعيد أى رفيع القدر مع قربك من السائلين

(٣) الحر من كل شىء خياره . أصاخ : استمع

(٤) الاخلاق البلى . اللباس مايلبس وقد أخطأ ابو تمام فى استعماله استعمال المصدر .

أرأيت أيَّ سوالفٍ وخدود   عنت لنا بين اللوى فزَرود [1]

أتْرابُ غافلة الليالى ألفت   عِقْد الهوى فى يارق وعقود [2]

السالفة صفحة العنق . عنت عرضت . وغافلة الليالى ناعمة لاتبالى بشىء من الدهر

بيضاء يصرعها الصِّبي عبثَ الصَّبا   أصلا بخوط البانة الأملود [3]

وحشية ترمى القلوب إذا اغتدت   وَسْنى فما تصطاد غير الصيد [4]

لاحزم عند مجرِّب فيها ولا   جبارُ قوم عندها بعنيد

مالى بربع منهم معهودِ   إلا الأسى وعزيمةُ المجلود [5]

---

(١) يجوز أن يكون تعبير أرأيت جاريا على أصله بمعنى الاستفهام عن النظر ويكون المعنى هل رأيت سوالفا أى سوالف أي هى الغاية فى الحسن فتكون أى صفة لموصوف محذوف كما تقول رأيت رجلا أى رجل . ويجوز أن تكون أرأيت معناها التعجب والعرب تستعملها هكذا وتكون أى استفهامية فترفع حينئذ على الابتداء ويكون المعنى عجبا أى سوالف ظهرت لنا؟ والاستفهام مراد به التعجب أو التعظيم

(٢) غافلة الليالى محبو بته أى التى غفلت عن شؤون الدنيا لقلة همها أو المراد بها الليالى الغافلة فتكون أترابها أى النساء اللاتى صحبن هذه الليالى التى غفل عنها الزمان . اليارق نوع من الحلى عريض

(٣) عبث مفعول مطلق للفعل يصرع كأنه قال يعبث بها الصبا عبثه بخوط البانة . الاملود الناعم اللين مناومن الغصون

(٤) وحشية كالبقرة الوحشية حسنا أو نورا . ووسنى أى ناعسة الطرف فاترته كأنها مغمضة للنوم . وما تصطاد غير الصيد أى أنها لا توقع فى حبالها إلا كل أصيد عظيم متكبر

(٥) المجلود مفعول بمعنى المصدر أى الجلادة كقولهم ليس له معقول أى عقل

إن كان مسعود سقى أطلالهم   سيلَ الشؤون فلستُ من مسعود[1]
ظعنوا فكان بكاى حولا كاملا   ثم ارعويت وذاك حكم لبيد
أجدر بجمرة لوعة إطفاؤها   بالدمع أن تزداد طول وُقود[2]
لاأفقر الطربَ القلاصَ ولاأُرى   مَعْ زِير نِسوانٍ أشد قُتُودى[3]
لاأفقر من قولهم أفقرته ناقتى أي مكنته من ظهرها
شوق ضرحت قذاته عن مشربى   وهوًى أطرت لحاءه عن عودى[4]
عامى وعام العيس بين وديقة   مسجورة وجمارة صيخود[5]
ضرحت دفعت . الوديقة شدة الحر . وجمارة صيخود وقع الشمس على الحجارة
حتى أغادر كل يوم بالفلا   للطير عيدا من بنات العيد[6]

---

(١) مسعود هو ابن عمرو الأزدى كان يندب الاطلال ويبكيها وقوله لست من مسعود أى لست على مذهبه ولاأفعل فعله بل أبكى ثم أرعوى كما فعل لبيد فى قوله « ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر » . وهذا ماأشار إليه فى البيت الآتى

(٢) أى أن جمرة اللوعة اذا أطفئت بالدمع فهى جديرة أن تزداد اتقادا

(٣) أفقر الرجل بعيره أعاره للركوب والحمل . زير النساء الذى يكثر مجالستهن والحديث معهن . القتود جمع قتد وهو خشب الرحل . والمعنى أنه لا يستخدم أ.له فى سبيل الطرب ولا يرى مصاحبا لزير نساء

(٤) اللحاء قشر الغصن وبقية المفردات شرحت فى الأصل

(٥) فى الديوان بدل جمارة صيخود تنوفة صيخود والتنوفة القفر من الارض والصيخود الصلبة والمعنى أنه قضى عامه بين الحر الشديد والفلاة الصلبة

(٦) المعنى فى تركه عيدا للطير أنه يفرحها بما يلقيه لها أثناء مروره با فكأنها فى عيد

العيدية المهرية ونوق بنى العيد قوم تنسب اليهم النجائب .

هيهات منها روضة محمودة حتى تناخ بأحمدَ المحمود (١)

بمَعَرَّس العرب الذى وجدت به أمن المَرُوع ونجدة المنجود (٢)

حلت عرى أثقالها وحمولها أبناء اسمعيل فيه وهود

ابناء اسمعيل معد بن عدنان وأبناء هود وأبناء اليمن

أمل أناخ بهم وفودا فاغتدوا من عنده وهم مُناخ وفود (٣)

بدأ الندى وأعاده فيهم وكم من مبدئٍ للعرف غير معيد

ياأحمد بن أبى دؤاد حُطْتَنى بحياطتى ولَدَدْتنى بلدود (٤)

وجزيتنى ودًّا جميت ذِماره وذمامه من هجرة وصدود

ولَكَمْ عدوٍ قال لى متمثلا كم من ودود ليس بالمودود

أضحت إياد فى معد كلها وهم إياد بنائها الممدود

إياد قبيلة الممدوح والثانية مايعمد به البناء

تَنميك من قُلَل المكارم والعلا زُهر لزُهْر أبوة وجدود (٥)

---

(١) أى انها تترك كل روضة محمودة لاتعرج عليها حتى تصل إلى احمد ابن ابي دؤاد المحمود

(٢) المعرس موضع النزول بفناء الدار . المروع : الخائف

(٣) أى وفدوا إليه فاستفادوا منهْ خيرا وغنى فصار مقصد الوافدين

(٤) أى أنك قد حافظت على المحافظة الواجبة وتعهدتنى التعهد اللازم كمن يصب الدواء فى فم المريض واللدود هو مايصب من الدواء بالمسعط فى أحد شقى الفم

(٥) نماه إلى فلان نسبه إليه. القلل جمع قلةوهى أعلى الجبل . زهر الأولى اسم القبيلة والثانية جمع أزهر بمعنى أبيض . أبوة جمع أب وهى فى الأصل

إن كنتم عاديّ ذاك النبع إن نُسبوا وفِلقة ذلك الجلمود

وتسرِ كتموهم دوننا فلأنتم شركاؤنا من دونهم فى الجود (١)

كعب وحاتم اللذان تقسما خطط العلا من طارف وتليد

هذا الذى خلف السحاب ومات ذا فى الجود ميتة خِضرم صنديد (٢)

إلا يكن فيها الشهيدَ فقومه لايسمحون به بألف شهيد (٣)

ماقاسيا فى المجـد إلا دون ما قاسيته فى العدل والتوحيد (٤)

فاسمع مقالة زائر لم تشتبه آراؤه عند اشتباه البيد (٥)

مصدر أريد منه الآباء. العادى من كل شيء القديم نسبوه الى عاد لتناهيه فى القدم

(١) يقول إن شركتم غيرنا فى النسب فأنتم شركاؤنا فى الجود فكعب بن مامة منكم وحاتم منا

(٢) هذا إشارة إلى حاتم وذا إشارة إلى كعب. الخضرم الكثير العطاء. الصنديد السيد الشجاع

(٣) يقول اذا لم يكن حاتم شهيدا فى سماحته فهو عند قومه خير من ألف شهيد. يشير الى أن حاتما وإن لم يمت بسبب الكرم كما مات كعب فهو عند قبيله خير من ألف شهيد. وهذا ذم صريح لكعب وتفضيل لحاتم عليه ولعل ذلك لا يرضى الممدوح لكونه من قومه ولكن هكذا شاء الفخر عند أبي تمام ألا يراعى مقام المدح

(٤) كان ابن أبى دؤاد من المعتزلة وهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد فهذه من أبى تمام إشارة إلى ذلك فتكون تورية

(٥) لم تشتبه آراؤه عند اشتباه البيد أى لم يزعزعه فى قصدك ولم يعدل به عنك ما كان يلاقيه من الحيرة فى الصحارى حين كان يقصدك

يشتاق بعض القول منك بفعلة كملا وعفو رضاك بالمجهود [١]
أسرى طريدا للحياء من التى زعموا وليس لرهبة بطريد [٢]
كنت الربيع أمامه ووراءه قمر القبائل خالد بن يزيد [٣]
فالغيث من زهر سحابة رأفة والطود من شيبان ركن حديد [٤]
وغـدًا يَبَيَّنُ مابراءة ساحتى لو قد نَفَضتَ تهائمى ونجودى [٥]
هذا الوليد رأى التثبت بعدما قالوا يزيد بن المهلب مودى [٦]
فتزحزحَ الزور المؤسس عنـده وبناء هذا الأفك غير مشيد

---

(١) يقول إننى رجل لاأطلب ثمنا لفعلى كاملا إلا بعض القول منك فى تزكيتى وتقريظى ويكفينى عفو رضاك فى نظير مجهودى الذى تكلفته فى الحضور اليك وعانيته فى مدحك . وفى رواية يستام بدل يشتاق

(٢) يقول عن نفسه إنما أسريت وخرجت يدفعنى الحياء مما نسب الى وماقرفت به عندك ولم تدفعنى الرهبة منك لأنى لم أكن مجرما فأخاف

(٣) إنما ذكر خالد بن رباد لأنه كان شفيعه إليه

(٤) زهر قبيلة أحمد وشيبان قبيلة خالد وقد جعل هذا سحابة وهذا طودا

(٥) يقال نفضت الطريق إذا نظرت وفتشت هل فيه أحد. يقول :لوبحثت أمرى لعلمت أن الذى قيل لك كذب

(٦) اعتقل الحجاج يزيد بن المهلب فى أيام الوليد بن عبد الملك فهرب يزيد من سجنه ولحق بسليمان أخى الوليد وهو ببيت المقدس وأكرمه سليمان وأنفذ معه أيوب ابنه الى حضرة أخيه الوليد وأمر أيوب أن يكون فى السلسلة مع يزيد فلما دخلا على الوليد عفا عن يزيد . فأبو تمام يشير إلى هذه الحادثة ويقول إن الوليد تثبت فى أمر يزيد فلم ينفذ فيه رأى الحجاج

وتمكن ابن أبي سعيد من حِجا ملك بشكر بنى الملوك سعيد (١)

ماخالد لى دون أيوب ولا عبد العزيز ولستَ دون وليد (٢)

نفسى فداؤك أى باب مُلِمّة لم يُرْمَ فيه اليك بالإقليد (٣)

لِمُقارف البهتان غير مقارف ومن البعيد الرهط غير بعيد (٤)

لما أظلتنى غمامك أصبحت تلك الشهود علىّ وهى شهودى

من بعد ماظنوا بأن سيكونُ لى يوم ببغيهم كيوم عبَيد (٥)

أَمنية ماصادفوا شيطانهـا فيها بعفريت ولا مَرِّيد (٦)

(١) ابن أبي سعيد كنية يزيد بن المهلب . الحجا بالكسر العقل وبالفتح الناحية يقول تمكن ابن المهلب من عقل أو كنف ملك هو سليمان بن عبدالملك شفيعه الى الوليد وهو الجدير بالشكر من بنى الملوك أى آل المهلب

«٢» خالد شفيع ابي تمام عند أحمد الممدوح وأيوب بن سليمان وقد انضم إليه عبد العزيز بن الوليد شفيعا يزيد بن المهلب عند الوليد . فهو يقول ليس خالد بأقل شأنا من شفيعى يزيد ولا أنت بأقل من الوليد الذى قبل الشفاعة وقد حذف اللام من الوليد وهو جائز وابو تمام يفعل ذلك كثيرا وقد مربك أمثلة منه

«٣» الاقليد المفتاح

«٤» يمدحه بقوله لايدانى ولايقارب من يرتكبون البهتان ولايمتنع من نصرة من قل ناصره وبعد عنه رهطه

«٥» عبيد هو عبيد بن الابرص الشاعر قتله عمرو بن هند

«٦» المرّيد المتمرد. العفريت الذى أعيا خبثا يقول انهم دبروا مكيدة لم يحكموا تدبيرها فلم يكن الشيطان فيها عفريتا مريدا . ودخول الباء فى بعفريت شفع فيه سبق النفى

نزعوا بسهم قطيعة يهفو به ريش العقوق فكان غير سديد(١)
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عَرْف العود
لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على المحسود(٢)
خذها مهذبة القوافي ربُّها لسوابغ النعماء غير كَنود(٣)
حَـذَّاء تملأ كل أُذْن حكمة وبلاغة وتُدر كل وريد(٤)
كالطعنة النجلاء من يد ثائر بأخيه أو كالضربة الأُخدود(٥)
كالدر والمَرجان أُلِّف نظمه بالشَّذْر في جيد الفتاة الرُّود(٦)

---

(١) يقال نزع له بسهم أى رماه به. القطيعة: الهجران. يهفو يطير. وجعل العقوق ريشا لسهم القطيعة لأنه يساعد عليها كما يساعد الريش السهم على المضى والنفاذ إلى الرمية

(٢) يقول إن للحاسد نعمة على المحسود فى أنه أذاع محامده ودل الناس على فضائله لكن شيئا واحدا يكدر هذه النعمة وهو تخوف المحسود مما يكيد له به الحاسد فقد يحكم الحاسد التدبير فى كيده فلا يظهر للناس ظلمه ويقع المحسود فيما بيته له

(٣) الكنود كافر النعمة

(٤) الحذاء السريعة الخفيفة والمعنى أن قصيدة أبي تمام ستملأ الأندية وتصل حكمتها إلى كل أذن فتملؤها حكمة وبلاغة كما أنها تفعل بالحساد فعلا شنيعا وهو أنها تريق دماءهم أي تقتلهم بما يفعل الحسد فى نفوسهم عند سماعها

(٥) الأخدود الشق فى الأرض ولعله أراد الضربة التى تحدث مثل الأخدود

(٦) الشذر ما يصاغ من الذهب والفضة فيفصل به بين الدر فى العقد. الرود الناعمة

كشقيقة البُرد المنمنم وشيُه ... فى أرض مَهْرة أو بلاد تزيد (١)
يعطى لها البشري الكريم ويحتبي ... برداُنها فى المحفل المشهود
بشرى الغنيّ أبي البنات تتابعت ... بشراؤه بالفارس المولود (٢)
كرُقَى الأساود والأراقم طالما ... نزعت حُمَاتِ سخائم وحقود (٣)

فلما سمعها ابن ابى دؤاد رضى عنه

قوله

إن كان مسعود سقى أطلالَهم ... سيلَ الشؤون فلست من مسعود

مسعود هو أخو ذى الرمة وهو الذى أشار إليه ذو الرمة بقوله

عشية مسعودٌ يقول وقد جري ... على لحيتى من واكف الدمع قاطر
أفى الدار تبكى إذ بكيتَ صبابة ... وأنت امرؤ قد أحّلتك العشائر

فكان مسعود يلوم أخاه ذا الرمة على ملازمته البكاء . يقول ابو تمام إن كان مسعود قد رجع عن ذلك المذهب وصار يبكى على الطلول فلست منه . وهذا أبلغ فى التبرى منه مما اذا كان هذا شأنه فصار كقول القائل إن كان حاتم

---

(١) الشقيقة المشقوقة أى شق البرد . المنمنم المنقوش . أرض مهرة ببلاد اليمن . وبنو تزيد من قضاعة وإليهم تنسب البرود التزيديات

(٢) البشراء جمع بشير وهو المبشر أى الناقل للخبر السار

(٣) الأساود جمع أسود . الأراقم جمع أرقم وهما من الحيات مافيه نقط سود. الحمات جمع حمة وهى السم فى ناب الحية . السخائم جمع سخيمة وهى الحقد والمعنى أن قصيدته لها تأثير الرقى فى نزع السم فهى تزيل السخائم والأحقاد من نفوس الغاضبين إذا كانت فى طلب صفحهم

قد بخل فلست منه . وكان لذى الرمة أخوان آخران وهما هشام وأوفى ومات أوفى ثم مات ذو الرمة واسمه غيلان فقال أخوه هشام :

نعى الركبُ أوفى حين آبت ركابهم　　لعمرى لقد جاءوا بشر فأوجعوا

نعوا باسق الأفعال لايخلفونه　　تكاد الجبال الصم منه تَصدَّع

خوى المسجد المعمور بعد ابن دَلْهَم　　وأمسى بأوفى قومه قد تضعضعوا

تعزيت عن أوفى بغَيْلان بعده　　عزاء وجفن العين ملآنُ مُترع

فلم تنسنى أوفى المصيباتُ بعده　　ولكنَّ نَكْأَ القُرح بالقرح أوجع (١)

ونسبت هذه الأبيات لمسعود وليس الامر كذلك بل هى لهشام كما قال أبو تمام فى الحماسة . وأخذ من البيت الأخير على بن الجهم قوله:

عيون المها بين الرُّصافة والجسر　　جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

أَعدْن لى الشوق القديم ولم أكن　　سَلَوْتُ ولكن زدن جمرا على جمر

قول أبى تمام «ثم ارعويت وذاك حكم لبيد» يريد قول لبيد

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما　　ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

لبيد

ولبيد هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري قدم على النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه . قال رسول الله ﷺ أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد يريد قوله:

ألا كل شيء ماخلا اللهَ باطل　　وكل نعيم لامحالة زائل

ومن شعره الذى أنشده للنبي ﷺ

---

(١) نكأ القرح قشره قبل أن يبرأ وتقدير الكلام ولكن نكأ القرح أوجع بالقرح

بَلينا وماتَبلى النجوم الطوالع　　وتبلى الجبال بعدنا والمصانع (١)

فلا جزعٌ إن فرق الدهر بيننا　　وكل فتى يوما به الدهر فاجع (٢)

وما المرء الا كالشهاب وضوئه　　يحور رمادا بعد إذ هو ساطع (٣)

وما المال والأهلون إلا ودائعُ　　ولا بد يوما أن ترد الودائع

أليس ورائى إن تراخت منيتى　　لزومُ العصا تُحنى عَليها الأصابع (٤)

أخبّر أخبار القرون التى مضت　　أدِبُّ كأنى كلما قمت راكع

وأصبحت مثل السيف أخلق جفنُه　　تقادم عهد القين والنصل قاطع (٥)

لعمرك ماتدرى الضوارب بالحصى　　ولا زاجرات الطير ما اللهُ صانع

أعاذلُ مايدريك إلا تظننـا　　إذا رجع السُّفّارُ من هو راجع (٦)

أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى　　وأى كريم لم تصبه الفجائع

وكان جوادا كريما نذر ألا تهب الصبا (٧) الا نحر وأطعم . ونزل الكوفة

---

(١) المصانع جمع مصنع وهو كالحوض يجتمع فيه ماء المطر

(٢) اى فاجع أهل المرء فيه

(٣) يحور: يصير وهو يعمل عمل صار من رفع الاسم و نصب الخبر

(٤) أى أليس نهاية أمرى أن أشيخ وتهن قواى

(٥) أخلق بلى . الجفن الجراب. القين الحداد والمراد به الصيقل

(٦) يقول لا يعلم الآجال الا الله فأذا خرج المسافرون لطياتهم وعادوا فلا يعلم أحد قبل رؤيتهم من العائد منهم ومن الذى اغتالته المنية . السفار جمع سافر بمعنى مسافر

(٧) هبوب الصبا عند العرب كناية عن القحط لأن الصباريح لاتأتى إلى بلادهم إلا شتاء وتهب عليهم خالية من السحب فيكون القحط

فكان أميرها المغيرة بن شعبة اذا هبت الصبا يقول أعينوا أبا عقيل على مروءته
ولما ولى الوليد بن عقبة الكوفة ولم يكن عند لبيد شىء أرسل إليه رواحل
كثيرة وكتب معها

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبى عقيل
أغر الوجه أبيض عامرى طويل الباع كالسيف الصقيل

وكان حلف ألا يقول الشعر بعد أن تعلم سورة البقر فقال لابنته أجيبي
الأمير فقالت

إذا هبت رياح أبى عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أصيد عَبْشَمِيّ أعان على مروءته لبيدا (١)
بأمثال الهضاب كأن رَكْبا عليها من بنى حامٍ قعودا (٢)
أبا وهب جزاك الله خيرا وظنى بابن أروى أن يعودا (٣)

فقال لها لبيد أحسنت يابنية لولا أنك استزدته فقالت يا أبت إنه أمير ولو
كان سوقة مااستزدته فقال لأنت فى قولك هذا أحسن منك فى شعرك . ولما
حضرته الوفاة قال

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر (٤)

---

(١) عبشمى نسبة إلى عبد شمس، منحوتة تصاغ على أربعة أحرف من
المتضايفين ومثلها عبدرى من عبد الدار .

(٢) حام بن نوح أبو السودان

(٣) أروى اسم أمه

(٤) من ربيعة أو مضر أى من الناس ومن كان من الناس فهو لابد ميت

ونائحتان تندبان بعاقل أخا ثقة لاعين منه ولا أثر (١)
وفى ابنى نزار أسوة إن جزعتما وإن تسألاهم تُخْبَرَا فيهم الخبر
وفى من سواهم من ملوك وسوقة دعائم عرش خانه الدهر فانقعر (٢)
فقوما وقولا بالذى قد علمتما ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر [٣]
وقولا هو المرء الذى لا خليله أضاع ولا خان العهود ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وأشار إلى البيت الأخير الحارث الحمدانى أيضا إلا أنه خالف حكمه بقوله

وحكى بكاء الدهر فيما ينوبنى وحكم لبيد فيه حول محرم (٤)

مثل قول لبيد « وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر » قول الفرزدق :

فما ابناك الا من بنى الناس فاصبرى فلن يَرجع الموتى حنينُ المآتم (٥)

---

(١) يقال هو أخو ثقة إذا كان يؤمن ويوثق به كثيرا والعرب تقول فلان أخو تجربة مثلا إذا كان كثير التجربة وأخو الحرب الملازم لها وهكذا العين من الشيء ذاته والاثر مايتخلف عنه

(٢) قعر النخلة وانقعرت قطعها من أصلها فسقطت

(٣) خمش الباكى وجهه كضرب خدشه أو لطمه أو ضربه . والوقوف على شعر بالسكون مع كونه منصوبا منونا لغة لبعض العرب ولو كانت الرواية بالالف واللام فى الشعر لكانت جارية على اللغة الفصحى

(٤) بكاء الدهر الاضافة فيه بمعنى فى أي البكاء فى الدهر أى إدامة البكاء

(٥) اكثر المحققين فى اللغة على أن المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشر، كذا قال ابن قتيبة وقال الفيروزابادى المأتم كمقعد كل مجتمع فى حزن أو فرح أو خاص بالنساء أو بالشواب . وفى المصباح أتم بالمكان من باب تعب

وهو من قصيدة يرثى بها ابنيه أولها

بفى الشامتين الترب إن كان مسنى رزية شبلى مخدَفٍ الضراغم

وما أحد كان المنايا وراءه ولو عاش أياما طوالا بسالم

أرى كل حى ماتزال طليعة عليه المنايا من ثنايا المخارم

يذكرنى ابنىّ السماكان مَوْهِنا اذا ارتقعا فوق النجوم العواتم

وقد رُزى الأقوام قبلى بنيهم وإخوانَهم فاقنَىْ حياء الكرائم

ومات أبى والمنذران كلاهما وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم

وقد كان مات الأقرعان وحاجب وعمرو أبو عمرو وقيس بن عاصم

وقدمات بِسطام بن قيس بن خالد ومات أبو غسان شيخ اللهازم

وقد مات خيراهم فلم يهلكاهم عشية بانا رهطِ كعب وحاتم

فما ابناكِ الا من بنى الناس فاصبرى فلن يَرجع الموتى حنينُ المآتم

ومثل الاخير قول القائل لعمر بن عبد العزيز

هل ابنك الا من سلالة آدم لكل على حوض المنية مَوْرِد

أقام واسم المصدر والزمان والمكان مأتم بفتح العين ومنه قيل للنساء يجتمعن فى خير أو شر مأتم مجازا تسمية للحالّ باسم المحل وفى صحاح الجوهرى : المأتم عند العرب النساء يجتمعن فى الخير والشر قال أبو عطاء السندى

عشية قام النائحات وشققت جيوب بأيدى مأتم وخدود

قال ابن قتيبة إن العامة تخص المأتم بالمصيبة فتقول كنا فى مأتم فلان والأجود مناحته . وبذلك يكون تخصيص المأتم بالمجتمع عامة (رجالا ونساء) فى المصيبة وحدها تخصيصا قديما فلا بأس بالجري عليه فى أيامنا هذه

قول الفرزدق أرى كل حى ... البيت . الطليعة يريد طالعة . والثنايا جمع ثنية وهى الطريق فى الجبل . والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل وقوله النجوم العواتم يعنى المتأخرة . وقوله فاقنى حياءك أى الزمى . والكرائم جمع كريمة . وقوله ومات أبى ، يريد التأسى بالاشراف . وأبوه غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال وكان شريفا وأجداده إلى حيث انتهوا . والمنذران المنذر بن ماء السماء اللخمى يريد الابن والأب . وعمرو بن كلثوم التغلبي قاتل عمرو بن هند وكان أحد أشراف العرب وقتالهم وشعرائهم . والأراقم قبيلة بنى تغلب ابنة وائل من بنى جشم بن بكر وسموا بالأراقم لأن عيونهم شبهت بعيون الحيات . وجعله شهابا لهم لنوره وضيائه وبهائه . تقول العرب إنما فلان نجم أهله . والأقرعان الأقرع بن حابس وابنه الأقرع ، من بنى مجاشع بن دارم وكان الأقرع فى صدر الاسلام سيد خندف وعمرو أبو عمرو يريد عمرو بن عدى وكان شريفا وكان ابنه عمرو شريفا . وقوله بسطام بن قيس بن خالد يعنى الشيبانى وهو فارس بكر بن وائل وابن سيدها وقتل بالحش وهو جبل ، قتله عاصم بن خليفة الضبى . وكان عاصم أسلم فى زمان عثمان بن عفان رضى الله عنه فكان يقف ببابه فيستأذن فيقول عاصم بن خليفة الضبي قاتل بسطام بالباب وكان سبب قتله إياه أن بسطاما أغار إغارة على بنى ضبة فاكتسح إبلهم فتنادوا واتبعوه ونظرت أم عاصم إليه وهو يشحذ حديدة فقالت له ماتصنع بهذه فقال أقتل بها بسطام بن قيس فنهرته وقالت است أمك أضيق من ذلك فنظر إلى فرس لعمه موثقة الى شجرة فاعروراها (١) ثم أقبل بها كالريح فنظر إلى الخيل قد لحقته فجعل يطعن الابل فى أعجازها فصاح به بنو ضبة يابسطام ما هذا السفه دعها إما لنا وإما لك وانحط عليه عاصم فطعنه فرمى به على الألاءة (٢) وفى

(١) اعرورى الفارس الفرس علاها

(٢) الالاء كبلاء ويقصر شجر مر واحدته ألاءة

ذلك يقول ابن عنمة الضبي وكان فى بنى شيبان

نخر على الألاءة لم يُوَسَّد   كأن جبينه سيف صقيل

وكان مقتله بعد مبعث النبي ﷺ ولم يسلم ولما قتل لم يبق فى بكر بن وائل بيت إلا هجم (هدم) . وقوله ومات أبو غسان شيخ اللهازم يعنى مالك ابن مسمع بن شيبان بن شهاب أحد بنى قيس بن ثعلبة وإليه تنسب المسامعة وكان سيد بكر بن وائل فى الاسلام وفيه يقال

اذا ماخشينا من أمير ظلامة   دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

وقوله

وقد مات خيراهم فلم يهلكاهم   عشية بانا رهط كعب وحاتم

خيراهم تثنية كقولك مات أحمراهم وعشية بانا مردود على خيراهم . ورهط بدل من هم التى فى خيراهم . والتقدير وقد مات خيرا رهط كعب وحاتم فلم يهلكاهم عشية بانا . وقول أبى تمام

كعب وحاتم اللذان تقسما   خطط العلا من طارف وتليد

هذا الذى خلف السحاب ومات ذا   فى الجود ميتة خِضْرِمٍ صِنديد

تقسما خطط العلا أى استويا فى الجود والمجد

كعب بن مامة

فأما كعب فهو كعب بن مامة الأيادى وكان أحد أجواد العرب الذى آثر على نفسه وكان مسافرا ورفيقه رجل من النمر بن قاسط فقل عليهما الماء فتصافناه والتصافن أن يطرح فى الأناء حجر ثم يصب فيه من الماء مايغمره لئلا يتغابنوا فجعل النمرى يشرب نصيبه فإذا أخذ كعب نصيبه قال اسق أخاك النمرى فيؤثره

حتى جهد (١) كعب ورفعت له أعلام الماء فقيل له ردْ كعبُ ولا ورود به (٢) فمات عطشا ففى ذلك يقول أبو دؤاد الأيادى من كلمة مدحه بها

أوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وراد فما وردا

وضرب به المثل فقال جرير فى كلمته التى يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

يعود الفضل منك على قريش وتُفْرج عنهم الكرب الشدادا

وقد أَمَّنْتَ وحشهم برفق وتُعيي الناس وحشُك أن تصادا

وتبنى المجد ياعمر بن ليلى وتكفى الممحلَ السنةَ الجمادا

وتدعو الله مجتهدا ليرضى وتذكر فى رعيتك المعادا (٣)

وما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك ياعمر الجوادا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه

أوس بن سعدى

وأما أوس بن سعدى فهو أوس بن حارثة بن لام الطائى وكان سيدا مقدما فوفد هو وحاتم بن عبد الله الطائى على عمرو بن هند (أبى المنذر بن ماء السماء) فدعا أوسا فقال أأنت أفضل أم حاتم قال أبيت اللعن لو ملكنى حاتم وولدى ولحمتى (٤) لوهبنى فى غداة واحدة ثم دعا حاتما فقال أأنت أفضل أم أوس فقال

---

(١) يقال جهد «كفرح» عيش الرجل أى نكد واشتد أما جهد كمنع فمعناه اجتهد

(٢) الجملة حالية أى قيل له هذا القول وهو لايستطيع الورود

(٣) المعاد البعث أى تذكر الآخرة أى فتعدل فى الرعية

(٤) اللحمة القرابة

أبيت اللعن إنما ذكرت بأوس ولأحد ولده أفضل منى

وكان النعمان دعا بحلة وعنده وفود العرب من كل حى فقال احضروا فى غد فإنى ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم جميعا إلا أوسا فقيل له لم تتخلف ؟ فقال إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء بى ألا أكون حاضرا ، وإن كنت المراد فسأطلب ويعرف مكانى . فلما جلس النعمان لم ير أوسا فقال اذهبوا إلى أوس وقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فألبس الحلة . فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثا ولا مالا إلا من عنده ثم قال

كيف الهجاء وماتنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتينى

فقال لهم بشر بن أبى خازم أحد بنى أسد بن خزيمة أنا أهجوه لكم فأخذ الإبل وفعل فأغار أوس عليها فاكتسحها فجعل لا يستجير حيا إلا قال قد أجرتك إلا من أوس . وكان فى هجائه قد ذكر أمه فأتى به فدخل أوس على أمه فقال قد أتينا ببشر الهاجى لك ولى فقالت أو تطيعنى قال نعم قالت أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأفعل مثل ذلك فأنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه فخرج فقال ان أمى سعدى التى كنت هجوتها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك ففيه يقول

إلى أوس بن حارثة بن لام ليقضى حاجتى فيمن قضاها

فما وطىء الثرى مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

وقد افتخر أبو تمام الطائى به وبحاتم بقوله من كلمته المارة

سما بى أوس فى السماء وحاتم وزيد القنا والأثرمان ونافع

حاتم طى

وأما حاتم فهو حاتم بن عبد الله الطائى جواد العرب وهو أشهر من أن يذكر قال الجاحظ « وكلمت النبي ﷺ جارية من السبى فقال لها من أنت قالت أنا بنت الرجل الجواد حاتم فقال ﷺ ارحموا عزيز قوم ذل، ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال » ويروى عن حاتم الطائى أنه بارز عامر بن الطفيل وفقد رمح عامر نخافه وقال يا حاتم لأ نخلنك قال بماذا قال ادفع إلىّ رمحك أقاتلك به فرمى إليه برمحه ورجع موليا .

وقد أخذ المتنبى من هذا الخبر معنى قوله

كريم متى استُوهبتَ ما أنت راكب ... وقد لَقِحَت حرب فأنك نازل (١)

ومن شعر حاتم الطائى المنقول فى حماسة أبى تمام قوله

وعاذلة قامت علىّ تلومنى ... كأنى اذا أعطيت مالى أَضِيمها (٢)

أعاذل إن الجود ليس بمهلكي ... ولا يُخلد النفسَ الشحيحةَ لومها

وتُذكَر أخلاقُ الفتى وعظامه ... مغيبة فى اللحد بالٍ رميمها (٣)

قول أبى تمام

---

(١) يقال لقحت الناقة (كفرح) إذا قبلت اللقاح أى حملت فاستعير ذلك للحرب إذا قبلت أسباب التهييج فقامت الحرب على أثر ذلك قال زهير

فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

(٢) أضيمها أذلها

(٣) الرميم العظم البالى

هذا الوليد رأى التثبت بعدما قالوا يزيد بن المهلب مودى

فتزحزح الزور الموسوِس عنده وبناء هذا الأفك غير مشيد [1]

وتمكن ابن أبى سعيد من حجا ملك بشكر بنى الملوك سعيد

ماخالد لى دون أيوب ولا عبدِ العزيز ولستَ دون وليد

كان أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة واليا بخراسان فلما حضره أجله هناك عهد إلى ولده يزيد وكان غائبا وأوصى بنيه ألا يخالفوه فقال له ابنه المفضل لولم تقدمه لقدمناه وأحضر ولده فوصاهم وأحضر سهاما لحزمت وقال أتكسرونها مجتمعة فقالوا لا قال أفتكسرونها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة . ثم قال أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم وأنهاكم عن القطيعة وعليكم بالطاعة والجماعة. ولتكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا زلة اللسان واعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل وأحيوا العرف واصنعوا المعروف وإياكم وكثرة الكلام فى مجالسكم . ومن جملة ماقال يابنى استغفل الحاجب واستظرف الكاتب فأن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه فلما توفى كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته فأقره على خراسان وذلك سنة ٨٢ ووفد الحجاج إلى عبد الملك فمر فى منصرفه بدير فنزله فقيل له إن فيه شيخا من أهل الكتاب عالما فدعا به وسأله هل تجدون فى كتبكم ماأنتم فيه ونحن ؛ قال نعم قال أمسمى أم موصوفا قال نجد موصوفا بغير اسم ومسمى بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده فى زماننا الذى نحن فيه أنه

---

(١) الموسوس بالبناء للفاعل أي الذى يحدثه فى نفسه حديثا خبيثا وقد تقدمت فى الابيات وفيها المؤسس بدل الموسوس

ملك أفرع ، من يقم لسبيله يصرع . قال ثم من ؟ قال اسم رجل يقال له الوليد ثم رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس قال أفتعلم من يلى بعدى قال نعم رجل يقال له يزيد قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة . لاأعرف غير هذا فوقع فى نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ثم سار وهو وجل ثم عاد وكتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويخبره أنهم زبيرية فكتب عبد الملك إليه إنى لاأرى طاعتهم لآل الزبير نقصا بآل المهلب بل وفاؤهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لى . فكتب اليه الحجاج يخوفه غدره ، فكتب إليه إنك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى قتيبة بن مسلم الباهلى ، وبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لأهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهده فأذا قدمت عليه عزله وولى رجلا من قيس وأخلق بقتيبة بن مسلم

عزل يزيد المهلبى

ولما أذن عبد الملك فى عزل يزيد كره أن يكتب اليه بعزله فكتب إليه يأمره أن يستخلف أخاه المفضل ويقبل إليه فاستشار يزيد حضين بن المنذر فقال له أقم واعتل واكتب الى أمير المؤمنين ليقرك فأنه حسن الرأى فيك وإنما أتيت من الحجاج فأن أقمت ولم تعجل رجوت أن يكتب اليه أن يقر يزيد . فقال نحن أهل بيت قد بورك لنا فى الطاعة وأكره المعصية والخلاف وأخذ فى الجهاز فأبطأ ذلك على الحجاج فكتب الى أخيه المفضل إنى قد وليتك خراسان ، فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد إن الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ماصنع مخافة أن أمتنع عليه . قال بل حسدتنى قال يزيد : أنا أحسدك ؟ !! ستعلم . وخرج يزيد فى شهر ربيع الآخر سنة (٨٥) خمس وثمانين وأقر الحجاج

المفضل أخا يزيد تسعة أشهر ثم عزله وولى قتيبة بن مسلم الباهلى وقال حضين ليزيدبن المهلب

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى فأصبحت مسلوب الأرادة نادما

فما أنا بالباكى عليك صبابة وما أنا بالداعى لترجع سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين كيف قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى فنفسك ولّ اللوم ان كنت لائما

فأن يبلغ الحجاجَ أن قد عَصَيْته فأنك تلقى أمره متفاقما

قال فماذا أمرته به فعصاك قال أمرته ألا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الامير .

سجن يزيد المهلبى

وقدم يزيد على الحجاج وخرج الحجاج على الاكراد الذين غلبوا على عامة أرض فارس وخرج معه يزيد والمفضل وعبد الملك أبناء المهلب وجعل عليهم فى المعسكر كهيئة الخندق فى فسطاط قريب منه وجعل عليهم الحرس من أهل الشام وطلب منهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم فكان يزيد يصبر صبرا حسنا فكان ذلك مما يغيظ الحجاج فقيل له إنه رمى فى ساقه بنشابة فثبت أصلها فى ساقه فلا يمسها شىء الا صاح فأمر أن يعذب فى ساقه فلما فعلوا به ذلك صاح وكانت أخته هند تحت الحجاج فلما سمعت صوته صاحت وناحت فطلقها الحجاج ثم إنه كف عنهم ، قال الأصمعى إن الحجاج قبض على يزيد وأخذه بسوء العذاب فسأله أن يخففه عنه ويعطيه كل يوم مائة ألف درهم ليشترى بها عذاب يومه فدخل عليه بعض الشعراء فقال

أبا خالد بادت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فلا مُطِرَ الْمَرَوانِ بعدكَ مَطَرَةَ ولا اخضرّ بالمروين بعدكَ عود[١]
فما لسرير الملك بعدك بهجة ولا لجواد بعد جودك جود

فأعطاه مائة الألف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة قد وهبت لك عذاب يومك وما بعده ، وأقبل الحجاج يستأديهم فجعلوا يؤدون وهم يعملون فى المخلص من مكانهم فبعثوا إلى أخيهم مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه أن يضمّر لهم الخيل ويرى الناس أنه يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلى بها كى لاتشترى ففعل ذلك وكان حبيب ابن المهلب أيضا يعذب فى البصرة

هرب يزيد من سجن الحجاج

وصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا فأكلوا وأمر لهم بشراب فسقوا واشتغلوا به ولبس يزيد ثياب طباخه وجعل له لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه وخرج المفضل على أثره فجاءوا إلى سفن معدة فركبوها وساروا ليلتهم حتى أصبحوا ولما أصبح الحرس رفعوا الخبر إلى الحجاج ففزع وظن أنهم يقصدون خراسان وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمره بالحذر منهم وأرسل بذلك إلى أمراء الثغور وبعث إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بهم وأنهم لاتراهم أرادوا إلا خراسان ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل فخرجوا عليها ومعهم دليل من كلب فأخذوا طريق الشام على السماوة .

(١) المروان مثنى مرو وهو حجارة بيض تورى النار وشجر وبلد بفارس

وعلم الحجاج بعد يومين أنهم أخذوا طريق الشام وبعث الى الوليد يعلمه بذلك
وسار يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدى واجتاز
يزيد فى طريقه هذا على أبيات عرب فقال لغلامه استسقنا هؤلاء لبنا فأتاه
بلبن فشربه فقال أعطهم ألف درهم فقال الغلام إن هؤلاء لايعرفونك قال أنا
أعرف نفسى أعطهم ألف درهم فأعطاهم

استجارة يزيد بسليمان

وكان وهيب بن عبد الرحمن الأزدى كريما على سليمان بن عبد الملك فجاء
اليه وأعلمه بحال يزيد وأخوته وأنهم قد استعاذوا به من الحجاج فقال ائتنى
بهم فهم آمنون لايوصل اليهم أبدا وأنا حى فجاء بهم حتى دخلوا عليه فكانوا
فى مكان آمن وكان الحجاج كتب الى الوليد بن عبد الملك إن آل المهلب خانوا
مال الله وهربوا منى ولحقوا بسليمان فلما بلغ الوليد ذلك هون عليه بعض ماكان
فى نفسه وطار غضبا للمال الذى ذهبوا به وكتب سليمان الى أخيه الوليد : إن
يزيد بن المهلب عندى وقد آمنته وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف فأن قال الحجاج
ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف فهى علىّ فكتب اليه لاوالله لاأومنه
حتى تبعث به إلىّ فكتب سليمان : لئن بعثت به اليك لأجيئن معه فأنشدك الله
لاتفضحنى . فكتب اليه الوليد : والله لئن جئتنى به لاأومنه . فقال يزيد :
أرسلنى اليه فوالله ماأحب أن أوقع بينك وبينه عداوة ولا أن يتشاءم الناس
بى لكما . ابعث إليه بى وأرسل معى ابنك واكتب اليه باللطف ماقدرت عليه
فأرسله وأرسل معه ابنه أيوب وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه فى وثاقه
فبعثه إليه وقال لابنه إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد فى سلسلة

ففعل ذلك حتى انتهيا الى الوليد فدخلا عليه فلما رأى الوليد بن أخيه مع يزيد في سلسلة قال لقد بلغ بنا من سليمان ودفع أيوب كتاب أبيه الى عمه وقال له يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لاتخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك وقرأ الكتاب

كتاب سليمان الى أخيه الوليد

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك ، أما بعد : يا أمير المؤمنين فوالله إني أظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته إنك لاتذل جاري ولا تخفر جواري بل لم أجر إلا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر في الاسلام هو وأبوه وأهل بيته . وبعد فقد بعثت به إليك وأنا أعيذك بالله من اجترار قطيعتي وانتهاك حرمتي وترك بري وصلتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ماتدري مابقائي وبقاؤك ولامتى يفرق الموت بيني وبينك . فأن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ألا يأتي علينا أجل الوفاة إلا وهو لي واصل ولحقي مؤد فليفعل. والله يا أمير المؤمنين ماأصبحت لشيء من أمور الدنيا بعد تقوى الله تعالى فيها بأسر مني برضاك وسرورك ؛ ورضاك مما ألتمس به رضوان الله تعالى . فأن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتي وصلتي وكرامتي واعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد وكل ماطلبته به فهو علي

فلما قرأ كتابه قال لقد شققنا على سليمان ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ثم تكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه. ومن يكفر فلسنا كافريه. وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين عدوكم في

لمواطن العظام فى المشارق والمغارب ما إن المنة فيه عظيمة فقال له اجلس لجأ فآمنه وكف عنه ، ورجع الى سليمان

وكتب الوليد إلى الحجاج : انى لم أصل الى يزيد وأهل بيته مع سليمان فاكفف عنهم واله (١) عن الـكتاب الىّ فيهم . فكف عنهم

وكان أبو عيينة عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له وكف عن حبيب وأقام يزيد عند سليمان تسعة أشهر فى أرغد عيش لايأتى سليمان هدية الا أرسل نصفها إليه ولا يعجبه جارية إلا بعث بها إليه . فقول أبى تمام « هذا الوليد رأى التثبت بعدما » البيت يريد بالوليد ابن عبد الملك وقوله

وتمكن ابن أبي سعيد من حجا ملك بشكر بني الملوك سعيد

يريد بابن أبى سعيد يزيد بن المهلب ويريد بقوله « ملك بشكر بنى الملوك سعيد » الوليد بن عبد الملك . وقوله

ماخالد لى دون أيوب ولا عبد العزيز ولست دون وليد

يريد بخالد ، ابن يزيد بن مزيد الشيبانى وبأيوب ابن سليمان بن عبد الملك وجعل المغفري كالحجاج وجعل ابن أبى دؤاد كالوليد بن عبد الملك ، وجعل خالد بن يزيد كأيوب بن سليمان بن عبد الملك فى الشفاعة له

وعزم الوليد بن عبد الملك على خلع أخيه سليمان عن ولاية العهد وأن يجعل ولى عهده ولده عبد العزيز بن الوليد وبايعه على ذلك الحجاج بن يوسف

(١) هو أمر لهى يلهى عن الشىء (كفرح) أى تشاغل عنه أما لها يلهو فهو من اللهو بمعنى اللعب وفرق بينهما واضح قال عمر بن الخطاب كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الاسلام فتشاغلت العرب بالجهاد وغزو فارس ولهيت عن الشعر وروايته .

وقتيبة بن مسلم الذى تولى خراسان بعد عزل يزيد بن المهلب ثم هلك الحجاج
وتبعه الوليد بن عبد الملك قبل أن يخلع أخاه سليمان فتوفى الوليد وتولى
سليمان الخلافة فخافه قتيبة بن مسلم وخشى أن يعزله ويولى خراسان يزيد بن
المهلب فكتب إليه كتابا يهنئه بالخلافة ويعزيه عن الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد
الملك والوليد وأنه على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله
عن خراسان . وكتب اليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ومكانه وعظم قدره عند
ملوك العجم وهيبته فى صدورهم ويذم آل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل
يزيد على خراسان ليخلعنه . وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه وبعث الكتب الثلاثة
مع رجل من باهلة وقال له ادفع إليه الكتاب الأول فأن قرأه وألقاه إلى يزيد
فادفع إليه الثانى فأن دفعه إلى يزيد فادفع اليه الثالث فأن قرأ الأول ولم يدفعه
الى يزيد فاحبس الكتابين الآخرين . فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان
وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الأول فقرأه وألقاه إلى يزيد فدفع اليه الثانى
فقرأه وألقاه الى يزيد فأعطاه الثالث فقرأه فتغير لونه وختمه وأمسكه بيده
وأمر برسول قتيبة أن ينزل بدار الضيافة وأحضره ليلا وأعطاه عهد قتيبة
على خراسان وسير معه رسولا بذلك وأعطاه جائزة

تولية يزيد العراق

وعزل سليمان بن عبد الملك يزيد بن أبى مسلم عن العراق واستعمل يزيد
ابن المهلب وفوض إليه حربها وخراجها فنظر يزيد لنفسه فقال إن العراق قد
أخربها الحجاج ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم صرت مثل الحجاج
وأعدت عليهم السجون وما عافاهم الله منه . ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به
الحجاج لم يقبل منى فأتى يزيد سليمان وقال أدلك على رجل بصير بالخراج توليه

إياه وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم ، فولاه الخراج وأمره بقتل آل أبى عقيل وبسط العذاب عليهم وهم أهل الحجاج فكان يعذبهم ويلى عذابهم عبدالملك بن المهلب . ثم سار يزيد وأقبل إلى العراق وكان صالح قد قدم العراق قبل قدوم يزيد . ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه فلم يخرج صالح حتى قرب يزيد من المدينة ثم خرج إليه وبين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقى يزيد وسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذه الدار فنزل يزيد ومضى صالح حتى أتى منزله وضيق صالح على يزيد فلم يملكه شيئا واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها علىّ . واشترى يزيد متاعا كثيرا وكتب صكاكا إلى صالح بثمنها فلم ينفذها فرجعوا إلى يزيد فغضب وقال هذا عملى بنفسى فلم يلبث أن جاء صالح فأوسع له يزيد فجلس وقال ليزيد ماهذا الصكاك إن الخراج لايقوم بما تريد ولا يرضى بهذا أمير المؤمنين ولقد أنفذت لك منذ أيام صكاكا بمائة ألف درهم وجعلت لك أرزاقك وسالت مالا فأعطيتك فضاحكه يزيد وقال له أجز هذه الصكاك هذه المرة ولا أعود .ففعل صالح ولما ولىّ سليمانُ يزيدَ العراق ولم يوله خراسان وضجر يزيد من العراق لتضييق صالح عليه دعا يزيد عبدالله بن الأهتم وقال انى أريدك لأمر قد أهمنى وقد أحببت أن تكفينيه فقال مرحبا أحببت قال أنا فيما ترى من الضيق وقد أضجرنى ذلك وخراسان شاغرة وقد بلغنى أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرّحنى الى المدينة فأنى أرجو أن آتيك بعهده على خراسان . وكتب الى سليمان يخبره بحال العراق وأثنى على ابن الأهتم وذكر علمه بها وسيره على البريد فأتى سليمان واجتمع به فقال له إن يزيد كتب إلى يذكر علمك بالعراق وخراسان فكيف علمك بها فقال أنا أعلم الناس بها ؛ وبها ولدت ونشأت ولى بها وبأهلها علم وخبر قال فأشر على برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين أعلم بمن يريد

فأن ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه فسمى رجلا من قريش فقال ليس من رجال خراسان قال فعبد الملك بن المهلب فقال لا حتى عد رجالا فكان فى آخر من ذكر وكيع بن أبى سود فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم مقدام وما أحد أوجب على شكرا ولا أعظم عندى يدا منه ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا والنصيحة له تلزمنى ، إن وكيعا لم يجتمع له مائة عنان (١) قط إلا حدث نفسه بغدر قال صدقت ويحك فمن لها قال رجل أعلمه لم تسمه قال فمن هو قال لا أبوح باسمه إلا أن يضمن لى أمير المؤمنين ستر ذلك وأن يجيرنى منه إن علم، قال نعم سمه لى قال يزيد بن المهلب ، قال العراق أحب إليه من خراسان قال قد علمت ولكن تكرهه فيستخلف على العراق رجلا ويسير قال أصبت الرأى فكتب عهد يزيد على خراسان وسيره مع ابن الاهتم فأتى يزيد به فأمر بالمسير من ساعته وقدم ابنه مخلد إلى خراسان

تولية يزيد خراسان

وسار يزيد بعده واستخلف عماله على العراق وكان قتيبة خاف سليمان بن عبد الملك فخلعه ودعا الناس إلى خلعه فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس . وكان قتيبة قد عزل وكيع بن أبى سود العدوانى عن رياسة بنى تميم فحقد وكيع عليه وجرت أمور طويلة وآخرها أنه قتل قتيبة الباهلى وذلك قبل قدوم يزيد بن المهلب بتسعة أشهر . ولما قدم يزيد بن المهلب خراسان غزا جرجان وطبرستان وافتتحهما وكتب إلى سليمان بالفتح ويخبره أنه قد حصل عنده من الخمس ستمائة ألف ألف . وتوفى سليمان بن عبد الملك بعد أن وصل إليه كتاب يزيد بن المهلب وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فعزل يزيد ووجه الى البصرة

---

(١) العنان اللجام والمراد هنا الفرس نفسه ثم فارسه

عدى بن أرطاة الفزارى وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن العدوى وبعث عدى فى أثر يزيد بن المهلب موسى الوجيه الحميرى وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة يأمره بأنفاذ يزيد بن المهلب إليه موثقا وكان عمر قد كتب إلى يزيد أن يستخلف على عمله . ويقبل إليه فاستخلف مخلدا ابنه وقدم من خراسان ونزل واسط ثم ركب السفن يزيد البصرة فبعث عدى بن أرطاة موسى بن الوجيه فلحقه فى نهر معقل عند الجسر فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز فدعا به عمر وكان يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وسأل عمر يزيد عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان فقال كنت من سليمان بالمكان الذى قد رأيت وإنما كتبت إليه بذلك لأسمع الناس به وقد علمت أنه لم يكن ليأخذنى به فقال له ماأجد فى أمرك إلا حبسك فاتق الله وأد ماقبلك فأنها حقوق المسلمين ولا يسعنى تركها

حبس ابن المهلب بحلب

وحبسه بحصن حلب وبعث الجراح بن عبد الله الحكمى إلى خراسان أميرا عليها وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يعطى الناس ففرق أموالا عظيمة. ثم قدم على عمر فقال له ياأمير المؤمنين علام تحبس هذا الشيخ أنا أتحمل ماعليه فصالحنى على ماتسأل فقال عمر لاأرضى الا بجميع المال . وبقى يزيد فى السجن حتى بلغه مرض عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . قال المدائنى كان سعيد بن عمرو بن العاص مؤاخيا ليزيد بن المهلب فلما حبسه عمر بن عبد العزيز منع الناس من الدخول إليه فأتاه سعيد فقال ياأمير المؤمنين لى على يزيد خمسون ألف درهم وقد حلت بينى وبينه فأن رأيت أن تأذن لى فيه فأقتضيه فأذن له فدخل عليه فسر به يزيد فقال كيف دخلت فأخبره سعيد وقال لاتخرج إلا وهى معك

فامتنع سعيد لخلف يزيد ليقبضنها ووجه بها إلى منزله وقال بعضهم فى ذلك

فلم أر محبوسا من الناس ماجدا حبا زائرا فى السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازه بخمسين ألفا عجلت لسعيد

ودخل عليه الفرزدق فرآه مقيدا فأنشده

أصبح فى قيدك السماحة والجو د وحمل الديات والحسب
لا بَطِرٌ إن ترادفت نعم وصابر فى البلاد محتسب

فقال له يزيد ويحك ماصنعت أسأت إلىّ قال ولم ذاك قال تمدحنى على هذه الحالة فقال له الفرزدق رأيتك رخيصا فأحببت أن أسلف فيك بضاعتى فرمى إليه بخاتمه وقال شرواه ألف(١) دينار وهو ربحك إلى أن يأتيك رأس المال

واستمر فى السجن إلى أن مرض عمر بن عبد العزيز وكان ولى عهده يزيد ابن عبد الملك وكان يزيد بن المهلب لما ولى العراق عذب رهط الحجاج وكانت ابنة أخى الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك وكان شفع فى رهط الحجاج فلم يشفعه ابن المهلب فقال يزيد بن عبد الملك أنا أحمل الذى قرر عليهم فلم يقبل منه ابن المهلب فقال لابن المهلب اما والله لئن وليت من الامر شيئا لأقطعن منك عضوا فقال ابن المهلب اما والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف . فلما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز خاف ابن المهلب من يزيد بن عبد الملك فأرسل إلى مواليه فأعدوا خيلا وواعدهم مكانا يأتيهم إليه وأرسل إلى عامل حلب مالا وإلى الحرس الذين يحفظونه وقال إن أمير المؤمنين قد ثقل (٢) فليس يرجى وإن

(١) الشروى المثل والمراد مايوازيه من القيمه
(٢) ثقل كفرح فهو ثاقل وثقيل اشتد مرضه

ولى يزيد بن عبد الملك يسفك دمى فأخرجوه فهرب إلى المكان الموعود وقصد البصرة وكتب إلى عمر بن عبد العزيز يقول . والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكنى خفت أن يلى يزيد بن عبد الملك فيسفك دمى فورد الكتاب وبه رمق وتوفى فى ذلك اليوم رحمه الله تعالى وتولى يزيد بن عبد الملك وجهز لقتال يزيد بن المهلب أخاه مسلمة بن عبد الملك بالجيوش وخرج ابن المهلب من البصرة للقائهم واستخلف عليها ولده معاوية بن يزيد وقدم بين يديه أخاه عبد الملك وسار حتى نزل بالقرب من كربلاء . ثم اقتتل القوم واستمر الحرب بين الفريقين ثمانية أيام وتبدد شمل عسكر يزيد بن المهلب ولم يبق الا فى نفر يسير وكان يحدث نفسه بالفرار وجاء من أخبره أن أخاه حبيبا قتل فقال لاخير فى العيش بعد حبيب ثم تقدم فكان كلما مر بخيل كشفها أو جماعة بددها وأقبل نحو مسلمة لايريد غيره فعطفت عليه خيول أهل الشام بأجمعها فقتل وقتل معه جماعة من أهل بيته . ولما وضع رأس يزيد بن المهلب بين يدى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه فقال مه إنه طاب جسيما وركب عظيما ومات كريما ورثاه شاعره ثابت قطنة بأشياء منها:

كل القبائل بايعوك على الذى ... تدعو اليه وتابعوك وساروا
حتى إذا اشتجر القنا وتركتهم ... رهن الأسنة أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فأن قتلك لم يكن ... عارا عليك ورُبَّ قتلٍ عار

وأجمع المؤرخون على أنه لم يكن فى دولة بنى أمية أكرم من بنى المهلب كما لم يكن أكرم فى دولة بنى العباس من البرامكة . قال الأصمعى قدم على يزيد ابن المهلب قوم من قضاعة فقال رجل منهم :

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد أحدا سواك إلى المكارم ينسب
والله ماندرى إذا مافاتنا طلب إليك من الذى تتطلب
فاصبر لعادتك التى عودتنا أولا فارشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار فلما كان فى العام المقبل وفد عليه فأنشده :

مالى أرى أبوابهم مهجورة وكأن بابك مجمع الأسواق
هابوك أم خافوك أم شاموا الذى بيديك فانتجعوا من الآفاق (١)
إنى رأيتك للمكارم عاشقا والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم . وقال عمر بن لجأ

آل المهلب قوم إن نسبتهم كانوا الأكارم آباء وأجدادا (٢)
كم حاسد لهم بغيا لفضلهم ولا دنا من مساعيهم ولا كاد
إن العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا (٣)
لو قيل للمجد خذ عنهم وخلّهم بما احتكمت من الدنيا لما جادا
إن المكارم أرواح يكون لها آل المهلب دون الناس أجسادا

وحج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فجاء فحلق رأسه فأمر له بألف درهم فتحير

---

(١) يقول إنهم قصدوك هيبة لك أو خوفا منك أو طمعا فى مالك لما نظروا مابيدك منه ولاشك أن المهيب والخوف يقصد إذعانا له بالطاعة أما الكريم فيقصد طمعا فيما فى يده

(٢) الأكارم جمع أكرم كافضل وأفاضل

(٣) العرانين جمع عرنين وهو ما بين العنين من الأنف والمراد السيد العظيم شبه بهذا الموضع لأنه أشرف مكان فى الوجه وهو خير مافى الانسان

ودهش وقال هذه الألف أمضى إلى أمى فلانة فأشتريها (١) فقال أعطوه ألفا أخرى فقال امرأتى طالق إن حلقت رأس أحد بعدك فقل أعطوه ألفين أخرى

وكان المهلب بن أبى صفرة والد يزيد بن المهلب سيدا جليلا نبيلا كريما شجاعا وقد استوفى أبو العباس أخباره فى كامله

روى أنه قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق وهو يومئذ بمكة فخلا به عبدالله بن صفوان الجمحى فقال من هذا الذى شغلك ياأمير المؤمنين يومك هذا قال أوما تعرفه قال لاقال هذا سيد أهل العراق قال فهو المهلب ابن أبى صفرة قال نعم . ومن كلام المهلب بن أبى صفرة لبنيه. مارأيت أحدا قط بين يدى إلااحببت أن أرى ثيابى عليه وإلى ذلك أشار أبو تمام فى آخر قافيته يستهدى بها فروا وهى

فى وصف الفرو

دنا سفر والدار تنأى وتصقب ... ويَنسى سُراه من يعافى ويُصْحَب (٢)

وأيامنا خُزْر العيون عوابس ... إذا لم يخضها الحازم المتلبب (٣)

---

(١) يريد أنها كانت مملوكة فهو يشترى رقها ليعتقها

(٢) صقبت الدار (كفرح) قربت أو بعدت ضد والمراد هنا القرب لمقابلته بتنأى يقول قرب أن نسافر وشأن الأيام أن يبعد المرء عن داره مدة ويقرب أخرى ومن عاد إلى بلده سالما نسى ما لقيه فى سفره من عناء . يقال أصحبت الرجل إذا حفظته ومنعته

(٣) الخزر كالفرح النظر بمؤخر العين أو هو ضيقها وهو نظر العداوة ومنه سمى الخزر وهو جيل من الترك لصغر عيونهم وعداوتهم للعرب وخزر العيون جمع اخزر وهو وصف من هذا كناية عن الأعداء . المتلبب المشمر ثيابه كناية عن الاستعداد للقتال والمواثبة

ولا بد من فرو إذا اجتابه امرؤ غدا وهو سامٍ فى الصنابر أغلب (١)

أمين القوى لم تَحصُص الحرب رأسه ولم ينض عمرا وهو أشمط أشيب (٢)

يسرك جَسّا وهو غير مُغمَّر ويُعتدُّ للأيام حين يُجرَّب (٣)

تظل البلاد ترمى بضريبها وتُشمل من أقطارها وهو يُجنَب (٤)

الضريب الثلج وتشمل بريح الشمال وتجنب من الجنوب

إذا البدن المقرور أُلبِسَه غدا له راشح من تحته يتصبب (٥)

إذا عدّ ذنبا ثِقلَه مَنكِبُ امرئ يقول الحشا إحسانُه حين يذنب (٦)

---

(١) اجتاب القميص لبسه . الصنابر جمع صنبر كجردحل وهو شدة البرد

(٢) الحص حلق الشعر نضى اللابس الثواب وأنضاه أبلاه . الشمط اختلاط بياض الرأس بسوادها يقول فى وصف الفرو الذى يستهديه إنه قوى متين لم تحلق رأسه من طول مجالدته للأيام ولم يمض عمرا طويلا فى الاستعمال

(٣) يقول إن الفراء على خلاف شأن الناس فأنه لا يحمد فيها إلا غير المجرب فالفرو يسرك جسه قبل أن يدخل فى غمار الاستعمال ويتخذ عدة لمقاومة البرد حين يبدأ طور التجربة أى قبل أن تكون له تجربة والناس لا يحمدون إلا بعد أن يكونوا مجربين قد خاضوا الغمار

(٤) يقول فى حين تترامى البلاد بالثلج وتهب ريح الشمال الباردة يكون هذا الفرو مجنبا أى كأنه فى ريح الجنوب الحارة

(٥) الراشح العرق . والمعنى ظاهر

(٦) يقول اذا عده المنكب الذى يحمله ثقيلا قالت الاحشاء التى أحست الدفء بارتدائه إن إحسانه لم يأت إلا من ناحية ذنبه وهو الثقل فلو لم يكن ثقيلا ما أدفأ

أثيث إذا استعتبت مُعْصِفَةً به ... تملأت علما أنها سوف تعتب (١)

يراه الشفيف المرثعِنُّ فينثنى ... حسيرا وتغشاه الشمال فتنكُب (٢)

الشفيف ريح باردة والمرثعن المسترخى

إذا ماأساءت بالثياب فقوله ... لها كلما لاقته أهل ومرحب (٣)

إذااليوم أمسى وهو غضبان لم يكن ... طويل مبالاة له حين يغضب (٤)

كأن حواشيه العلا وخصوره ... وماانحط منه جمرة تتلهب

فهل أنت مهديه بمثل شكيره ... من الشكر يعلو مصعداويصوب (٥)

فأنت العليم الطب أى وصية ... بها كان أوصى فى الثياب المهلب (٦)

وكتب أبو الحسن على بن محمد القرطبي النحوى الشهير بابن خروف (٧) إلى أبى المحاسن يوسف الشهير بابن شداد يستجديه فروا بقوله

---

(١) أثيث كثير الوبر والاستعتاب طلبك ممن أغضبك أن يرضيك . والاعتاب الارضاء يقول . اذا أخذته شفيعا الى الريح العاصفة لتمنع عنك أذاها كان شفيعا مشفعا فأجابت الريح طلبك ومنعت عنك أذاها

(٢) الحسير المتعب . الشمال بالفتح الريح التى من جهة الشمال ٠ نكب كنصر وفرح عدل

(٣) أساءت بالثياب أى فعلا فالمفعول محذوف لفهمه من السياق وقوله لها مرحبا لأنه لايجد منها أذى فهو يحبها

(٤) أراد بغضب اليوم شدة برده

(٥) الشكير صغار الريش أطلقه على وبر الفرو وقوله فهل أنت مهديه بمثل شكيره من الشكر أى بشكر كثير كثرة وبره

(٦) الطب بالفتح الحاذق الماهر بعمله

(٧) هو على بن محمد بن نظام الدين الاندلسى كان اماما فى اللغة مشاركا

بهاء الدين والدنيا ونور المجد والحسب
طلبتُ مخافة الأنو اء من نعماك جلد أبي (١)
وفضلك عالم أني خروف بارع الأدب
حلبتُ الدهرَ أشطرَه وفي حَلَب صفا حلبي (٢)

لازال سيدي يسحب ذيول السراء، (٣) ويحب النحاة من أجل الفراء (٤)

في الأصول لم يتزوج في حياته واختل آخر عمر حتى مشى في الأسواق عريان بادي العورة. وله مناظرات مع السهيلي. صنف شرح كتاب سيبويه وشرح الجمل وكتابا في الفرائض. مات سنة ٦٠٩ هـ عن خمس وثمانين سنة ومن شعره في الكاس

أنا جسم للحميا والحميا لي روح
بين أهل الظرف أغدو كل يوم وأروح

(١) الانواء جمع نوء وهو النجم مال للغروب والعرب كانت تستدل بهذه النجوم على المطر وهبوب الرياح حتي قالوا مطرنا بنوء كذ واشتهر ذلك حتى أطلقت الانواء على الامطار لما كانت سببا فيها. ويريد بجلد أبي جلد الخروف لكون اسمه ابن خروف

(٢) لكل ناقة شطران أي جانبان للضرع في كل شطر حلمتان وإذا حلب شطرا الناقة لم يبق فيها لبن فيكى بذلك في قولهم حلبت شطرى الدهر عن استيفاء التجربة فيه وقد يستعمل الجمع وهو أشطر في موضع المثنى وذلك كثير في العربية حتى قال النحاة إن الجمع مافوق الواحد من كثرة ما رأوا الجمع مرادا به الاثنان .

(٣) السراء: الشرف

(٤) الفراء رئيس الكوفيين في النحو على أيامه وكان أماما ثقة له شأن

لمين على الخروف النبيه ، بجلد أبيه . فأن الصّباغ . قريب عهد بالدباغ (١) ماضل طالب قرضه ولا ضاع ، بل ذاع ثناء صانعه وضاع . أثيث (٢) خمائل الصوف ، يهزأ من الرياح بكل هوجاء عصوف . إذا ظهر إهابه، يخافه البرد ويهابه مافى الثياب له ضريب ، إذا نزل الجليد والضريب (٣) ولا فى اللباس له نظير، اذا عرى من ورقه الغصن النضير (٤) لا كطيلسان بن حرب ، ولا جلد عمرو الممزق بالضرب (٥) فرجيّ النوع (٦) ، أرجى الضوع (٧) ليكون تارة لحافا

عظيم فى اللغة ومذهب ومريدون قال أبو العباس ثعلب « لولا الفراء لما كانت العربية لأنه حصلها وضبطها » وقد حظى عند المأمون فعهد اليه بتعليم ابنائه واقترح عليه تأليف كتاب يجمع أصول النحو وأمر فأفردت له حجرة فى دار الخلافة ليؤاف كتاب « الحدود » ووكل به جوارى وخدما وكفاه كل كل مؤونة حتى لكان يؤذن له بأوقات الصلاة . وكان من شهرته يقال عنه (الفراء أمير المؤمنين فى النحو) مات سنة ٢٠٧ ه

(١) هى فى الأصل الضباغ لم أجد فى كتب اللغة كلمة الضباغ بالضاد والباء والغين وحاولت تقليبها على الأوجه الممكنة فلم أجدها توافق إلا على جعلها الصباغ بالصاد بدل الضاد ويكون فد أجرى كلامه مجرى المثل أي أن الصباغ (الذى يلون الثياب) قريب عهد بعمله وهو الدبغ وان كان الدبغ للجلد أصلا ويريد أنى لكوني ابن خروف فأنا قريب عهد بالفرو فلا أستغنى عنه . أقول هذا وأنا غير مرتاح لهذا التخريج ولعلنى أوفق إلى خير منه إن شاء الله

(٢) أثيث كثيف متراكم

(٣) ضريب الأولى بمعنى مثيل والثانية بمعنى الثلج

(٤) كناية عن مجيء شتاء لأن فيه تتجرد الأغصان من أوراقها

(٥) يشير إلى كثرة قول النحاة ضرب زيد عمرا

(٦) الفرجية جبة واسعة يلبسها العلماء بمصر

(٧) الارج . انتشار ريح الطيب . والضوع انتشار الرائحة من الطيب

وتارة بُرْدا ، وهو فى الحالين يحيي حرا ويميت بَرْدا. لازال مهديه سعيدا ، ينجز للأولياء وعدا وللأعداء وعيدا .

وقد ذكر العماد الكاتب(١) فى الخريدة أن أبا الفتح المعروف بابن التعاويذى(٢)

فلأجل فهم هذه الاضافة نقصر الأرج على معنى الريح الطيب والضوع على معنى الانتشار

(١) هو عماد الدين الاصبهانى . نشأ بأصبهان وأتى بغداد فى حداثته وتعلم بالمدرسة النظامية وحصل بينه وبين صلاح الدين الأيوبى مودة قربه بها إلى السلطان نور الدين فولاه ديوان الانشاء فى العربية والفارسية . ولما علم بمجئ صلاح الدين الاستيلاء على الشام بعد موت نور الدين لزمه فقربه حتى صار من الصدور المعدودين وقد اشتهر بالانشاء المسجوع على عادة عصره وله مؤلفات منها الفتح القدسى فى الفتح القدسى ويسمى أيضا الفتح القسى وصف فيه صلاح الدين وفتحه لبيت المقدس وهو مسجوع العبارة سجعا ملتزما. ومن مؤلفاته أيضا خريدة القصر وجريدة أهل العصر فى تراجم أدباء القرن السادس للهجرة من معاصريه جعله ذيلا على دمية الدهر للوارق الحظيري وهذه كانت قد عملت ذيلا على دمية القصر للباخرزى وهذه ذيل ليتيمة الدهر للثعالبي. وقد توفى رحمه الله سنة ٥٩٧ هـ ودفن بمدافن الصوفية بدمشق

(٢) ابن التعاويذى هو ابو الفتح محمد بن عبد الله ويعرف أيضا بسبط التعاويذى ونسب إلى جده المسمى المبارك بن المبارك لأنه كفله صغيرا قال ابن خلكان فى حقه : شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعانى ودقتها وهو فى غاية الحسن والحلاوة وفيما أعتقد لم يكن قبله بمائتى سنة من يضاهيه ، وقد عمى فى آخر عمره وله فى عماه أشعار كثيرة يرثى بها عينيه . وقد جمع ديوانه بنفسه قبل عماه وجعل له مقدمة ورتبه على أربعة فصول وكل ماجدده بعد ذلك سماه الزيادات وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٣ مضبوطا بعناية الاستاذ المستشرق مرجيلوث ومات سنة ٥٣٨ رحمه الله

كان صاحبه لما كان بالعراق فلما انتقل العماد إلى الشام واتصل بخدمة صلاح الدين كتب إليه ابن التعاويذى يستهديه فروة بقوله:

قد كاف مكارمه وإن لم يكن للجود عليها كلفة، وأتحفه بما وجهه اليه من أمله وهو لعمر الله تحفة . إهداء فروة دمشقية ، سرية نقية. يلين لمسها، ويزين لبسها دباغتها نظيفة ، وخياطتها لطيفة ، واسعة كصدره ،نقية كعرضه، رفيعة كقدره موشية كنظمه ونثره ، ظاهرها كظاهره وباطنها كباطنه يتجمل بها اللابس ، ويتحلى بها فى المجالس هى لخادمه (١) سربال ، وله حرس الله مجده جمال. يشكره عليها من لم يلبسها ، ويثنى عليه بها من لم يتدرعها . تفنى خميلة(٢) وبرها ويبقى حميد أثرها ويخلق إهابها وجلدها ، ويتجدد شكرها وحمدها

وقد نظم أبياتا ركب فى نظمها الغرور وأهدى بها التمر إلى هجر (٣) إلا أنه قد عرض الطيب على عطاره، ووضع الثواب فى يد بزازه وأحل الثناء فى محله وجمع بين الفضل وأهله. وهى فى حسبه وخفارة كرمه . وهذه الأبيات

(١) يريد بالخادم نفسه

(٢) الخميلة القطيفة يريد أن الفرو يتجرد ماعليه من وبر ويبقى الحمد عليه دائما

(٣) الفاعل لنظر هو الخادم المذكور فيما سبق وقد عنى به نفسه . وقوله أهدى التمر إلى هجر مثل مشهور يضرب لمن يضع الشىء فى غير موضعه لأن هجر مشهورة بالتمر فمن حمل اليها تمرا من نواح اخرى طالبا للكسب ببيعه فيها فقد أخطأ . ومراد الكاتب هنا أنه أهدى شعرا إلى رب الشعر وبلاغة إلى علم البلاغة فهى لا بد غير رائجة عنده

بأبى من ذبت فى الحـــب له شوقا وصبوه
كلما زاد جفاه زاد من قلبي حُظوه
شقونى ماتنقضى فى حبه والحب شقوه
رحت أشكو فيه والـــمحزون لايكتم شجوه
لو أجاب الله للعا شق فى المعشوق دعوه
لسألت الله أن ينصفني من حب عَلوه
ملـكت قلبي وقد كا ن من الحب بنجوه (١)
كتبت فيه هوى لا يملك العاذل محوه
يامليحَ الدل زد جو را على القلب وقسوه
لى بمن مات بداء الحب فى حبك أُسوه
لاأباح الله لى وصلك إن أضمرت سُلوه
وأما والثغرُ يصبيـــني لَمىً فيه وحُوّه (٢)
واجتماع سمح الوصـــل به منك وخَلوه
تمزُج القهوة لى من ريقك العذب بقهوه (٣)
قسما إن عماد الد ين فى الآداب قُدوه
جمع السؤدد أخـــلا قا ونفسا وأُبوه

---

(١) النجوة المكان المرتفع
(٢) أصباه جعله يصبو . اللمى سمرة فى الشفة والحوة فى الشفة حمرة إلى سواد « هى السمرة » فاللمى والحوة بمعنى
(٣) القهوة الخمر والمراد أن ريقه تفعل فعل الخمر فى الذهاب باللب

وسما فى مجـده البا   ذخ فى أرفع ذروه
فهو لايجذب عطفيـــه لغير الحمـد نشوه
خالص الود وود والنـــاس ممذوق مُموَّه (١)
سيد لـكنه يعـــتدنا فى الود إخوه
ياجوادا ماراًى   قط له الحساد كبوه
وبليغا أخرست أقـــلامه كل مُفوَّه
لم يُحلْ عهدك ما أو   تيت من حال وثروه
إن بغداد التى   للبخل أضحت دار دعوه
وبنوها فهمُ أكـــثر أهل الأرض جفوه
قـد أقام الثلج فيها   شَتْوة من بعد شَتْوه
فهو يعدونا مساء   فى نواحيها وغُدوه (٢)
مثل مايتبع نور الد   ين فى الأعداء غَزْوه
فافر عن جسمى أذا   ه ياأخا الجود بفروه (٣)

(١) الممذوق الممزوج ومنه المذق وهو اللبن المخلوط بالماء . المموه المطلى بماء الذهب والمراد أنه يظهر كأنه مذهب وليس كذلك

(٢) يقال عدا عليه بمعنى ظلمه وتعدى عليه ولم يرد فى كتب اللغه الا متعديا بعلى فلعله هنا ضمنه معنى ظلم . وكنت حاولت أن أقول إن الشاعر أراد عدا بمعى شغل وهى متعدية تقول عداني عن هذا الأمر أى شغلنى عنه فيخرج الكلام على الصحة ولكن البيت الذى بعده يدل على أنه أراد معنى العدوان فلا محيص عما التمسناه له من التخريج الأول

(٣) فرى الرجل الاديم شقه والمعنى هنا اكشف عنى أذاه

فروة تصلح أن يهـــديها مثلك كسوه

اكتسى منها جمالا رائعا من كل ندوه [١]

ففِرا جلّق عند النـــاس فى بغداد شهوه [٢]

تعتلق كفك من شكرى لها أوثق عروه

فالكريم الخيم من وُجّهتِ الآمال نحوه [٣]

إننى مازلت ذا تيـــه مع العدم ونخوه

قلّ أن أضرَع أو أر كب للأطماع هُوّه [٤]

ذا إباء آخذ الرز ق بحد السيف عَنْوه [٥]

أتعاطاه بكف ويد تملك عفوه [٦]

---

(١) الندوة النادى وهو مجتمع القوم

«٢» فرا مقصور فراء بالكسر وهى جمع فروة وهى ذالك اللباس المعروف الذى يتخذ من جلد السمور أو غيره فيقطع ثوبا يكون ظاهره وبر الجلد ويبطن من داخله . جلق كحمص وقنب دمشق أو غوطتها

«٣» الخيم : السجية والطبيعة لا واحد لها كذا عبارة القاموس المحيط ولعله أدار السجايا والطباع حتى يتحقق دلالتها على الجمع فيحسن موقع قوله «لا واحد لها» بعد ذلك

«٤» الهوة ما انهبط من الأرض والمراد أنه لا ينحط بأطماعه إلى الحضيض والوهاد بل يظل بشرفه مشرفا على اليفاع . ضرع كفرح ذل وهان

(٥) العنوة القهر والغصب يقال فتحت البلدة عنوة أى بالحرب

(٦) العفو المحو هنا والمعنى آخذ الرزق لا بيد ذليل خاضع يركع للمعطى ولكننى لإبائى أتناول بكف قادرة على محوه وإبادته إن لم آخذه . ويصح

غير أن العيش قـد كدرت الأيام صفوه
كم لها من زلة عنـدىَ مذ غبتَ وهفوه
بعد ما قد كنت ذا أمر عليهن وسطوه
وادع الهمة لا تُقْـرَع لى بالهم مَرْوه [١]
هَرِمَ الحظُّ فقد قارب فى الحاجات خطوه [٢]
لا تراه أبـدا إلا مع الجهال صَفْوَه [٣]
فاستمعها عذبة الألفاظ فى مدحك حُلوه
تسأل الله بأن يرزقها عندك جَلوه [٤]

فأرسل له فروة معها هذه الأبيات

بأبى معتدل القامة فى عِطْفَيه نَشوه

أن يكون العفو بمعنى الزيادة ويكون المعنى أنى لست بفقير آخذ ما يقوتنى بل إنى إذا أخذت شيئا كان عندى ما نزيد عليه . وكأنه يحكى بذلك حكاية ماضيه ثم يعلل عارض فقره فى البيت التالى بأن الايام هى التي كدرت صفو عيشه وضيقت عليه فيه

(١) وادع الهمة أى ساكن هادىء لا أجد ما يحفزني إلى طلب الرزق لا تقرع لى بالهم مروة أى ليس عندى هموم وأحزان تؤثر فى. والمروة الحجر أراد به نفسه

(٢) مقاربة الخطو كناية عن الضعف والبطء

(٣) نصب كلمة صفو على البدلية من المفعول فى تراه أى لا ترى صفو العيش إلا مع الجهال

(٤) الجلوة إهداء العروس إلى زوجها أي تقديمها إليه

حاكمٌ في مهج العشـــاق لايقبل رشوه
متعد أَوَ مايخشـــى من المظلوم دعوه ؟
شِبْه رِيم غصن با نٍ بدرِدَجْنٍ شمس ضحْوه
فِيه تيه ودلال وله لين وقسوه
يِمل العِطْف ومادا رت عليه كأس قهوه
سل سيف الطرف لمـــا رام أخذ القلب عَنْوه
وعلى ضَعْفي لسلطا ن هواه كلُّ سَطْوه
أتمنى ليلة من طيفه في النوم حُلوه
كيف أن أطمع في الطيف وما للعين غفوه
ومتى أسعد بالوصـــل فأن البين شِقْوه
أيها المثبت في اللو م هوى يقصد محوه
أنا لاأسلو ولا من حب عذلى لك سلوه(١)
إن قلبي لست أرجو بعد سكر الوَجد صحوه(٢)
آه يالهفي على عيش مضى في دار عَلوه
وزمان كَدَّر الهجـــران بعد الوصل صفوه
وكرام صيرتهم نسبة الآداب إخوه
حين كان الدهر للغفلة عن قصدي بنجوه
حين لم أعقد ولم أحلُل لغير الحب حَبوه (٣)

(١) أنا لاأترك الحب وأنت لاتترك عذلى لأنك تحبه كما أحب محبوبي
(٢) الصحو الافاقة
(٣) احتبي الرجل جمع بين ظهره وساقيه بحبل أو عمامة والاسم حبوة بالفتح والضم

أبذل الثروة للــحمد فأن الحمد ثروه
رافلا من ملبس العيشة فى أبهج صفوه (١)
حق ياقلب على تذكارهم أن تتأوه
ياأخلاى ببغدا د سقيتم كل غدوه
ورزقتم بالمساعى الــغر عند الله جلوه
ونعمــتم جنان الــخلد فى أمرع عدوه (٢)
وأمنتم نائب الدهــــر ونلتم كل حظوه
مايسليني عن دجـــلة جيرون وبروه (٣)
لا ولا جلق تلهيـــنى وفيها كل شهوه
أيها المعرق يزجى بزمام الشوق نضوه (٤)
نافذا فى السير كالسهـــم إلى أبعد غلوه (٥)
راكبا فى درك البغـــية للصبية صهوه (٦)
جاز حد الوجد حــتى صار ذكر الجزع حدوه (٧)

---

(١) الصفوة من شيء خياره
(٢) العدوة المكان المتباعد أو المرتفع
(٣) لعل جيرونا وبروة اسما نهرين بدمشق
(٤) المعرق الذاهب نحو العراق . النضو المهزيل من الابل وغيرها
(٥) الغلوة مرماة السهم
(٦) الصبوة جهلة الفتوة وتجمع على صبية وما كان احراه ان يأتي بها مفردة فأنه الكثير المستعمل
(٧) يريد صار ذكر منزل المحبوبة هو الذى يحدو به إبله فى السير كناية عن التزامه واتخاذه هجيراه تلذذا به

عُجْ على نهر المُعَلّـــــى واصرف الهمة نحوه
لذ بأجواد هُمُ أهل الندى فى كل نَدْوه
وعن المشتاق بلّغ نبأً من غير نبوه
ولأشفاقك من شجوهِمِ لاتبد شَجْوه
والَهْ عن عتبي فأذ كارك بالجفوة جفوه
وأنا المذنب فاطلب لى من المحسن عفوه
يا أبا الفتح الذى أضحى لأهل الدين قدوه
والذى حل من العلـــياء فى أسمق ذروه (١)
وهو فى الشعر وفى الـــعلم كحسان وعروه (٢)

---

(١) السموق الذهاب فى الجو علوا وأسحق أعلى

(٢) حسان هو ابن ثابت الانصارى شاعر رسول الله . وأمره مشهور وعروة من شعراء العرب كثيرون فنهم عروة بن حزام العذرى ومن شعره قوله فى عفراء

متى تكشفا عنى القميص تبينا بى الضر من عفراء يافتيان
إذاً تريا لحما قليلا وأعظما بلين وقلبا دائم الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفيانى
فما تركا من حيلة يعرفانها ولاشربة إلا وقد سقيانى
ورشا على وجهى من الماء ساعة وقاما مع العواد يبتدرانى
وقالا شفاك والله والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

ومنهم عروة بن الورد الذى يسمى عروة الصعاليك لأنه كان كالرئيس عليهم ويجمعهم ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم ويعولهم اذا لم يكن لهم معاش ومن شعره الدال على مذهبه قوله

وهو من ودى له معتلق أوثق عروه
لك فى شكوي الليا لى بالكرام الغر أُسوه
فلأحداث الليا لى غزوة من بعد غزوه
نفر الحظُّ فقد أو سع عن ذى الفضل خَطوه
وبنو الدهر رجا ل فى معانيهم كنسوه
ماترى فى أحد منـــــهم لأهل الفضل نخوه
هم عن الخير جمو د ولهم فى الشر نَزْوه
ومرجيهم كباغ لبنا من ضَرْع لَبْوه
فتصبر فعسى المقـــــدارُ أن يَلْفِت صغوه(١)
أنت من يعتذر الد هر به فى كل هفوه
مشرق البهجة حسنا صادق اللَّهوة أفوه(٢)
خطبتنى منك عذرا ء لها بالمجد صبوه
عرفت بالأَنَف المـــــر لدينا وهى حلوه
وحوت فى حلبة السـ بق المدى من غير كبوه

وإنى امرؤ عافى إنائى شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى بجسمى شحوب الحق والحق جاهد
افرق جسمى فى جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

(١) الصغو الميل ومعنى يلفت صغوه أى يميل الينا بعد أن كان مائلا عنا
(٢) اللهوة العطية أو المرأة يتلهى بها ليس أحد المعنيين صالحا لهذا المقام انما هو يريد اللهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق ولم أعثر على أن فيها لغة غير لهاة فلعل الشاعر أخطأ أو تكون الكلمة محرفه عن لهجة . أفوه بمعنى واسع الفم
(٣) الأنف الكبر والمرأى الشديد على الناس

حصل العارى من العا ر على أفضل كسوه
أنا فى النظم كمن يهدى إلى البصرة قَجْوه(١)
ومتى تذكر فى الحسن مع الطاوس صَعْوه(٢)
لاتخف من شتوة جا ءت فقد جاءتك فروه
غير أنى أسبق الشتــوة من شعرى بشتوه
خالف الزبدة ما فيــه من الكلفة رغوه(٣)
احم من خاطرك الوقاد معناه بجذوه

رجع الى أبى تمام

وقول أبى تمام

لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على المحسود

اى لولا أن الحاسد يتخوف عواقب الحسد وسوء صرعته لما زال منعما على المحسود لما يظهر من فضائله ويشهر من مناقبه .

ولما قدم الأفشين بعد أن فتح بلاد بابك الخرمى امتدحه الشعراء منهم أبو تمام فأنه مدحه بقافية نونية منها

---

(١) هو كقولهم كمستبضع التمر الى هجر تماما.الصعو عصفور صغير أى كيف يوزن الصعو بالطاوس

(٢) يقال هو خالف أهل بيته أى غير نجيب لاخير فيه وقوله مافيه رغوة أي أنه مذق غلب ماؤه حتى ماتنشأ له رغوة وهى تكون من أثر الدسم فى اللبن

لاقاك بابك وهو يزآر فانثني　　وزئيره قد عاد وهو أنين

لاقى شكائم منك معتصمية　　أهزَلْنَ جنبَ الكفر وهو سمين[١]

لما رأى علميك ولّى هاربا　　ولكفره طرف عليه سخين[٢]

ولّى ولم يظلم وهل ظلم امرؤ　　حَثّ النجاةَ وخَلْفَه التّنّين

أوقعت فى أَبْرَ شْتَويمَ وقائعا　　أضحكن سن الدهر وهو حزين[٣]

لو أن هذا الفتح شكٌّ لاكتفت　　منه القلوب فكيف وهو يقين

---

(١) الشكائم جمع شكيمة وهى الأنفة والانتصار من الظلم ويقال فلان قوى الشكيمة أى شديد الأنفة مأخوذ من هذا أو من الشكيمة وهى الحديدة توضع معترضة فى فم الفرس وإذا اتخذت قوية صلبة كان ذلك دليل قوة الفرس نفسه فيكنى بهذا عن هذا

(٢) ذكروا أن علميه هما بيضة الدرع وعلامة الإمارة التنين حية عظيمة هولوا من شأنها حتى قال بعضهم ان لها سبعة رءوس . وقوله وهل ظلم أى ظلم نفسه أى إساء اليها بفعل يشينها والاستفهام مراد به النفى أى أنه لم يظلمها . وقوله حث النجاة أى حملها على الإسراع فيكون قد جعل النجاة دابة يتخلص بها من الخطر ولكن اذا تصورنا ان النجاة هى الغاية من الاسراع لم نتصور أن تكون هى المحثوثة اذ المعقول أن تكون المحثوث شيئا آخر يوصل اليها . لذلك يحسن عندي ان تكون كلمة النجاة مفعولا لأجله جاء على قلة معرفا منصوبا ويكون المفعول به لحث محذوفا والتقدير حث دابته للنجاة إلا ان يقال ان فى الكلام حذف مضاف أقيم المضاف إليه مقامه والأصل حث دابة النجاة

(٣) رواية الديوان كالتى هنا ولكن التبريزي يروى الدين بدل الدهر وأنا أستثقل من أبى تمام أن يجعل الدين أو الدهر ضاحكا ولا يكتفى بذلك بل يزيد فى الافتراض فيجعل له سنا يضحك بها وهذا من استعاراته المتكلفة

ومن جملة من مدحه من الشعراء محمد بن وهيب بقصيدة أولها

طلول ومغانيها   تناجيها وتبكيها

وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلثمائة ألف درهم وأمر أن يكون تفريقها على يد أحمد بن أبى دؤاد فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفا وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم فتحدث الناس فى ذلك قال ابن أبى كامل. قلت لعلى بن يحيي المنجم ماهذا الحظ تعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفا وبينهما كما بين السماء والأرض . فقال لذلك علة لاتعرفها كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان فلذلك وصل إلى هذه الحال . وكانت هذه القضية قد أثرت فى أبى تمام فقال فى ابن أبى دؤاد

بدعة أحدثت خِلاف الرشاد   نفسها قائد إلى الجور هادى

نَبِطِىٌّ بالأمس أحدث آبا   ء خلاف الآباء والأجداد (١)

ياوسيطا فى نابط وبنيه   وبريئا من عامر ومراد (٢)

أنت فيما فعلت أجرأ من عمـ   ـرو جنانا والحارث بن عُباد (٣)

(١) النبط أو النبيط أو الانباط قوم من العجم يسكنون بين العراقين بالبطائح يضرب بهم المثل فى اللكنة واستغلاق الكلام

(٢) تصور أبو تمام أن النبط أولاد نابط فقال أنت وسيط أى متوسط فيهم أى منهم ولكنك برىء من القبيلتين العربيتين عامر ومراد اللتين تدعي النسب فيها كذبا

(٣) الجنان القلب أو الروح . وعمرو هو ابن معد يكرب الزبيدى وقد تقدمت ترجمته ص ٢٢ وأما الحارث بن عباد فهو رئيس بكر وكان قد اعتزل حرب البسوس وقال فيها لاناقة لى فى هذا ولاجمل فكان أول من أرسلها مثلا فلما قتل ابنه بجير بواردات قتله مهلهل أخو كليب وقال بؤ بشسع كليب ، وبلغ

قلتَ إني صايبةَ مِنْ إياد مَنْ إياد؟ ففي حِر أُمّ إياد (١)

فبلغ ذلك ابن أبي دؤاد . وزعم أبو تمام أنه مقول على لسانه واستشفع بخالد بن يزيد الشيباني فعفا عن أبي تمام فقوله

من بعد ماظنوا بأن سيكونُ لى يوم بغيهم كيوم عَبيد

يوم عبيد

يريد به عبيد بن الأبرص الأسدى فأنه لقى المنذر يوم بؤسه الذى كان لايلقاه فيه أحد إلا قتله فقتله ، وكان له نديمان من بنى أسد أحدهما خالد بن نضلة والآخر عمرو بن مسعود بن كلدة فأغضباه وهو على الشراب فأمر أن تحفر لكل منهما حفرة بظاهر الحيرة ثم يجعلا فى تابوتين ويدفنا فى الحفيرتين ففعل ذلك بهما فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بهلا كهما فندم على ذلك وحزن عليهما وقالت نادبتهما

ألا بَكَر الناعى بخيرى بنى أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال أحد بنى أسد فى خالد بن نضلة يرثيه

ياقبر بين بيوت آل محرّق جادت عليك رواعد وبروق

الحارث قتل ابنه فقال نعم الولد أصلح بين ابنى وائل فقيل له إن مهلهلا قال لما قتله بؤ بشسع كليب ، فغضب عند ذلك ونادى بالرحيل وقال قصيدته المشهورة

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

لابجير أغنى قتيلا ولارهـ ـط كليب تزاجروا عن ضلال

لم أكن من جناتها علم اللـ ـه وإني بحرها اليوم صال

وحديثه طويل نكتفى منه بهذا

(١) يقال هو من إياد صليبية إذا كان منهم حقا لحما ودما وليس اتصاله بهم بالولاء . وقوله « ففى حر ام إياد . . . . » كلام ناقص وتكميله يزيده نقصا

أما البكاء فقلَّ عنك كثيرُه ولئن بكيتَ فبالبكاء خليق

تسمية الغريين

ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغريين عليهما . وإنما سميا بالغريين لأنهما لما بنيا أمر بأبل كثيرة فنحرت عندهما وغريا بدمائها إعظاما لهما . وموضعهما بالكوفة معروف . وجعل المنذر لنفسه يومين فى السنة يجلس فيهما عند القبرين أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس فأول من يطلع عليه فى يوم بؤسه يأمر بذبحه ويغدّى بدمه الغريان فلبث فى ذلك برهة من دهره ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه فى يوم من أيام بؤسه فقال هلاّ كان الذبح لغيرك ياعبيد فقال أتتك بحائن رجلاه (١) فقال المنذر وأجل بلغ أناه (٢) . ثم قال له المنذر أنشدنى فلقد كان شعرك يعجبنى فقال عبيد . حال الجريض دون القريض (٣) . فقال له أسمعنى فقال المنايا على الحوايا (٤) . فقال له بعض القوم أنشد الملك هبلتك أمك (٥) فقال : وماقول قائل مقتول فقال آخر ما أشد جزعك من الموت فقال : لا يَرْحَل رَحلك من ليس معك . فقال له المنذر قد أمللتنى فأرحنى قبل أن آمر بك فقال عبيد من عزبز (٦) فأرسل

---

(١) الحائن من قدر عليه الحين أى الموت

(٢) الأني كفتى الغاية

(٣) الجريض الغصة بالريق . والمثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق

(٤) ويروى المنايا على السوايا قال أبو عبيد الحوايا أو السوايا مراكب النساء قال وأحسب أن أصلها قوم قتلوا فحملوا على هذه المراكب فصارت مثلا يضرب عند الشدائد والمخاوف

(٥) الهبل الفقد

(٦) أى من قوى غلب وسلب

جميع كلماته أمثالا فقال المنذر أنشدنى « أقفر من أهله ملحوب » فقال

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد

عنت له مِعَنَّةٌ نَكود وحان منه لهـا ورود

فقال له المنذر لابد من النذر (١) ولو أن النعمان عرض لى فى يوم بؤسى. فاختر إن شأت من الأكحل وإن شئت من الوريد . فقال عبيد إن كنت لامحالة قاتلى فاسقنى الخمر حتى إذا ماتت (٢) مفاصلى وذهلت له ذواهلى فشأنك وماتريد فأمر له المنذر بحاجته من الخمر حتى إذا أحدث فيه وطابت نفسه دعابه المنذر ليقضى عليه وأمر أن يفصد فسال دمه حتى مات وغرّى بدمه الغريين

سبب ترك المنذر

الجلوس يوم النعيم ويوم البؤس

ولم يزل يفعل ذلك فى كل يوم بؤس مر بيه رجل من طىء يقال له حنظلة ابن عفراء فقال له أبيت اللعن إنى أتيتك زائرا ولأهلى من خيرك مائرا. فلا تكن ميرتهم قتلى فقال له المنذر لابد من ذلك فاسألنى حاجة أقضها لك قال تؤجلنى سنة أرجع فيها إلى أهلى وأحكم من أمرهم ماأريد ثم أصل إليك فتنفذ فىّ أمرك فقال من يكفلك حتى تعود فنظر فى وجوه القوم من جلسائه فعرف شُريك إبن عمرو فمدحه بأبيات فوثب شريك وقال أبيت اللعن يدى بيده ودمى بدمه ان لم يعد الى أجله، فأطلقه . فلما كان من القابل جلس المنذر فى مجلسه ينتظر حنظلة أن يأتى فأبطا فأمر بشريك فقربه ليقتله فلم يشعر الا براكب قد طلع

(١) أى من تحقيقه

(٢) الخمر يؤنث ويذكر

عليهم فتأملوا فاذا هو حنظلة قد أقبل متكفنا متحنطا ومعه نادبته تندبه وقد قامت نادبة شريك لتندبه فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقه وأبطل تلك السنة

ولأبى تمام فى أبى سعيد محمد بن يوسف الغزوانى حميدالطوسى مدائح جمة منها القصيدة التي أولها

مِنْ سجايا الطلول ألا تجيبا ۝ فصواب لمقلة أن تصوبا (١)
إسألنها واجعل بكاك جوابا ۝ تجد الشوق سائلا ومجيبا
قد عهدتُ الرسوم وهى عكاظ ۝ للصِّبا تزدهيك حسنا وطيبا (٢)
أكثر الأرض زائرا ومزورا ۝ وصَعودا من الهوى وصَبوبا (٣)
وكَعابا كأنما ألبستْها ۝ غفلاتُ الشباب بردا قشيبا

«١» فى الديوان من مقلتى وفى التبريزى من مقلة وليس وراء ذلك خلف فى المعنى . صاب السحاب جاء بالمطر

«٢» فى الديوان والتبريزى قد عهدنا . وقوله وهى عكاظ أى آهلة بسكانها كما يحتشد العرب فى عكاظ وهى سوقهم الشهيرة التى كانوا يتناشدون فيها الأشعار ويتفاخرون وسميت عكاظا من عكظت الشىء اذا غمزته غمزا شديدا لأن الناس فيها كانوا يتكاثرون حتى يعرك بعضهم بعضا

«٣» الصعود الأكمة يشق الصعود فيها والصبوب ضد ذلك مثل الهبوط والحدور والذى يحملنا على أن نعدو عن جعل الكلمتين مصدرين ويكونان بضم أولهما وجود من عد صعود وهو لا يتعدى الا بفى فيكون المراد مكان من الهوى يصعد فيه وآخر ينحدر منه وثانيا أنه لما وصف المكان بكثرة الزوار والمزورين ناسب أن يصف اتساعه وما فيه من علو وانخفاض ثم هو يريد بعد ذلك من الصعود والهبوط الهوى الصعب الذى يعانى فيه صاحبه جفوة المحبوب وتجنيه والسهل الذى يتيسر فيه للمحب ما أراد فى غير مشقة . وهذا المعنى الكنائى لا نراه يتأتى على مصدرية الكلمتين

بيّن البين فقدها قلما تعـــرف فقدا للشمس حتى تغيبا(١)

لعب الشيب بالمفارق بل جـــد فأبكى تُماضرا ولعوبا (٢)

خضبت خدها إلى لؤلؤ العقـــد وما إن رأت شواتي قضيبا(٣)

تماضر اسم الخنساء ولعوب اسم امرأة وقوله إلى لؤلؤ العقد أى انتهى الدمع إلى صدرها لكثرته . والشوى جمع شواة وهى جلدة الرأس

كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين مِيتة ومشيبا (٤)

يانسيب الثَّغام ذنبك أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبا

ولئن عِبن ما رأين لقد أنـــكرن مستنكرا وعبن معيبا

أو تصدّعن عن قلى لكفى بالشيب بينى وبينهن حسيبا(٥)

لو رأى الله أن بالشيب طِرْقا جاورته الأبرار فى الخلد شيبا(٦)

---

(١) بين البين فقدها أى أظهر الفراق ألم فقدها

(٢) المفارق جمع مفرق كمقعد ومجلس وهو وسط الرأس حيث يفرق الشعر يقول لما بدأ الشيب فى مفرق رأسى بكت هذه النساء لما فاتهن من لهو الصبا

(٣) الشواة جلدة الرأس وخضيب بمعنى مخضوب أى مصبوغ

(٤) الثغام نبت أبيض شبه به الشيب فى البياض

(٥) الحسيب الكافى ويقال حسيبك الله أي كافيك. والمعنى إذا كان تفرقهن عنى للبغض فأن الشيب كاف فى أن يكون سبب ذلك

(٦) روايه الديوان المطبوع خيرا ورواية التبريزى فضلا وهما مناسبتان للمعنى ورواية الاصل هنا وهى طرقا أى سمنا أو قوة مقبولة مع التكلف فالاولى إحدى الروايتين السابقتين

ادعى قوم أن فى هذه الابيات مناقضة لقوله « فأبكى تماضرا ولعوبا » وقوله « يانسيب الثغام ..... » البيت وقوله « ولئن عبن مارأين » قالوا كيف يبكين على مشيبه ثم يعبنه . وأجاب بعضهم وقال ليس هذا بتناقض لأن الشيب إنما أبكى تماضرا أسفا على شبابه . واللواتى عبنه غيرها .فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على شبابه بكى . كما قال الأخطل

لما رأت بدل الشباب بكت له إن المشيب لأرذل الأبدال

ولم تكن هذه حال من عابه وفيه تكلف . بل المناقضة زائلة وإن كان من بكى شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتى أنكرن شيبه وعبنه به ولا يبكى الشيب ولا يجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكرا معيبا

ولأبى تمام طريقة فى ذم الشيب والتألم به والجزع منه كقوله أيضا فى قصيدته التى مدح بها أبا سعيد المذكور وأولها

أما إنه لولا الخليط المودع وربع عفا منه مَصِيف ومَرْبع

لردت على أعقابها أريحية من الشوق واديها من الدمع مترع

يقول لولا أن الخليط ودعنا فجدد ذكره شوقنا وأن الربيع عفا منزل الخليط منه فى الصيف والربيع لرددنا أريحية الشوق على عقبها ولكنها غابت علينا بوداع الأحبة وبدروس المنازل بعدهم فأثارت لنا من الشوق ما حملنا على أن نأتى من الدمع مثل الوادى المترع

لحقنا بأخراهم وقد حوم الهوى قلوبا عهدنا طيرها وهى وقع [1]

فرُدت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

«۱» قوله حوم الهوى قلوبا أى جعلها تحوم والحومان الدوران حول الشىء

نضا ضوءها صبح الدجنة وانطوى   لبهجتها ثوب السماء المجزع (١)

فوالله ما أدري أأحلام نائم   ألمت بنا أم كان فى الركب يُوشَع (٢)

نضا نزع والمجزع ما فيه بياض وسواد . يقول لما بدت هذه الجارية من الخدر كشف ضوء وجهها لون الظلام وانطوى لأشراقها ثوب السماء المجزع بالنجوم كما ينطوى بطلوع الشمس

وعهدى بها تحيى الهوى وتميته   وتَشْعَب أعشار القلوب وتصدع (٣)

---

(١) يقال نضاه من ثوبه أى جرده منه ونضا السيف أخرجه من غمده فمعنى نضا ضوءها الصبح أى كشفه وهذا التخريج جار على رواية الاصل صبح الدجنة ولكن رواية الديوان والتبريزى صبغ بدل صبح وعليه يكون نضا من قولنا نضوت الثوب بمعنى خلعته فيجعل صبغ الليل الاسود كأنه ثوب يلبسه الليل يستتر به فجاء إشراق هذه الجميلة نخلع عن الليل ثوبه فظهر ماخفى من امره فتفسير الأصل لنضا بمعنى نزع لا يتفق وروايته

(٢) يوشع هو نبى الله ، ابن نون ويحكى أهل الكتاب أن الشمس ردت بعد غروبها معجزة له . والمعني هل كان مارأيناه من كشف بياضها لدجنة الليل حلم نائم أم أن يوشع عليه السلام كان فى الركب فظهرت معجزته بارتداد الشمس بعد غروبها

(٣) إحياء الهوى يكون بالهجران وإماتته تكون بالوصال والاجتماع والشعب بالفتح مصدر شعب كمنع بمعنى صدع او لأم ضد والمراد هنا الثاني واعشار الفؤاد قطعه العشر التى صار إليها بفعل الحب وتأثيره كما يقال برمة أعشار أى كسرت إلى قطع عشرة وليس المراد ذات العدد وإنما ذلك كناية عن الكثرة وقوله تشعب وتصدع بعد قوله تحيي الهوي وتميته لف ونشر مهوش لأن الشعب فى مقابلة إماتة الهوى والصدع فى مقابلة احياء الهوى ثم بين كل كلمتى تحيي وتميت ، وكلمتى تشعب وتصدع طباق

وأقرعَ بالعتبى حُمَيّا عتابها وقد تستقيد الراح حين تُشَعْشَع

وتشعب اى تجمع والأعشار القطع . يقول عهدى بهذه الجارية تحيي هوءي وتميته بالهجران والوصال وتجمع قطع القلب بوصلها وتصدعه بهجرها . قوله وأقرع بمعنى أمزج . والعتبى الرضا والعتاب السخط . يقول كلما عتبتْ على وسخطت قابلتها بما يرضيها فيباين ذلك من سخطها ، كما أن الخمر صعبة فى الانقياد فأذا شعشعت بالماء لانت

وتقفو لى الجدوى بجدوى وإنما يروقك بيت الشعر حين يُصَرَّع (١)

ألم تر آرام الظباء كأنما رأت بى سِيدالرمل والصبح أدرع (٢)

---

(١) يقال قفوت الرجل اذا تبعته فهو متعد ولكنه أورده هنا لازما لأنه ضمنه معنى سار فالمعنى تسير إلى العطاء بعطاء آخر أى تجعل أحدهما تابعا لصاحبه والعطاء إنما يحسن إذا تبعه غيره كبيت الشعر يجمل بالتصريع وهو جعل العروض مقفاة مع الضرب أي متحدتين فى الحرف الأخير مثل قول امرىء القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وربع عفت آياته منذ أزمان

(٢) الآرام جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض وأراد بآرام الظباء النساء . السيد الذئب . الصبح الأدرع المختلط البياض بالسواد يقول إن النساء لما رأت شيبي كرهتنى ونفرت منى كما تنفر الظباء من الذئب . وفى إضافة السيد إلى الرمل دقة جعلت لكلامه سحرا وحسنا ذلك أن الذئب اذا كان بالرمل وليس بمكانه جبل قل صيده لأن الوعول وأشباهها إنما تلجأ إلى الجبال فهذا السيدُ يجوع فى الرمل ويشتد جوعه فتشتد ضراوته فتخافه الظباء لأنه تعرف فيه الشر والالحاح عليها إذا رآها لما به من شدة الجوع . وكذلك فى التقييد بقوله والصبح أدرع تصوير بالغ لشدة الخوف والهلع الذى يعترى

لئن جزع الوحشى منها لرؤيتى   لإنسيّها من شيب رأسى أجزع

السيد الذئب : والصبح أدرع فيه سواد وبياض . وقوله لئن جزع ....
البيت يقول مررت بالسحر بسرب من ظباء فنفرت منى كنفورها من ذئب الرمل ثم قال إن كان وحش الظباء جازعا منى فالأنسى أجزع من شيب رأسى

غدا الهم مختطا بفوْدَىَّ خطة   طريق الردى منها إلى النفس مَهْيع (١)

هو الزَّوْر يجفى والمعاشر يُجْتوى   وذو الألف يُقْلى والجديدُ يرَقَّع (٢)

له منظر فى العين أبيض ناصع   ولكنه فى القلب أسود أسفع

ونحن نزجيه على الكره والرضا   وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع (٣)

الظباء لأن هذا الوقت هو وقت خروج الأناسى للصيد فيجتمع على الظبى خوفان خوف الصائد وخوف السيد فهو إن نجا من أحداهما وقع فى حبالة الآخر وبعد ذلك كم تكون كراهة النساء للشيب إذا شبهت بالظباء النافرة فى هذا الوقت ؟ !!

(١) مهيع . بين واضح . الفودان جانبا الرأس

(٢) الزور فى الأصل مصدر زار وقد يراد من المصدر اسم الفاعل وإذ ذاك يصلح بلفظه للواحد والمثنى والجمع المؤنث والمذكر فهو هنا بمعنى زائر لأنه واقع على الشيب . يقول إن الشيب هو الزائر المجفو والعشير المكروه والأليف المبغض والجديد الذي يحتاج إلى الترقيع وما ترقيع الشيب إلا خضابه لأنه يخضب مرة فينفصل الخضاب فيحتاج إلى آخر وهكذا

(٣) جميع الروايات متفقة على كون نرجيه بالراء ويفسرها من يفسرها منهم بالامهال كما فعل المصنف أو بالحمل والسوق كما فعل التبريزى ولكن اللغة لا تساعد على هذا الفهم . فالرأى عندى أن تكون بالزاى أى نزجيه ومعنى التزجية السوق برفق فالمعنى أننا نصحب الشيب ونسايره كارهين وراضين وكيف

الزور الزائر ويجتوى يكره والجديد يرقع أى بالخضاب . ونرجيه نحتمله

لقد سامنا هذا الزمان سياسة سدى لم يُسَسْها قبل عبد مجدع (١)

تروح علينا كل يوم وتغتدى خطوب كأن الدهر منهن مصرع

حلت نطف منه لنِكْسٍ وذو الحجا يداف له سم من العيش مُنْقَعُ (٢)

لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف

وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع (٣)

أخذت بحبل منه لما لويته على مرر الأيام ظلت تقطع (٤)

هو السيل إن واجهته انقدت طوعه وتقتاده من جانبيه فيتبع

ولم أر نفعا عند من ليس ضائرا ولم أر ضرا عند من ليس ينفع

يقول فيُسْمِعُ ويمضى فيسرع ويضرب فى ذات الإله فيوجع (٥)

ندفعه وهو قدر محتوم . وأما قوله وأنف الفتى من وجه وهو أجدع فهو المثل العربى القائل أنفك منك وإن كان أجدع (هو المقطوع) أى لا سبيل إلى الخلاص مما قد لزم

(١) يقول إن الزمان جرى معنا على نظام مضطرب وأخذنا بأحكام قاسية لم يسبق أن عومل بها العبد المهين الذي قد قطع أنفه وأذناه

(٢) النطفة الماء الصافى . النكس الدنىء . داف خلط . سم ناقع ومنقع شديد التأثير (٣) آسف أغضب

(٤) المرر جمع مرة وهى الحبل المفتول والمراد شدائد الأيام والضمير فى تقطع لها . والمعنى تقويت بالممدوح على الزمان

(٥) يتمحل التبريزى تصحيح هذا البيت وزنا ويروى أن من العرب من يتبع الحركة حرفا من جنسها ولذلك يضطر إلى النطق بيسمع هكذا فيسمعو على أنه يبقى بعد ذلك ان مفاعيلن تصير مقبوضة أى مفاعلن وشطرها فى بقيه الابيات كاملة وأرى أن القول بانكسار البيت خير من كل هذا التمحل ولعل هذا هو النقد الذى أشار إليه المصنف بقوله وفى البيت نقد

مأخوذ من قول عائشة فى عمر رضى الله عنهما : كان عمر اذامشى أسرع وإذا تكلم أسمع وإذا ضرب أوجع . وفى البيت نقد

مُمَرٌّ له من نفسه بعضُ نفسه وسائرها للحمد والأجر أجمع [1]

رأى البخل من كل فظيعا فعافه على أنه منه أمر وأفظع

وكل كسوف فى الدرارىّ شنعة ولكنه فى الشمس والبدر أشنع

مَعاد الورى بعد الممات وسَيْبه معادٌ لنا قبل الممات ومرجع [2]

له تالد قد وَقَّر الجود هامه فقَرَّتْ وكانت لاتزال تُفَزَّع [3]

إذا كانت النعمى سلوبا من امرئ غدت من خليجى كفه وهى مُتْبِع [4]

(١) ممر من أمررت الشىء بمعنى أجزته يقول لم يسمح له من نفسه إلا بعضها أما بقيتها فهى للحمد والشكر

(٢) المعاد هنا الجنة بهذا فسرها بعض المفسرين فى قوله تعالى لرادك إلى معاد

(٣) يروى هذا البيت روايتين الأولى وهى الكثيرة وقد أثبتها المصنف له تالد والمعنى عليه : إن أبله الموروثة التى ولدت عنده كانت تنفر منه وتفزع لكثرة ماكان ينحرها للضيفان ولكنها عادت تألف ذلك لما تكرر حصوله فقرت وسكنت رءوسها بعد أن كان الفزع يجعلها مضطربة وخص الهام لأنها مكان المخ وبه يفرح صاحبه ويفزع ويشعر بكل مايصيبه . وقيل لأن شواة الرأس أى جلدتها هى أول مايقشعر ويرتعد عند مايخاف المرء فنسب إليها القرار لذلك وعلى الرواية الثانية وهى لنا تالد تكون إن مالنا كان عرضة للنقص مما ننفق منه ولا مستمد يتمم نقصه فلما أصابنا جودك أمن المال مما يصيبه من النقص .

(٤) السلوب : التى لاولد لها . والمتبع التى يتبعها ولدها

وإن عثرت سود الليالى وبيضها ... بوَحدته آلفيتها وهى بجمع
وإن خفرت أموالَ قد أكفهم ... من النَّيل والجودى فكفاه مقطع (١)
ويوم يظل العز يحفظ وَسْطه ... بسمر العوالى والنفوس تُضَيَّع (٢)
مصيف من الهيجا ومن جاحم الوغى ... ولكنه من وابل الدم مربع (٣)
عبوسٍ كسا أبطاله كل قَوْنس ... يُرَى المرء فيه وهو أفرع أصلع (٤)
وأسمر محمر الأعالى يؤمه ... سنان بحبات القلوب ممتع (٥)
من اللاء يشربن النجيع من الكلَى ... غَريضاً ويُروى عندهن فيَنْقَع (٦)

(١) خفر هنا بمعنى صان . النيل : الجود . الجدوى : العطاء . مقطع : آلة للقطع

(٢) الوسط بالتحريك ما بين طرفى الشىء وبالتسكين ظرف تقول فى التحريك وسط الارض مخضر وأطرافها مجدبة وفى التسكين : الشجرة وسط الفناء وموضعها فى البيت للتحريك ولكنها سكنت لوزن الشعر . العوالى جمع عالية وهى من الرمح نصفه الذى يلى السنان

(٣) يقول إن هذا اليوم من حيث القتال فيه وحمو وطيس الحرب هو كالصيف فى شدة حرارته . وثم هو من حيث تقاطر الدماء من القتلى كالربيع الذى يكثر فيه سقوط المطر . ومصيف ومربع اسما زمان من صاف وربع فهما بمعنى الصيف والربيع

(٤) القونس أعلى بيضة الحديد التى تجعل على الرأس فى الحرب . الفرع بالتحريك وفرة الشعر

(٥) يصف الرمح واحمرار أعلاه لما صبغ به الدم وحبات القلوب سويداواتها أو دماؤها ومعنى تمتع السنان بحبات القلوب أنه يطعنها فيصل إلى ذلك منها

(٦) النجيع دم الجوف . الكلا جمع كلية أو كلوة . الغريض الطرى ينقع يذهب بالعطش

شققتَ إلى جباره حومة الوغى وقنّعته بالسيف وهو مقنع (١)
لدى سند بابا والبيات وأَرْشق ومُوقانَ والسمر اللدان تزعزع (٢)
وأَبرَ شْتَويمَ والكداج وملتقىً سنابكها والخيل تردى وتمزع (٣)
غدت ظُلَّعًا حسرى وغادر جِدُّها جدود أناس وهى حسرى وظلع (٤)
هو الصنع إن يعْجَل فنفع وإن يَرِثْ فللرَّيْثُ فى بعض المواطن أنفع (٥)
وعنه قول أبى الطيب
(ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب فى المسير الجهام)
أظلتك آمالى وفى البطش قوة وفى السهم تسديد وفى القوس منزع (٦)

---

(١) شققت جملة واقعة خبرا ليوم فى البيت الخامس قبل هذا الواقع بعد الواو التى بمعنى رب ولذلك جر لفظا وهو فى محل رفع على الابتداء

(٢) سند بابا والبيات وارشق وموقان اسماء أماكن. السمر اللدان: الرماح اللينة

(٣) أبرشتويم والكداج موضعان. تروي أى ترجم الأرض بحوافرها. تمزع تسرع

(٤) الظلع جمع ظالع وهو الذى يغمز فى مشيه «الأعرج». حسرى جمع حسير بمعنى كايل يقول إن الخيل لكثرة ماجرت وأقبلت فى الحرب وأدبرت صارت تعبة لا تستقيم فى مشيتها لما اصابها من الحفى وكان جهدها هذا سببا فى سوء حظ الاعداء فظلعت حظوظهم وحسرت

(٥) الصنع المعروف. راث يريث أبطأ

(٦) أظلنى الشيء دنا منى حتى وقع ظله علىّ وقوله وفى البطش قوة أى وفى بطشك قوة. وتسديد السهم حسن توجيهه إلى المرمى حتى لا يخطىء المنزع كمنبر السهم البعيد المرمي

وإن الغني لى إن لَحَظْتَ مطالبي　　من الشعر إلا فى مديحك أطوع

أى وإن الغنى لى أطوع (لو اعتنيت بى ولحظت مطالبي) من الشعر إلا فى مدحك فليس بأطوع منه لتيسر مدحك على . وأراد أن مآثره مشهورة فأذا رام وصفها قربت عليه

وإنك إن أَهْزَلْتَ فى المحل لم تضع　　ولم ترع إن أَهْزَلْتَ والروض ممرع (١)

يقول لكثرة جودك وكرم نفسك إن أصابتك خصاصة وأهزلت فى مالك لم تضيع من ألم بك ولجأ إليك على مابك من حاجة وكذلك لا ترعى إن أهزلت فى روض غيرك وإن كان ممرعا أى لا تتعرض للصنيعة من غيرك وإن كانت بك حاجة وفاقة لكرم نفسك

رأيتُ رجائى فيك وحدك همةً　　ولكنه فى سائر الناس مطمع

يقول رجوت غيرك فكان رجائى مطمعا وذلة لأنى أعير بسؤال غيرك وأشرف بسؤالك

وكم عاثر منا أخذت بضبعه　　فأضحى له فى قلة الخطب مطلع (٢)

فصار اسمه فى النائبات مدافعا　　وكان اسمه من قبل وهو مُدَفَّع

يقول كم عاثر منا كبته الزمان فأخذت بضبعه رافعا له مقيلا عثرته حتى ركب

---

(١) أهزل الرجل هزل ماله . أمرع الروض أخصب

(٢) الضبع العضد يقال أخذت بضبعه أي أعنته . قلة الجبل بالضم أعلى مكان فيه « قمته » ومطلع اسم مكان أو مصدر ميمى . والمعنى كثير من الذين عثر بهم الجد وساءت أحوالهم أخذت بأيديهم فأنعشتهم مما أصابهم فقووا بك حتى صارت لهم أماكن ارتقوها فى أعلى ذرا المجد أو صارت لهم قدرة على الطلوع إليها.

الزمان وظهر عليه وصار له مطلع فى أعلى خطوبه وصار اسمه مدافعا للزمان وخطوبه وكان قبل ذلك . . . . (١)

يقال له مدفع وهو الذى يدفع من كل ناحية يقال ضيف مدفع إذا كان كل من أتاهم دفعوه وردوه

وبقية القصيدة

وما السيف الا زُبْرة لو تركته — على الحالة الأُولى لما كان يقطع

فدونكها لولا ليان نسيبها — لظَلَّتْ صلاب الصخر منها تَصَدّع

لها أخوات قبلها قد سمعتها — وان لم تَرُغْ بى مدّتى فستسمع

الزبرة القطعة من الحديد . دونكها أى خذ القصيدة. تصدع مضارع محذوف حرف المضارعة تخفيفا أصله تتصدع أى تتشقق . راغ يروغ . حاد ومال. المدة العمر وإذا لم ترغ مدتى عن القصد أى لم أمت

﴿ والحمد لله أولا وآخرا ﴾

---

(١) إلى هنا انتهى ما بالأصل وقد حاولنا العثور على نسخة أخرى نتمم بها هذه النسخة فلم نجد لأنها وحدة فى دار الكتب وقد راجعنا فهارس دور الكتب الأخرى بالآستانة والشام والعراق فلم نجد كذلك فالكتاب الآن فى عهدة الادباء ومن يهمهم نشر الادب فأذا عثر أحدهم على تتمة له دلنا عليها فوجب علينا شكره وجردنا العزم لخدمة هذه البقية بمثل ماخدمنا به الاصل الذى عثرنا عليه حتى يتم العمل متناسب الاجزاء

والذي نعتقده أن البديعى رحمه الله لو كان ختم كتابه بهذه القصيدة لكان عمله تاما لأن الغرض من الكتاب عرض حياة أبى تمام والأبانة عن الشخصيات التى عاشرها وقد تم له ذلك . وأما ايراد جميع إقواله والتعليق عليها بمثل مافعل المؤلف فيما أورده فذلك عمل جامع الديوان وشارحه ونحن نستوزع الله القدر على إخراج الديوان على غرار هذا الذى رأيته من عملنا فى هذا المؤلف والله الموفق

الخطأ وصوابه

نحمد الله أن ظهر الكتاب خاليا من الأخطاء التى اعتيد أن تقع فى الكتب العربية وذلك لأننا كنا ندرك أن كتابنا هذا يدخل فى عداد كتب اللغة التى يجب أن يتحرى صوابها بكل وسيلة

ولكن هذه العناية لم تمنع أن تقع فى الكتاب بعض أغلاط لاتخفى على فطنة القارىء ثم هى ليست جوهرية يخشى منها على الحقيقة العلمية أو اللغوية التى عرضت فيها الغلطة. وكنا هممنا أن نتكل على ذوق القارىء فلا نشير إلى شىء منها ولكن قيدناها حتى لاندخر وسعاً فى الصواب الذى توخيناه

ص	س	خطأ	صوابه
٢١	٣	وكان	وكأن
٥٩	١١	فنى	فتى
٦٧	١	يفيض	يغيض
٧٠	٥	عدو ومقاتل	عدو مقاتل
٧١	٢	كان اتتصاف	كأن انتصاف
٧٤	١٧	هو أنه وأن غيره	هو أنه وفى وأن غيره
٨٦	١٠	ارتنى	رأتنى
٨٨	٣	حوانف	خوانف
١٠١	٧	قضاء	فضاء
١٠٢	١٤	هذه القطعية لاتكون	هذه القطيعةولاتكون
١٠٦	٢٠	الشعت أعلى السنام	الشعف أعلى السنام
١٠٦	٢٢	تشبه شعب الجمل	تشبه شعف الجمل

ص	س	خطا	صوابه
١٠٧	٢٢	سببه	سيبه
١١٠	١٠	اما ثماد	إما ثمادا
١١٤	١٥	نخفى بالخاء	تخفى بالخاء
١٧٧	١	وكنت أعزّ	وكنت أعزُّ
١٧٩	٣	فلأَشهَرَنَّ	فلأُشهرَنّ
١٨٠	٣	عرضت على	عرضت لى

بدئت الملزمة الثالثة عشرة بالرقم ٢٩٣ وصوابه ١٩٣ وهكذا الى آخر الملزمة الذى جعل ٣٠٨ بدل ٢٠٨

٢٢١ ١٣ يلاحظ أن قولنا لدن جمع لادنة .... انما يتمشى مع رواية لدن بدل بُدّن التى اقتصرنا عليها

فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

فهرس التراجم

مرتبة على المعجم

فهرس بعض المسائل العلمية والأدبية
الواردة بحاشية الكتاب

فهرس شعر أبي تمام
مرتبا حسب وروده بالكتاب

٢/٣٦٦